الجامعة الاردنية
كلية الدراسات العليا
قسم الدراسات العليا للعلوم
الانسانية والاجتماعية

أساليب الاقناع في القرآن الكريم
مع دراسة تطبيقية لسورة " الفرقان "

اعداد الطالب : بن عيسى عبد القادر بطاهر

باشراف : الأستاذ الدكتور محمد بركات حمدي ابو علي

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول
على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها
من قسم الدراسات العليا للعلوم الانسانية والاجتماعية
كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

الفصل الثاني : آيار ١٩٩٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات : الصفحة

المقدمة ٠

الفصل الأول :

القرآن والنفس الانسانية : ـ ١

(١) الاقناع عند أهل اللغة وأهل الاصطلاح ٠ ٣

(٢) الاقناع بين العقل والعاطفة في القرآن الكريم٠ ٥

(٣) القرآن الكريم والبلاغة العربية ٠ ١٤

(٤) تعدد الأساليب الاقناعية في القرآن الكريم٠ ٢٠

الفصل الثاني : (الجانب النظري) :

(أ) أساليب بيانية أصلية ٢٥

(١) أسلوب الجدل ٢٦

(٢) أسلوب التصوير ٣٦

(٣) أسلوب القصص ٤٢

(٤) أسلوب التمثيل ٥١

الفصل الثالث :

(ب) أساليب بلاغية فرعية ٥٧

(١) أسلوب الاستفهام ٥٨

(٢) أسلوب التوكيد ٠ ٦٩

(٣) أسلوب التكرار ٧٨

(٤) أسلوب الحذف ٨٥

الفصل الرابع : (الجانب التطبيقي) :

دراسة تطبيقية لسورة " الفرقان " ٩٢

(١) الوحدة الموضوعية في السورة الكريمة ٩٣

(٢) التطبيق على الأساليب البيانية الاصلية ١٠٦

(٣) التطبيق على الأساليب البلاغية الفرعية ١٢٥

(٤) الخصائص الفنية للتعبير في السورة الكريمة ١٤٣

الخاتمة ٠ ١٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، والصلاة والسلام على سيّد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ·

وبعد :

فإنّ القرآن الكريم هو حبل اللّه المتين ، وصراطه المستقيم ، وبرهانه المبين ، وصدق اللّه العظيم حيث يقول : (يـآ أيُّهَـا النّاسُ قَـدْ جَاءَكُم بُرْهَـانٌ مِنْ رَبّكُمْ وأنزَلْنَـا إلَيْكُم نُـورًا مُبِينًا)(١) فهو الكتاب الذى لا زال برهانا قائماً ، وتأثيره في النفوس مستمرًا دائمًا ، ما زالت بلاغته تحرّك همم الدارسين ، وتنشّط عزائم الباحثين عساها أن تدرك بعض أسرار علمه الذى لا ينفد ·

وهذه دراسة في البيان القرآني ، تدخل ضمن الدراسات القرآنية التي تبحث في بلاغة التعبير ، وجمال التصوير ، وقد قصدت بها إلى البحث في الأساليب البلاغية ، والوسائل الخِطابية عساى أن أدرك بعض ما لهذا الكتاب العظيم من سلطان على النفوس ، واقناع للقلوب والعقول منذ نزوله وإلى الآن ، وأن أتبيّن بعض جوانب الاعجاز في أساليب اقناعه ، وطرق دعوته ، والتي كان لها الأثر الأكبر في تحقيق غاياته وأهدافه ·

وقد اخترت عنوانا لهذه الدراسة : " أساليب الاقناع في القرآن الكريم مع دراسة تطبيقية لسورة الفرقان " ، وقصدت بالأسلوب الطريقة المتبعة ، والاقناع حمل النفس - بجميع قواها - على اعتقاد أمر للعمل به ، كما أنّني خصصت الدراسة التطبيقية لسورة " الفرقان " حتى أثبت أنّ الاقناع يتحقق فيها بجميع عناصره على غرار سور القرآن كلّها ·

وتكمن أهمية هذا الموضوع في أنّ النفس البشرية تتطلع دائما الى قوة الاقناع التي تلبي حاجاتها المختلفة ، وتقدم لها حلولا ناجعة لمشكلاتها في الاعتقاد والحياة والوجود الانساني بعامة ، والقرآن الكريم - وهو الكتاب الذى لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه - هو الذى يستطيع أن يحقق هذا للنفس بصفة دائمة ومستمرة ، ولكن هذا الاقناع القرآني الدائم في حاجة إلى كشف وتعليل ، وهو سر من أسرار الاعجاز فيه ، لذلك كان لهذا الموضوع أهميته الخاصة في محاولة كشف وتعليل بعض هذه الجوانب ، مع عرض المسائل القديمة التي لها علاقة به في ضوء جديد ·

وكان سبب اختيارى لهذا الموضوع دافع شخصي هو حبّي لكتاب اللّه ، وطموحي في أن يشرفني اللّه بخدمته ، لذلك حين سنحت لي الفرصة من خلال تخصصي في البلاغة العربية لم أتردد لحظة في التوجه إليه بطاقاتي كلّها عساى أن أوفق في فهم بعض جوانب اعجازه ، وطرق تعبيره ·

---

(١) سورة النساء ، الآية ١٧٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما السبب الآخر الذى جعلني أخوض في هذا الموضوع الشائك فيتعلق بالدراسات التي كتبت حوله ، فبعد البحث الطويل ترآى لي أنّ بعض الدراسات البلاغية والجدلية قد تناولت هذا الموضوع قديما وحديثا ، ولكن لم أجد دراسة متخصصة تدرس الأساليب من وجهتها الاقناعية ، وقد تمس بعض الدراسات الموضوع مسا لكن دون تحديد وتفصيل ، فأما الدراسات البلاغية فهي غنية بهذا الجانب وبغيره ، وتحتاج الى تحديد وتركيز ، وأما الدراسات الجدلية فعلى قلتها لا تفي بجوانب الاقناع كلّه ، وانما تركز في الغالب على اقناع العقل بما يقدم له من دليل أو برهان ، والأسلوب القرآني يخاطب العقل والعاطفة معا ، ومن هنا كان الجدل بهذا المفهوم أحد فنون القرآن الكريم الكثيرة التي تساهم في العملية الاقناعية .

وكانت أقرب الدراسات الحديثة إلى منهجي هذا دراسة الأستاذ الدكتور أحمد بدوى " من بلاغة القرآن "[1] ، والتي حاول فيها من خلال دراسة بعض الأساليب البلاغية أن يدرك سبب ما كان للقرآن الكريم من تأثير في النفوس ، وسلطان على القلوب ، لكن اتباعه لمنهج القدماء جعله يردد في بعض الأحيان ما قالوه وقرّروه ، وتمتاز هذه الدراسة بأنّها محاولة جادة لطرق هذا الموضوع الهام .

وأما الدراسة الثانية فهي للدكتور عبد الغني سعد بركة وهي بعنوان : " أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجا "[2]، وقد نحا فيها المؤلف منحى جديدا محاولا ربط البلاغة بالدعوة القرآنية ، وكانت دراسته شاملة للقرآن الكريم كلّه ، وهو يميل في كثير من الأحيان إلى منهج المفسرين لا البلاغيين في التعامل مع النصوص القرآنية .

وأبرز الصعوبات التي واجهتني في البحث هي اتساع الموضوع مع ما فيه من صعوبة خصوصا أنّني لا أملك الأدوات الكافية لأتناول الموضوع من كل جوانبه ، وهي تتطلب من الوقت والجهد ما لا أستطيع لذلك كلّه حَتّمت عليّ هذه المعطيات أن أحدد البحث من زاويتين :

أولا : اختيار سورة من سور القرآن الكريم تنصب عليها الدراسة ، وقد اخترت سورة " الفرقان " عن قصد ، ذلك أنّها من السور المكية التي كثر فيها الجدل مع خصوم الدعوة حول دعائم الرسالة الجديدة ، خصوصا حول موضوع نزول القرآن الكريم ودلائل صدقه ، وأردت من هذا الاختيار أن أثبت أنّها اشتملت على عناصر الاقناع جميعها حتى كانت فرقانا بين الحق والباطل .

ثانيا : اختيار مجموعة من الأساليب البيانية لدراستها من الوجهة النظرية ابرازا لخصوصية كل أسلوب منها في العملية الاقناعية ، وكان مقياسي في الاختيار يعتمد على اختيار أكثر الاساليب بروزا في القرآن الكريم ، والتي قرّر العلماء المتخصصون أنّها من فنونه البليغة .

---

(١) ط ٣ .مكتبة نهضة مصر القاهرة .

(٢) ط ١ ـ دار غريب القاهرة ١٩٨٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك على أكثرها قدرة على مخاطبة جوانب النفس جميعها من تحريك عقل ، وهز عاطفة ، واشباع رغبة بناسب الفطرة ٠

وأسوق هنا هذه الحقيقة وهي أنّ دراسة أساليب الاقناع كلّها أمر غير ميّسر لكثرتها وتنوعها ، وحسبي أنني دخلت بحرا في أحشائه الدركامن فاستخرجت بعضا من دره الثمينة ٠

وبهذا المنهج قسمت البحث إلى أربعة فصول خصصت الفصل الأول بدراسة " القرآن والنفس الانسانية " ، وتناولت فيه الاقناع لغة واصطلاحا ، ثم الاقناع بين العقل والعاطفة في القرآن الكريم ، ثم القرآن والبلاغة العربية ، ثم تعدد الأساليب الاقناعية في القرآن الكريم ٠

وخصصت الفصل الثاني والثالث بدراسة الأساليب الاقناعية من الوجهة النظرية، فتناولت أولا الأساليب البيانية الأصلية أي التي تصّب فيها أساليب فرعية كثيرة ، وهذه الأساليب هي الجدل والتصوير والقصص والتمثيل ، وتناولت ثانيا الأساليب البلاغية الفرعية، وهي فروع عن هذه الأصول ، وهي : الاستفهام والتوكيد والتكرار والحذف ٠

وخصصت الفصل الرابع بدراسة تطبيقية لسورة " الفرقان " اشتملت على الوحدة الموضوعية في السورة ، ثم التطبيق على الأساليب المدروسة نظريّا ، ثم دراسة الخصائص الفنية للتعبير في السورة بعامة ، وختمت البحث بخلاصة لأهم النتائج التي توصلت اليها ٠

أما مصادر البحث ومراجعه فقد تنوّعت بين القديم والحديث ، فاستفدت من الدراسات البلاغية والأدبية والنقدية ، وأخص منها كتابي عبد القاهر الجرجاني (ـ٤٧١ أو ٤٧٤هـ) ـ رحمه اللّه ـ " دلائل الاعجاز " و " أسرار البلاغة " ، وكان لكتب علوم القرآن النصيب الاوفر في البحث وأخص منها كتاب " البرهان في علوم القرآن " ـ لبدر الدين الزركشي (ـ٧٩٤هـ) و " الاتقان في علوم القرآن " ـ لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ـ٩١١هـ)، ومن كتب الاعجاز كتاب " بيان اعجاز القرآن " لحمد بن محمد الخطّابي (ـ٣٨٨هـ) ، وكتاب "النكت في اعجاز القرآن " لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ـ٣٨٦هـ) ،كما استعنت بكتب التفسير خاصة تلك التي تعنى بالمادة البلاغية وأخص منها تفسير : " الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل " ـ لمحمود بن عمر الزمخشري (ـ٥٣٨هـ) ، وتفسير " ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم " لمحمد بن محمد بن مصطفى الطحاوي المشهور " بأبي السعود " في القديم ، وتفسير " في ظلال القرآن " ـ سيد قطب ، وتفسير " التحرير والتنوير " لطاهر بن عاشور في الحديث ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد : فهذا البحث الذى قمت باعداده لا أدّعي أنّه بلغ درجة الكمال ، ولكنّه محاولة متواضعة للكشف عن بعض طرق القرآن الكريم في الاقناع ، فإن وفقت في هذا فمن اللّه وحده ، وان أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان .

والفضل كذلك لأهل الفضل ممّن قوّموا اعوجاجي ، وسدّدوا خطاي وأخص بالذكر أستاذى المشرف : " محمد بركات حمدى أبو على " الذى تولاني بعنايته ورعايته منذ اشرافه على رسالتي فجزاه اللّه خير الجزاء ، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذيّ الفاضلين الأستاذ الدكتور : عبد الكريم خليفة ، والدكتور محمد حسن عوّاد على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة ، وسيكون لملاحظاتهما وتوجيهاتهما كبير الأثر في اغناء هذه الرسالة ، كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الأردنية .

وختاما : أسأل اللّه سبحانه أن يكون عملي المتواضع هذا خالصا لوجهه الكريم ، وأن يرزقنا السداد في القول والاخلاص في العمل ، والحمد لله ربّ العالمين .

وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــل الأول :

القـــرآن الكريـــم والنـفـــس الانسانـيـــة :

(١) الاقـنـــاع عـنـــد أهـل اللـغـــة وأهـــل الاصـــــــطـلاح .

(٢) الاقـنـــاع بـــين الـعـقـــل والـعـاطـفـة في القرآن الكريـــم

(٣) القـــــــرآن الكريـــم والـبـلاغـــة الـعـربـــيـــــة

(٤) تـعـــدد الأسالـــيب الاقـنـاعـيـة في القـرآن الكريـــــم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القرآن والنفس الانسانية :

إنّ القرآن الكريم ـ وهو كتاب الانسانية الخالد ـ قد اجتمعت له عناصر الاعجاز في جوانبه المختلفة ، واكتملت له وسائل الدعوة في مواضعه المتعددة ، فكان نورا وبرهانا للعالمين ، ودعوة ومنهاجا للعالمين ، وحين تحدث عن نفسه قال : (هَـٰذَا بلاغٌ للنّاس ولِيُنْذَروا بهِ ولِيعْلَموا أنّما هوَ إلـهٌ واحدٌ ولِيَتَذكّرَ أولُوا الألبَابِ) (١) ، وقال أيضا : (يـا أيّها النّاسُ قَدْ جَاءكم برهَانٌ منْ رَبّكُم وأنْزَلنَا اليكم نُورا مبينا) (٢) .

لقد كانت الدعوة الالهية التي حمل لواءها القرآن الكريم موجهة الى البشرية كافة ، والى الأجيال المتعاقبة ، فكان لا بدّ أن تكون دعوة شاملة مرنة لتفي بحاجات النفوس جميعها الى الاقناع والامتاع في كل مكان وزمان ، وكان لا بُدّ أيضا أن تتوفر فيها المناهج السديدة ، والوسائل الفعّالة لبلوغ هذه الغاية السامية التي فيها انقاذ للانسانية الضالة ، وبناء لصرح الاسلام على أنقاضها المتداعية .

ومن هنا اتجهت هذه الدعوة الى النفس الانسانية لتعيد بناءها من الداخل على المبادىء السليمة ، وتزيل ما ترسب فيها من عقائد باطلة .

وقد استطاعت هذه الدعوة منذ نزولها أن تصل الى أعماق النفس البشرية ، وتحدث فيها تغييرا كبيرا قادها الى الهداية والرشاد ، بعدما عجزت دعوات بشرية وسماوية محرّفة عن تحقيق ذلك .

إنّ الوصول الى هذه الغاية يعود أساسا الى خصائص هذه الدعوة ووسائلها ، وبمعنى آخر يعود الى الاقناع القرآني المناسب للفطرة الانسانية ، مع توفّر النبي الملهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي بلّغ وبيّن .

يقول الأستاذ عبد اللّه دراز(٣) ـ رحمه اللّه تعالى ـ : ـ " إذا كان القرآن ـ بعيدا عن أي عامل خارجي ـ قد أثّر بصفة دائمة على عقول جد مختلفة فلا بد أن يكون ذلك راجعا الى ما فيه من جاذبية خاصة بتوافقه الكامل مع أسلوب الناس الفطرى في التفكير والشعور ، وباستجابته

---

(١) سورة ابراهيم ، الآية : ٥٢

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٧٤

(٣) الدكتور محمد عبد اللّه دراز أحد علماء الأزهر الشريف ، نال درجة الدكتوراه من جامعة السربون الفرنسية ، من أهم انجازاته حصوله على عضوية كبار العلماء في مصر ، واختياره عضوا في اللجنة العليا لسياسة التعليم ، وله مؤلفات كثيرة أشهرها " النبأ العظيم " ـ توفي سنة ١٩٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لما تتطلع اليه نفوسهم في شؤون العقيدة والسلوك ، وبوصفه الحلول الناجعة للمشكلات الكبرى التي تقلق بالهم ، وبمعنى آخر لا بد أنه ينطوى على ما يشبع حاجتهم الى الحق والخير والجمال بما يجمع صفات العمل الديني والأخلاقي والأدبي في آن واحد " (١) .

فالاقناع في القرآن الكريم فن قائم بذاته ، له وسائله الخاصة به والمرتبطة في الأساس بحاجات النفوس ، ودراسة بعض هذه الوسائل تقتضي منا في البداية تحديدَ مفهوم الاقناع ، ثم نقف عند خصائصه النفسية في القرآن الكريم ، ثم نَدرس الأدوات البلاغية التي لها علاقة بالنفس الانسانية .

---

(١) مدخل الى القرآن الكريم ـ ص ٧٠ ـ ط٣دار القلم الكويت . ١٩٨١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١) الاقنـــاع عـنـد أهـــل اللـغـــة وأهـــل الاصـطـــلاح : -

الاقناع عند أهل اللغة هو الرضا ، وأصله مادة (قَنِعَ) ، تقول العرب : قَنِعَ بنفسه قنعا وقناعة : رَضِيَ ، وتقول : أقنعني كذا أي أرضاني ، ومن أمثالهم : خيرُ الغِنى القنوعُ وشرُّ الفقر الخضوعُ (١).

فمادة (قنِعَ) تستعملها العرب للدلالة على رضا النفس ، غير أن كلمة (اقنـــاع) المشتقة من هذا الأصل قد ترد للدلالة على معاني أخرى ،كما في قوله تعالى : (مُهْطِعِيـــنَ مقنِعِي رُؤُسِهم لاَ يَرتَدُّ إليْهم طَرفُهم وأفئِدتُهم هَواء) (٢) ، فاقناع الرأس بمعنى رفعه والنظر في ذل وخشوع ،أما في قوله تعالى : (فاذا وَجَبَت جُنُوبُها فكُلُوا مِنْهَا واطعِمُوا القَانِع والمعتَرَّ) (٣) فالقانع من القنوع وهو السؤال والتذلل للمسألة ، وقد قيل : هو من القنوع الذى بمعنى الرضا باليسير من العطاء (٤) ولكلمة (اقناع) معاني أخرى لا يتسع المقام لسردها كلّها ، وما يمكن أن يستخلص هو أن الدلالة المعنوية لكلمة (اقناع) عند اللغويين هي رضا النفس ، وهي المقصودة في هذه الدراسة .

أما الاقناع عند أهل الاصطلاح قديما فيحدد مفهومه حازم القرطاجنّي (٥) (ـ ٦٨٤هـ) في كتابة " منهاج البلغاء " فيقول : " هو حملُ النفوسِ على فعل شيءٍ أو اعتقاده أو التخلي عن فعلـــه واعتقاده "

ويتلاقى هذا المفهوم الواضح والمحدد للاقناع مع المعنى اللغوى الحقيقي للكلمة وهو رضا النفس ،كما أنه يتلاقى مع المفهوم الحديث للكلمة كما سيأتي بيانه .

وبهذا المعنى كان البلغاء والأدباء في القديم يستعملون هذه الكلمة،ويمكن كذلك أن يُستشفّ من خلال كلامهم معنى الاقناع وان لم يصرّحوا بلفظه يقول الجاحظ مثلا : " إذا كان المعنى شريفاً واللفظُ بليغاً وكان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه ، وكان منزهاً عن الاختلال ، مصوناً عن التكلف ، صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة " (٦) .

---

(١) لسان العرب ـ ابن منظور (ـ ٧١١هـ) ـ مادة (قنع) ـ ط دار صادر بيروت .

(٢) سورة ابراهيم ، الآية ٤٣

(٣) سورة الحج ، الآية ٣٦

(٤) ينظر لسان العرب ـ مادة (قنع) .

(٥) حازم القرطاجني (ـ ٦٨٤هـ) أحد علماء القرن السابع الهجرى في الاندلس والمغرب ـ كان شاعرا وعالما وناقدا له مصنفات في النحو والبلاغة والنقد أشهرها (منهاج البلغاء) .

(٦) منهاج البلغاء وسراج الادباء ـ ص ٢٠ ـ تحقيق محمد بن الخوجة ـ ط تونس ١٩٦٦ .

(٧) ينظر مثلا بيان اعجاز القرآن ـ الخطابي (ـ ٣٨٨هـ) ـ ص ٢٤ ـ ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن . تحقيق محمد خلف اللّه وزغلول سلام ـ ط٢ ـ دار المعارف ١٩٦٨م .

(٨) عن دفاع عن البلاغة ـ أحمد حسن الزيات ـ ص ١٢٧ ـ ط٢ عالم الكتب القاهرة ١٩٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذا الصنيع الذى يحدثه الكلام البليغ في قوى النفس هو ما نفهمه نحن الآن من لفظ الاقناع ·

ونلمس هذا المعنى أيضا عند الرمّاني (ـ ٣٨٦هـ) الذى يقول عن البلاغة : " هي ايصال المعنى الى القلب في أحسن صورة من اللفظ " (١) .

فتوصيل المعنى الى النفوس هو غاية من غايات الاقناع ان لم يكن هو الاقناع نفسه ·

وكثيرا ما يستعمل أهل الكلام والفلسفة كلمة (التَّصْدِيق) للدلالة على الاقناع العقلي الذى يحصل للنفوس ، يقول مثلا ابن رشد (ـ ٥٩٥هـ) : "إنّ طباعَ الناس متفاضلة في التصديق ، فمنهم من يصدّقُ بالبُرهان ، ومنهم من يُصدِّقُ بالأقاويل الجدلية تصديق صاحب البرهان بالبرهان ، اذ ليس في طباعه أكثر من ذلك ، ومنهم من يصدق بالاقاويل الخَطَابية كتصديق صاحب البرهان بالأقاويل البرهانية " (٢) .

فالتصديق هنا هو الاقناع العقلي الذى يحصل للنفوس على حسب تفاوتها في الادراك ، فهي تقتنع بالأدلة التي تناسب مستواها الفكرى والثقافي ·

والاقناع في الاصطلاح الحديث هو حمل الانسان على اعتقاد رأى للعمل به (٣) ، وجاء أيضا في الموسوعة البريطانية أنّ الاقناع هو العملية التي بها يُؤثر الخِطَابُ في مواقف الانسان وسلوكه بدون اكراه اوقَسْرٍ (٤).

ولا يختلف هذا المفهوم الحديث للاقناع عن المفهوم اللغوى والاصطلاحي القديم ، فغاية الاقناع واحدة وهي بعث الرضا في النفوس ، وحملها على قبول ما رجح عندها من أدلة وبراهين ، ودفعها الى العمل بما رضيت واعتقدت ·

والمقصود بالاقناع القرآني ـ بعد هذا كله ـ أنه العملية التي بها يؤثر الخطاب الالهي في النفس الانسانية على اختلاف مشاربها ، وتفاوت طبائعها ، وتعاقب أجيالها ، ويحملها على الرضا والعمل بأصول الدين وتعاليمه ·

---

(١) النكت في اعجاز القرآن ـ ص ٧٥ ـ ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ـ تحقيق محمد خلف اللّه وسعد زغلول سلام ـ ط دار المعارف ـ ١٩٦٨ ـ مصر ·

(٢) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ـ ص ٣١ ـ تحقيق محمد عمارة ـ ط٣ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٦م ·

(٣) Grand LaroUsse EncyclopediqUe (PersUqsion) - Libraire LaroUsse - France

(٤) Encyclopaedia Britanica (PersUasion) 15 th edition-

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢) الاقناع بين العقل والعاطفة في القرآن الكريم :

إنّ النفس الانسانية بقوتيها : العقل والعاطفة تجنحُ دائما ـ سيرا على سنن اللّه ـ في طبائع النفوس ـ إلى ارضاء هاتين القوتين ، ومدِّهما بما تحتاجان من امتاع واقناع .

فأما قوة العقل فهي تلك الغريزة التي بها يعرف الانسان ويفكر ويعلل ويستنبط، وهذه القوة تحتاج في ثقافتها والتأثير فيها الى الحقائق الصحيحة المعقولة بالبراهين الصادقة ؛ وأما قوة العاطفة فهي التي بها يشعر الانسان ويتخيّل ، ومجال التأثير فيها لا يعتمد على افهام الحقائق ، وبسط البراهين ، وانما يتجه الى ايقاظ الشعور وبعث الخيال [١] .

وتعمل هاتان القوتان في تناوب عجيب ، وتناسق دقيق ، ولا تقصد النفس الانسانية الى هاتين الغايتين قصدا واحدا [٢]، فلكل قوة مجالها الذى تعمل فيه ، ولا يمكن لأى منهما أن تعمل عمل الاخرى ، وبهذا التناسق في العمل تحافظ النفس على توازنها ، وتحصل على القوة العملية لتنفيذ ما تأثرت به وما اعتقدته .

وقد ذُكر في السابق أن عملية الاقناع تتجه الى ارضاء قوى النفس البشرية جميعها ، ولهذا لا يمكن الفصل في هذه العملية بين العقل والعاطفة ، لأن رضا أحديهما لا يعني بالضرورة رضا الأخرى ، فقد يميل العقل الى حجة أو برهان ، في حين تجد العاطفة مضطربة غير مطمئنة لذلك الموقف .

ومثال هذا التكامل بين العقل والعاطفة في عملية الاقناع ذلك الانسان الذى يُطلَبُ منه أن ينام في بيت فيه مَيِّت ، فتجد أنّ قوةَ الارادة عنده ترفض النوم على الرغم من أن عقله يدرك تماما أن هذا الميّتَ لا يضرُّه بشيء ، فقوة العاطفة التي سجلت احساسها بالخوف هي التي لم تحصل على نصيبها من الاقناع ، ومن هنا كانت العملية ناقصة في احدى جوانبها الضرورية .

وكذلك الحال بالنسبة للإنسان الذى قد يتصرف تصرفا خاطئا في غياب قوته العقلية كأن يضرب أو يقتل انساناً آخرَ ، وفي مثل هذه الحالة تجد أن القوة العاملة هي العاطفة التي تسجل احساسها بالغضب أو الألم في حين تُعَطَّلُ قوة العقل .

فعملية الاقناع لا تعتمد على تحريك العقل وحده دون هَزٍّ للعاطفة ، ولا على تحريك المشاعر الوجدانية دون مشاركة للقوى العقلية ، وانّما تتكامل العملية في جوانبها كلّها ، لتأخذ فيها جميع قوى النفس نصيبها المطلوب من التأثير والاقناع .

ويُلاحظُ هذا الترابط بين العقل والعاطفة في خطاب القرآن الكريم الذى جاء ليشبع قوى النفس جميعها ، فمن ذلك قوله تعالى : (أفَلَمْ يَسيروا في الارضِ فَتَكُونَ لَهم قلوبٌ يَعقِلُونَ بِها أو آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها فإنّها لا تَعْمَى الأبصارُ ولكِنْ تَعمَى القلوبُ الّتي في الصُّدُورِ) [٣].

---

(١) ينظر : الأسلوب ـ أحمد الشايب ـ ص ٢٢ ـ ط ٦ مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦

(٢) ينظر : النبأ العظيم ـ عبد الله دراز ـ ص ١١٣ ـ ط ٤ دار القلم الكويت ١٩٧٧

(٣) سورة الحج ، الآية : ٤٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال أيضا : (أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القرآنَ أم عَلَىَ قلوبٍ أَقْفَالُهَآ (١) .

فقد ربط اللّه سبحانه وتعالى في الآية الأولى بين القلب منبع العواطف والمشاعر وبين العقل آلة التفكير والتمييز ، وركّز على محل القلب فقال (القلوبُ التي في الصُّدُورِ)، وقيل : استُعْمِل القلبُ في هذه الآية بمعنى العقل (٢) ، أما في الآية الثانية فقُرِن التدبّرُ وهو عمل العقل بالقلب ، ومن هنا " لا يخرج العقل على أن يكون ربيبَ القلب ، وغَذِىَ ماء الحياة الذى يمدّه به " (٣) .

وجاء أيضا في تفسير قوله تعالى : (وإذْ قَالَ إبراهيمُ رَبِّ أرِنِى كَيْفَ تُحْيِي المَوتَى قال أو لَم تُؤمِن قَالَ بَلَىَ ولكِن لِيَطمئِنَّ قَلْبِى) (٤) أنّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ طلب طمأنينة القلب حتى يسكن فكره في الشيء المعتقد ، فهو يوقن بالبعث الأخروى ، ولكن أراد أن يزداد بصيرة وسكون قلب برؤية الإحيَاءِ فوق سُكُوتِهِ بالوحي ، لأنّ تظاهر الأدلة أسكن للقلوب ، وأزيد للبصيرة واليقين (٥) .

فحصول الرضا التام ، والاقناع الكامل هو المقصود ، والنفس قد تنقبض عن مطاوعة ما صدّقه العقل ، وان كانت مؤمنة موقنه به (٦) .

لقد كانت غاية القرآن الكريم هي بيان وترسيخ الأسس الرئيسية التي يقوم عليها كيان العقيدة السليمة ، وأقربُ الطرق للوصول الى هذه الغاية هي الوفاء بحاجات النفس الانسانية ، واشباع قواها العقلية والوجدانية ، ليكون الاقناع ثمرة منبعثة من العقل والقلب معا (٧) ، وليؤدى هذا الاقناع الى اتباع العقيدة وفق المنهج الذى رسمه القرآن الكريم .

وعن هذا التلازم بين العقل والعاطفة في أسلوب القرآن الكريم يقول الأستاذُ عبد اللّه دراز ـ رحمه الله ـ : " أمّا ما يبدو فوق طاقة البشر حقا في الأسلوب القرآني ، فهو أنّه لا يخضع للقوانين النفسية التي بمقتضاها ترى العقل والعاطفة لا يعملان الاّ بالتبادل وبنسب عكسية ، بحيث يؤدى ظهور احدى القوتين الى اختفاء الأخرى ففي القرآن لا نرى إلاّ تعاوناً دائما في جميع الموضوعات التي يتناولها بين هاتين المتنافرتين " (٨) .

فهذه هي طريقة القرآن الكريم في الوصول الى أعماق النفس البشرية ، وبعد هذا الاجمال يأتي التفصيل .

---

(١) سورة محمد الآية : ٢٤

(٢) تفسير المنار ـ رشيد رضا ـ ص ٤١٩ ـ ج ٩ ـ ط٢ دار المعرفة ـ بيروت .

(٣) التفسير القرآني للقرآن ـ عبد الكريم الخطيب ـ ج ٣ ـ ص ١٠٥٤ ـ ط دار الفكر العربي ـ مصر .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٠

(٥) ينظر الكشاف ـ الزمخشرى (ـ ٥٣٨هـ) ـ ج ١ ـ ص ٣٠٩ ـ ط دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٦

(٦) ينظر الميزان في تفسير القرآن ـ محمد الطباطبائي ـ ج ٢ ـ ص ٣٧٣ ط٣ مؤسسة الاعلى بيروت ١٩٧٣ .

(٧) ينظر في رحاب القرآن ـ محمد حسن آل ياسين ـ ص ٦١ ط١ دار المعارف ـ بغداد ١٣٨٨هـ

(٨) مدخل الى القرآن الكريم ـ محمد عبد الله دراز ـ ص ١١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(أ) القرآن والعقل :

يقول السيوطي (ـ ٩١١هـ) : " أكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم ، وكمال أفهامهم ، ولأنّ هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر الى يوم القيامة،خُصّت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر " (١) .

لقد جاء القرآن الكريم معجزة عقلية تلائم عالميةَ الدين وخاتميتَه،وكان حجة ربّانية تعيها أُذُنٌ واعية ، وتفقهها ألبابٌ متفتحة ، قال تعالى : (يَآ أيُّهَا النّاسُ قَدْ جآءكم بُرْهَانٌ مِنْ رَبّكُم وأنزَلْنَا إليكُم نُوراً مبيناً) (٢) ، وقال أيضا : (كِتَاب انْزَلْنَاهُ إليْكَ مبَارِكٌ لِيَدّبّرُوا آياتِه وليتذَكّرَ أولُوا الألبَاب) (٣) .

فالقرآن الكريم وهو حجة الله الكبرى يخاطب العقل ، ويقويه بالدليل ، ويُبصّره السبيل ، ويدعوه الى التدبر الهادىء المستنير ، وقد هيّأ الله سبحانه هذا العقل " فجعله مَعْدِن الحكمة ، ومقتبس الآراء ، ومستنبط الفهم ، ومعقل العلم ، ونُور الأبصار " (٤) ، وعندما تحدث عنه في كتابه الكريم أشاد به ، ودعا الى استخدامه صراحة وضمنا ، وجملة وتفصيلا ، حتى بدا ذلك واضحا بجلاء في آياته .

فقد وردت في القرآن الكريم ألفاظ كثيرة عن العقل ومشتقاته ومترادفاته حتىّ بلغت في مادة العقل وحدها (٥٨ مرة) ، وفي مادة الفكر (١٧ مرة) ، وفي مادة اللب (١٦ مرة) ، وهذا غير مواد أخرى كالنظر والاعتبار والتدبر (٥) .

وهذا الفيض الكثير من الآيات الدالة على استخدام العقول لادراك الحقائق ، والداعية الى النظر في الآيات الالهية الصامتة والناطقة ، تحقق في الوقت نفسه حاجة هذه العقول الى الاقناع بما يبسط أمامها من دلائل الحق الظاهرة ، وبراهين الصدق المعروضة في آى القرآن الكريم .

---

(١) الاتقان في علوم القرآن ـ ج ٢ ـ ص ١٤٨ ، ١٤٩ ، ط دار المعرفة بيروت .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٧٤

(٣) سورة ص ، الآية : ٢٩

(٤) العقل وفهم القرآن ـ الحارث المحاسبي (ـ ٢٤٣هـ) ـ ص ٢٦٦ ـ تحقيق حسين القوتلي ، ط٢ دار الفكر للطباعة ١٩٧٨ .

(٥) ينظر مجلة الوعي الاسلامي ـ عدد ٣٠٥ ـ ديسمبر ١٩٨٩ ـ مقال : التعقل في مجال العقيدة ـ أ ـ محمد على بن حمزة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يتسع المقام هنا لذكر الآيات القرآنية التي تخاطب العقل لأنها تشمل القرآن الكريم كلّه ، ونكتفي بذكر بعض الآيات التي تجمع بين بسط الدليل المشبع والحقيقة البديهية أمام العقل،وبين الاشادة بهذا العقل مع بيان وظيفته ، فمن ذلك قوله تعالى : (هَـذَا بلاغٌ للنّاسِ ولِيُنذَروا به ولِيَعْلَمُوا أنّمآ هوَ اللّهُ وَاحِدٌ ولِيذكّرَ أولُو الألباب (١) ، وقوله أيضا : (أفَلَم يَنْظُرُوا الى السّمَآءِ فوقَهُم كيْفَ بَنَيْنَاهَا وزَيّنّاهَا ومَا لَهَا مِن فُرُوج والأرْضَ مَدَدْنَاهَا وألْقَينَا فيهَا رَوَاسِيَ وأنبتْنَا فيها مِنْ كلّ زَوْج بَهِيج تَبْصِرَة وذِكْرَى لِكلّ عَبْد مُنِيب) (٢).

فهاتان الآيتان تدلان على وظيفة العقل الأساسية التي خلق من أجلها (٣) فاذا أدى هذا العقل الواعي وظيفة التفكر والتدبر والنظر في الحقائق الالهية المبسوطة في الكون البديع الصامت ، وفي القرآن العظيم الناطق أدرك سر وجوده ، واقتنع بحقيقة مصيره .

وقال تعالى أيضا : (إنّ فِي خَلْقِ السّمواتِ والأرضِ واختلافِ اللّيلِ والنّهارِ والْفُلْكِ التي تَجْرِي في البَحْرِ بمَا يَنْفَعُ النّاسَ ومَا أنزَلَ اللّهُ مِنَ السّمآءِ مِنْ مآءٍ فَأحْيَا بِهِ الأرْضَ بعد مَوْتِهَا وبَثّ فِيهَا مِن كُلّ دآبّةٍ وتَصْرِيفِ الرّيَاحِ والسّحَابِ المُسَخّرِ بَيْنَ السّمَاءِ والأرضِ لآيَاتٍ لقوم يَعقِلونَ) (٤).

فهذا استدلال الهي مادتُهُ هذا الكونُ البديع الذى أحكم اللّه بناءه ، وأتقن صنعه، وجعل فيه من المعالم والآيات الناطقة بالحق ، الدالة على وجود الاله الخالق القادر ، ولا يدرك هذه الآيات الظاهرة الا أصحاب العقول المستنيرة .

يقول الجاحظ (ـ ٢٥٥هـ) : " العقل هو المُسْتَدِلُ ، والعِيَانُ والخَبَرُ هما علةُ الاستدلال وأصله ، ومحالٌ كونُ الفرع مع عدم الأصل " (٥) والعِيان هو ما يراه المرءُ بعينه من كائنات وأفلاك ومخلوقات تدل على الخالق جل وعلا ، والخبر هو ما أخبر به تعالى عباده في كتابه المنزّل ، ومن هنا فأصول الاستدلال موجودة ، وتبقى وظيفة العقل هي إدراك هذه الأدلة عن فهم واقتناع .

---

(١) سورة ابراهيم الآية : ٥٢

(٢) سورة ق الآية : ٦ ـ ٨

(٣) ينظر الكشاف ـ ج ٤ ـ ص ٣٨١ ، وينظر التفسير القرآني للقرآن ـ عبد الكريم الخطيب ـ ج ٣ ـ ص ٢٠٧

(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٦٤

(٥) رسائل الجاحظ ـ (حجج النبوة) ـ ج ٣ ـ ص ٢٢٦ ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ ط مكتبة الخانجي (القاهره) ١٩٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ القرآن الكريم "لا يذكر العقل إلّا في مقام التعظيم والتنبيه الى وجوب العمل به، والرجوع اليه ، ولا تأتي الاشارة اليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية ، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة بالملفظ والدلالة "(١) ، ولعل في هذا الاهتمام اشارة الى أهميته في البحث والوصول الى الحقائق ، وفيه أيضا تلبيةٌ لحاجته الى قوة الاقناع التي يتطلع اليها دائما مع مرور الأزمان ، وتعاقب الاجيال ، فالذى يحتاجه من الأدلة والبراهين موجود في آيات الكون الفسيح والقرآن الكريم ، لكن لا يدرك هذا الّا العقل الذى حَسُنَت استخداماته ، ولم تُعطّل قدراته ، ومن هنا دعا القرآن الكريم الى النظر والتأمل في الوجود بجملته ، وذم أقواما عطلوا قدراتهم العقلية ، ولم يوجهوها الوجهة الصحيحة فقال في حقّهم : (وقالوا لو كُنّا نسمعُ أو نعقِلُ مَا كُنّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) (٢) .

ومن الآيات الكثيرة الحافلة بالدعوة الى التأمل والتدبر في آيات اللّه سبحانه قوله تعالى : (قُلْ سِيرُوا في الأَرْضِ فانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُجْرِمِينَ) (٣) ، وقوله ايضا : (أولَمْ يَنْظُرُوا في مَلَكُوتِ السَّمواتِ والأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيءٍ وأنْ عَسَى أَنْ يَكُون قَدْ اقترب أَجَلُهم فَبِأيِ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ)(٤) .

وقوله أيضا : (أولَمْ يتفكروا في أَنْفُسِهِم مَا خَلَقَ اللّهُ السَّمواتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلّا بِالحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمّى وإنَّ كَثِيراً مِنَ النّاسِ بِلِقَاءِ رَبّهِم لَكَافِرُونَ) (٥) .

فهذه أمثلة قليلة من فيض كثير من الآيات الداعية الى اجالة الفكر فيما خلق اللّه ، وايقاظ غريزة التأمل ، وتنبيه ملكة الاستبصار ، كل ذلك لتطوف بالعقل في جميع أدوار التربية والنمو ، حتى يصبح قادرا على الحكم على ما هو حق وما هو باطل، وما حسن ، وما هو قبيح(٦) ، وحتى يأخذ نصيبه من الاقناع المطلوب دون قسر أو جبر ، * فبالفكر والاعتبار يُتّقَى الزللُ والعِثَارُ " (٧) .

---

(١) التفكير فريضة اسلامية ـ العقاد ـ ص٢٨٣ ـ ضمن المجموعة الكاملة المجلد ٥ ـ ط دار الكتاب اللبناني .

(٢) سورة الملك ، الآية ١٠

(٣) سورة النمل ، الآية : ٦٩

(٤) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٥

(٥) سورة الروم ، الآية ٨

(٦) ينظر مجلة الازهر ـ عدد ٥ ـ مجلد ٣٥ ـ مقال الفكر في الاسلام ـ لعباس طه .

(٧) البرهان في وجوه البيان ـ أبو الحسين اسحاق بن وهب الكاتب (ـ ق٤هـ) ـ ص ٥٩ تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ـ ط١ بغداد ١٩٦٧م .

٣٨٨٤٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ب) القـــرآن والـعـاطـفـــة :

ذُكِـر فيما سبق أن عناية القـرآن الكريـم بالعقل كبيرة ، واهتمامـه بـه عظيم ، فهـــو يخاطبـه بالحجـة الظاهـرة ، والدليل المقنـع ، ويدعـوه الى التأمـل الهادىء لادراك الحقائـق . لكـن الملاحـظ في أسلوب القرآن الكريـم أن قـدراً كبيراً من هـذا الاهتمام مُوجـهٌ الى جانـب آخـر هـو العاطفة ، وبالتوازى مع العقل ، لأنّ غايـة القرآن هـي مخاطبة النفس الانسانية ، والنفس عقـل ووجـدان ، ومـا كـان القرآن الكريم ليصـل الى غايتـه من الاقناع بمخاطبـة جانب وتعطيـل آخـر ، بـل هـو يراعي ملكـات النفس جميعهـا ويجعلها تتعاون كلُّهـا من أجـل بلوغ هـذه الغاية .

والعاطفة هـي الاتجـاه الوجداني في الانسـان ، وهي القـوة التي تُسجّل مشاعرهـا بمـا في الأشياء من لـذة وألـم ، وقـد خاطبها القرآن الكريم مثلمـا خاطب قـوة الادراك ، وعمـد الـى لمسها وتحريكهـا وايقـاظ أحاسيسهـا لينفـذ إليها الاقناع المناسب لطبيعتها .

ويلاحـظ في آيـات القرآن الكريم أن تحريك العواطف الانسانية لا يظهـر في تلك الـتي يكـثر فيها الترغيب والترهيـب ، أو الوعيـد والتهديـد ، أو التعظيم والتهويل فحسب، بل يتجلـى حتىّ في تلك التي تساق للجـدل والبرهنـة ، فهي تقـدم الدليل العقلي ولا تنسى نصيب القلـب من تشويق وترقيق ، وتحذيـر وتنفـير ، وتهويـل وتعجيـب ؛ فمثلا نجـد في قولـه تعالى : (لَـوْ كَـانَ فِيهِمـا آلِهَـةٌ إِلَّا اللَّـهُ لَفَسَدَتَـا فَسُبْحَانَ اللَّـهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّـا يَصِفُـونَ) (١) اجتمـاع الاستدلال مـع التهويـل والاستعظام فـي هـذه الكلمـات القليلـة (٢) .

لقـد كثـر في القرآن الكريم استعمال كلمـة " القلب " للدلالـة على الفطـرة السليمـة، والعـواطف المختلفة ، فمـن ذلك قولـه تعالى : (إِنَّ فِـي ذَلِكَ لَذِكْـرَى لِمَـنْ كَـانَ لَـهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَـى السَّمْعَ وَهُـوَ شَهِيـدٌ) (٣) .

فالمقصـود بالقلب في الآيـة محـل الهدايـة والايمان والضبـط والفهم ، وهـو هنـا بالمعنى العـام للضمير الانساني ، لكن استعمالـه بمعنى الوجدان الروحي يستفاد من قولـه تعالى : (فَبِمَـا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّـهِ لِنْتَ لَـهُمْ وَلَوْ كُنْـتَ فَظّـاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّـوا مِنْ حَوْلِكَ) (٤) .

---

(١) سورة الأنبيـاء ، الآيـة : ٢٢

(٢) ينظـر النبـأ العظيم ، عبـد اللـه دراز - ص ١١٦

(٣) سورة ق ، الآيـة : ٣٧

(٤) سـورة آل عمـران ، الآيـة : ١٥٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلو كان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قاسيّ القلب ما تالفت حوله القلوب ، ولا تجمعت حوله المشاعر ، فالناس في حاجة كنف رحيم ، ولا ينبعث هذا الاّ من قلب ذى عاطفة لينة رحيمة كلها رفق ولين وحنان (١).

ويُصوّر القرآن الكريم أنواعا من العواطف الجيّاشة المنبعثة من قلوب المؤمنين كالاطمئنان والرضا والخوف والوجل والرأفة ، يقول تعالى : (وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الذِينَ اتَّبَعُوهُ رأفَةً ورحْمَةً ورهبانيةً ابتدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِم إلاّ ابتِغَاءَ رِضوانِ اللّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا) (٢) .

ويقول أيضا : (إنّمَا المُؤمِنُونَ الذِينَ إذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَت قُلُوبُهم وإذَا تُلِيَت عَلَيْهِم آياتُهُ زَادَتْهُم إيمانا وعَلَى رَبّهِم يَتَوكَلُونَ) (٣) ، ويقول أيضا : (اللّهُ نَزّلَ أحْسَنَ الحَدِيثِ كتاباً متشابِهاً مَثَانِي تَقْشَعِرُّ منه جلودُ الذِينَ يَخْشَوْنَ ربّهُم ثُمّ تلِينُ جُلُودُهم وقُلُوبُهم إلَى ذِكْرِ اللّهِ) (٤) .

فعواطف الرأفة والرحمة ، والخشية والوجل ، لا تنبعث الاّ من القلوب المطمئنة بالايمان ، الراضية بالحق ، الراغبة عن العصيان . ويقول تعالى عن هذه القلوب السليمة : (ولَكِنّ اللّهَ حَبّبَ إلَيْكُم الإيمَانَ وَزَيّنَهُ فِي قُلُوبِكُم وَكَرّهَ إلَيْكُم الكُفْرَ والفُسُوقَ والعِصْيَانَ) (٥) .

فكلمات ("حبّبَ " ، وَ " زيّنَ " وَ "كَرّهَ " انما يعرفها معجم القلوب (٦) ، وهي من المشاعر التي خَصّ اللّهُ بها عباده المؤمنين .

واذا كانت هذه هي عواطف القلوب المؤمنة ، فعواطف القلوب الكافرة على النقيض من ذلك ، يقول تعالى : (وإذَا ذُكِرَ اللّهُ وَحْدَهُ اشْمَأزّت قُلُوبُ الذِينَ لاَ يُؤْمِنُون بالآخِرَة) (٧) ، ويقول أيضا : (سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الذِينَ كَفَرُوا الرُعْبَ بِمَا اشْرَكُوا باللّهِ مَا لَمْ يُنزِل بِهِ سلطانا) (٨) ، ويقول أيضا : (فِي قُلُوبِهم مَرَضٌ فزادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً) (٩) .

فالخوف والرعب والاشمئزاز والاضطراب ، عواطف لا تنبعث الا من القلوب المريضة .

---

(١) ينظر في ظلال القرآن - سيد قطب - ج ١ - ص ٥٠٠ ، ٥٠١ - ط ١١ دار الشروق ١٩٨٥

(٢) سورة الحديد ، الآية ٢٧

(٣) سورة الانفال ، الآية ٢

(٤) سورة الزمر ، الآية ٢٣

(٥) سورة الحجرات ، الآية : ٧

(٦) ينظر مجلة الارشاد (المغرب) - عدده - السنة ١٩ - مقال : " الاسلام بين الحب والاقناع " - لأحمد الكتابي .

(٧) سورة الزمر ، الآية ٤٥

(٨) سورة آل عمران ، الآية : ١٥١

(٩) سورة البقرة ، الآية : ١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الايات التي تبين اهتمام القرآن الكريم بالعاطفة قوله تعالى : (والأنعامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ)(١)

فهذه الانعام التي خلقها الله سبحانه لغرض الانتفاع بها قد زاد عليها نعمة التجمل بها (٢)، وهي النعمة التي يستشعرها الانسان بوجدانه حين يرى هذه الانعام فتنبسط نفسه ، ويستريح فؤاده ، والجمال محرّك للعواطف ، مثير للمشاعر .

إنّ اهتمام القرآن الكريم بالعاطفة ومخاطبته لها ، واعتماده عليها في مؤازرة العقل يظهر في آيات القرآن كلها ، فهذا القرآن الذى قال عن نفسه : (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ منهُ جلودُ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهم وقلُوبُهم إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)(٣) هو الكتاب الذى تهز آياته القلوب ، وتحرك خطاباته المشاعر بما فيها من حقائق الصدق ، وروعة الاعجاز .

والحقيقة " أن الدين - أى دين - يقوم في صميمه على آثار العاطفة ، وتحريك الوجدان ، وهذا لا يكون الاّ اذا خفق القلب خفقات الحب والشوق بما يحمل اليه العقل من أسرار هذا الوجود وما في هذه الاسرار من روعة الحكمة ، وعظمة القدرة ، وسلطان العلم "(٤)

ويرى عالم الاجتماع جوستاف لوبون (٥) ان التأثير في الجماعات لا يكون إلاّ بمخاطبة مشاعرها وعواطفها ، فيقول : " لقد بيّنا أنه لا يؤثر في الجماعات بالمعقولات ، وأنّ الجماعات لا تفقهُ ما غلط من الخواطر المتنادية ، والجماعات هي التي يخاطب الخطباء مشاعرها ، لا عقلها أبداً ، والجماعات هي التي لا تأثير لسُنَنِ المنطق العقلي فيها ، ومن يرغب في اقناع الجماعات فعليه أن يلتفت الى ما يثيرها من المشاعر ، وأن يتظاهر بمشاطرتها هذه المشاعر " (٦) .

ولا ينطبق هذا الرأى على القرآن الكريم في اقناعه ، ذلك انّه يراعي ملكات النفس جميعها ، ولا يهتم بجانب ويعطّل آخر ، بل ينفذ الى النفس من جميع منافذها ، وفي بحاجة الغرائز كلّها الى الاقناع الكامل ، وغاية القرآن الكريم هي " أن يبقى الانسان في حالة حضوره الفكرى والوجداني ، لأنّ الفكرَ بلا وجدان جمرةٌ منطفئة ، ولأنّ الوجدانَ بلا فكر تَسَيُّبٌ بلا قانون " (٧) .

---

(١) سورة النحل ، الآية ، ٥ ، ٦

(٢) ينظر الكشاف - ج ٢ - ص ٥٩٤

(٣) سورة الزمر ، الآية ٢٣

(٤) ينظر مجلة " التضامن الاسلامي " (السعودية) - الجزء ٦ - ذو الحجة ١٣٩٨هـ - مقال " منهج البحث في العقيدة والشريعة " - لد. عبد الكريم الخطيب .

(٥) جوستاف لوبون (١٨٤١ - ١٩٣١م) أحد علماء النفس والاجتماع والفلسفة في فرنسا، له كتب كثيرة أشهرها (حضارة العرب) و (روح الجماعات) .

(٦) روح الجماعات - ص ١٠٥ - ترجمة عادل زعيتر - ط دار المعارف ١٩٥٥هـ .

(٧) ينظر مجلة الدعوة - عدد ٩٢٧ - ربيع الثاني ١٤٠٤هـ - مقال : الفكر الديني بين بلاغة العقل وبلاغة العاطفة - د. محمد العزب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالقرآن الكريم يخاطب العقل والعاطفة في مسار متكافىء ، ويعطى لكل جانب حقّه من الاقناع بما يتناسب مع وظيفته ، واذا أخذنا مثالا على هذا التعاون نجده في قوله تعالى : (أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَآءِ كَيفَ رُفِعَتْ وإِلَى الجِبَالِ كيفَ نُصِبَتْ وإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ إِلاَّ مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ العَذَابَ الأَكْبَرَ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُم ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم) (١).

فخاطب العقول أولا وأثار فيها غرائز التأمل والتدبر في مظاهر الكون البديع الصنع الذى يدل على عظمة الصانع - عز وجل - ثم هزّ العواطف هزا ، وحرّك فيها مشاعر الرهبة بما ساق من معاني الوعيد والتهديد لمن لا يعقل ولا يتذكر .

من هذا كلّه يُستنتج أنّ الحاجة للنهوض بأى عمل أو سلوك اصلاحي تتطلب تعاونا دائما بين العقل والعاطفة ، أما أحدهما وهو العقل فيرسم ويخطط ، وأما الثاني وهو العاطفة فيدفع الى التطبيق والتنفيذ ، ولا يقوم أحدهما بشيء مما يقوم به الآخر (٢) .

والقرآن الكريم الذى يحمل دعوة عالمية محدود التكاليف ، يسير الرسالة ، وإنما كثرت سوره ، واستجرت آياته ، لكي يمكن عرض الحقائق الدينية في أسلوب عامر بالاقناع، فياض بالادلة ، (٣) ومن هنا كانت غايته هي استمالة النفوس الى هذه الدعوة ، ولا يكون ذلك الاّ بمخاطبة الجوانب العقلية والوجدانية فيها ، لاشباع غرائزها المختلفة تحقيقا للاقناع الكامل والرضا التام .

---

(١) سورة الغاشية ، الآية ١٧ - ٢٦

(٢) ينظر منهج تربوى فريد في القرآن - سعيد رمضان البوطي - ص ٨١ ، ط دار الشهاب الجزائر .

(٣) نظرات في القرآن - محمد الغزالي - ص ١٢١ - ط٦ دار الشهاب الجزائر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣) القرآن الكريم والبلاغة العربية :

(أ) البلاغة واعجاز القرآن الكريم :

يقول ابن خلدون (ـ ٨٠٨هـ) في حديثه عن البلاغة وفنونها : " اعلم أن ثمرة هذا الفن إنّما هي فهمُ الاعجاز من القرآن ، لأنّ إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الاحوال منطوقة ومفهومة ، وهي أعلى مراتب الكلام ، مع الكمال فيما يختص بالالفاظ في انتقائها وجودة رصفها وتركيبها ، وهذا هو الاعجاز الذى تقصر الأفهامُ عن ادراكه ، وانّما يُدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخاطبة اللسان العربي وحصول ملكته " (١) .

لقد ارتبطت البلاغة بالقرآن الكريم لأنّها سرُّ اعجازه الذى سحر العقول والقلوب معا ، وكان الهدف من وراء دراستها هو " ابراز ما في كتاب الله ـ وهو كتاب العقيدة الاسلامية ـ من وجوه للجمال التي يمتاز بها ، وبيان سر الاعجاز الذى بان به كلام اللّه وامتاز به عن كلام البشر سواء من ناحية مقاصده ومعانيه ، أو من ناحية أساليب تأديتها والعبارة عنها " (٢) .

فغاية البلاغة اذن هي الكشف عن مواطن الاعجاز وأسرار البيان في القرآن الكريم الذى أدهش العرب ـ أهل الفصاحة والبلاغة ـ بجمال أسلوبه ، وصحة معانيه ، وهيمَنَ على النفوس وملك القلوب بقوة حجته ، وحسن بيانه ، وكان لا بدّ أن تُوَضّحَ هذه البلاغة وتُعلّل ، قال الخطابي (ـ ٣٨٨هـ) : " اعلم أن القرآن الكريم انمّا صار معجزا لأنه جاء بأفصح الالفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني ، من توحيد لله عزّت قُدرته ، وتنزيهٍ له في صفاته ، ودعاءٍ الى طاعته وبيانٍ بمنهاج عبادته من تحليل وتحريم ، وحظر واباحة ، ومن وعظ وتقويم ، وأمر بمعروف ونهي عن منكر ، وارشادٍ الى محاسن الاخلاق ، وزجر عن مساوئها ، واضعا كلّ شيء منها موضعه الذى لا يُرى شيء أولى منه ، ولا يُرَى في صورة العقل أمر أليق منه " (٣) .

والبيان المقصود في قوله تعالى : (هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ)(٤) هو بلاغة الافصاح ، وحسن التفصيل والا يضاح ،وجودةُ الافهام وحكمة الابلاغ (٥) ، ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : "إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا " (٦) .

---

(١) المقدمة ـ ج ٣ ـ ص ١٢٧٢ ـ تحقيق د٠ على عبد الواحد وافى ـ ط٣ دار نهضة القاهرة ٠

(٢) البيان العربي ـ د٠ بدوى طبانة ـ ص ١٦ ـ ط٥ دار العودة ـ بيروت ١٩٧٢ ٠

(٣) بيان اعجاز القرآن ـ ص ٢٧ ، ٢٨

(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٣٨

(٥) ينظر البيان والتبين ـ للجاحظ (ـ ٢٥٥) ـ ص ١١ ج ١ ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ ط٤ دار الفكر بيروت ودار الجيل ٠

(٦) رواه البخارى ومسلم ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالكلام البليغ هو ما كان له وقع في النفوس ، ولهذا سأل موسى ـ عليه السلام ربّه فقال : (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ) (١) "رغبة منه في غاية الافصاح بالحجة ، والمبالغة في الدلالة ، لتكون الاعناق اليه أميل ، والعقول عنه أفهم ، والنفوس اليه أسرع " (٢)

فالبلاغة المقصودة في اعجاز القرآن الكريم هي صفة للكلام الذى يؤدى مهمة الابلاغ كاملة ، ويفي بحاجات النفوس الى الامتاع والاقناع ، وقد استطاع دارسو الاعجاز القرآني قديما ان يقفوا عند هذا المفهوم ، فقال الجاحظ (ـ٢٥٥هـ) مثلا : (البلاغة اصابة المعنى ، والقصد الى الحجة مع الايجاز ، ومعرفة الفصل من الوصل " (٣) ، وقال الرمّاني (ـ٣٨٦هـ) " البلاغة ايصال المعنى الى القلب في أحسن صورة من اللفظ " (٤)

انها البلاغة التي اتصف بها القرآن الكريم والتي اذا لحقت بالكلام حملت معنى التبليغ والتأثير في الاستجابة من المتلقي (٥) وهي التي بها أثر في عقول الناس وقلوبهم في كل مكان وزمان .

ولا يختلف اثنان على أنّ الوجه البلاغي للاعجاز القرآني هو أهم ما شغل الدارسين قديما وحديثا ، وهو الوجه الذى ذهب إليه أكثر علماء النظر ، فرأى بعضهم انه شامل للقرآن الكريم بكامله ، ويتحقق في الجزء المتحدى به وهو أقصر سورة منه (٦) ، كما أنه يتحقق في الوجوه الأخرى كلها مثل الاخبار بالغيب ، والتشريع ، والعلوم الكونية ، وغيرها من الوجوه ، أما بقية وجوه الاعجاز فلا تتحقق الا في بعض الآيات منه .

إنّ هذا الوجه البلاغي في اعجاز القرآن الكريم هو الذى جعل الأسلوب القرآني لا يَخْلُقُ على كثرة الرد ، ولا تنفد أسراره مع تعاقب الأزمان ، يحمل الحق الذى لا يشوبه باطل ، ويسوق الهداية التي ليس بعدها هداية . ولقد كان الأسلوب سلطان على النفوس يشبه السحر لما فيه " من اللين والمطاوعة على التقليب ، والمرونة في التأويل ، بحيث لا يصادم الآراء المتقابلة التي تخرج بها طبائع العصور المختلفة ، فهو يُفَسَّر في كل عصر بنقص من المعنى وزيادة فيه ، واختلاف وتمحيص ، وقد فهمه عرب الجاهلية الذين لم يكن لهم

---

(١) سورة القصص ، الآية ٣٤

(٢) البيان والتبيين ـ ج ١ ـ ص ٧

(٣) رسائل الجاحظ (البلاغة والايجاز) ـ ج ١ ـ ص ٧

(٤) النكت في اعجاز القرآن ـ ص ٧٥

(٥) في الادب والبيان ـ محمد بركات أبو علي ـ ص ٧

(٦) ينظر في اعجاز القرآن ـ د. محمد بركات أبو علي ـ ص ٢٤ ـ وأسلوب الدعوة القرآنية ـ عبد الغني بركه ـ ص ٥٣ ـ ط ١ مكتبة وهبة ـ ١٩٨٣م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلاّ الفطرة ، وفهمه كذلك من جاء بعدهم من الفلاسفة وأهل العلوم ، وفهمه زعماء الفرق المختلفة على ضروب من التأويل ، وأثبتت العلوم الحديثة كثيرا من حقائقه التي كانت مغيبةوفي علم الله ما يكون من بعد ، ... وأكبر السبب في ذلك أن هذا القرآن الكريم ليس على طبع انساني محدود بأحوال نفسية لا يجاوزها ، فهو يداور المعاني ، ويريغ الاساليب ويخاطب الروح بمنطقها من ألوان الكلام لا من حروفه ، وهو يتألف الناس بهذه الخصوصية فيه ، حتىّ ينتهي بهم مما يفهمون الى ما يجب أن يفهموا ، وحتى يقف بهم على نص اليقين ومقطع الحق " (١)

والذى يمكن أن يستفاد من دراسات السابقين والمتأخرين للاعجاز القرآني أن البلاغة هي سر هذا الاعجاز ، وأن الاقناع والتأثير هما غاية هذا البيان الرفيع ، والبلاغة المتجددة .

(ب) البلاغة وعلاقتها بالاقناع القرآني :

ذُكر في السابق أن البلاغة اذا لحقت بالكلام - أى كلام أكسبته قوةً وجمالاً وسلطاناً ، قوة في البيان والتوضيح ، وجمالا في التعبير والتصوير ، وسلطانا على النفوس بالاقناع والتأثير .

والبلاغة هي " الملكة التي يؤثر بها صاحبها في عقولالناس وقلوبهم عن طريق الكتابة أو الكلام ، فالتأثير في العقول عمل الموهبة المعلمّة المفسرة ، والتأثير في القلوب عمل الموهبة الجاذبة المؤثرة ، ومن هاتين الموهبتين تنشأ موهبة الاقناع في أكمل صورة، وتحليل ذلك أن بلاغة الكلام هي تأثير نفس في نفس ، وفكر في فكر ، والأثر الحاصل من ذلك التأثير هو التغلب على مقاومة في هوى المخاطب أو في رأيه ، وهذه المقاومة قد تكون فاعلة كسبق الاصرار أو الميل أو العزم وقد تكون منفعلة كالجهل أو الشك أو التردد أو خُلو الذهن ، فاذا كانت منفعلة كانت ضعيفة لا يحتاج في قهرها الى الوسائل البلاغية القوية . فالمرء يجهل أو يشك أو يتردد ريثما يتهيأ له أن يعلم أو يستيقن أو يجزم، وهو في هذه مثل هذه الاحوالتكفيه الحقيقة البسيطة المستفادة من (التعليم) ، وقد يكون مع الجهل زيفُ العلم ، واعتسافُ الحكم ، وخطلُ الرأى الثابت باستمرار العادة ، وفساد الوهم القائم على قوة القرينة ، وحينئذٍ لا بُد أن تتناصر قوى العقل جمعاء على كسر هذه المقاومة من طريق البرهان ، وذلك عمل الجدل ، والجدل عصب البلاغة ، وربما حدث مع ذلك كلّه أو بدون ذلك كلّه فُتُورٌ في الطبع فلا ينشط لحديث ولا يرتاح الى رأى ، وهنا يجب على صاحب البلاغة أن يدفع السأم ويحرك النشاط ، فيُوشي الحقيقة بخياله ، ويُحي الأسلوب بروحه، ويجذب القارىء بفَنّيه ، وفي هذه الحال يظهر فضل البلاغة على الفلسفة " (٢)

---

(١) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية - مصطفى صادق الرافعي - ص٢٠٦ - ٢٠٨ - ط دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٢) دفاع عن البلاغة - أحمد حسن الزيات - ص ٣٤ - ٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد جاء القرآن الكريم لينشىء عقيدة لا تموت ، ويغرس دعوة لن تندثر ، ويقيم صرحا لا يتداعى ، واستطاع أن يحقق غايته هذه ولا زال ، " وما ذاك الا أن البلاغة هي معجزته وأداته ، والبلاغة قوة في الفكرة ، وقوة في العاطفة ، وقوة في العبارة " (١)

والوظيفة الأولى لهذه البلاغة القرآنية هي البلوغ الى قرارة النفس الانسانية بتقديم الوسائل الاقناعية التي تفي بحاجاتها في كل عصر ، وتناسب مستوياتها الفكرية والثقافية على اختلاف المكان والزمان ، وتُوفِّر لها عناصر الكمال في هذا الاقناع ليكون الاتباع العملي بعد يقين جازم ، واستجابة تامة .

وقد تفطن الخطّابي (ـ٣٨٨هـ) ـ قديما ـ الى هذا الاقناع البلاغي في القرآن الكريم فقال : " قلت في اعجاز القرآن وجها آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه الّا الشاذ من آحادهم ، وذلك صنيعه بالقلوب ، وتأثيره في النفوس ، فإنّك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا اذا قرع السمع خَلُصَ له الى القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه اليه ، تستبشر به النفوس ، وتنشرح له الصدور ، حتى اذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوَجِيبُ (٢) والقَلَقُ ، وتغشاها الخوف والفَرَقُ (٣) ، تقشعر منه الجلود ، وتنزعج له القلوب ، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها " (٤) .

انّ هذا الذي يقصده الخطّابي ـ رحمه الله ـ في حديثه عن الاعجاز هو ما نفهمه نحن الآن من الاقناع ، ومن هنا وبتعبير آخر يمكن أن يقال : ان فن الاقناع البلاغي في القرآن الكريم هو أحد وجوه اعجازه ، ذلك أن القرآن يستطيع ببلاغته أن يحول بين النفس وبين ما رسخ فيها من معتقات باطلة دون إكراه أو جبر ، ودون تعسف في الرأي أو قسر في الحكم ، وهو الذي يحمل هذه النفس بما يثير فيها من غرائز العقل والوجدان على الاتباع العملي بما اقتنعت به بعد رضاها الكامل ، واستجابتها التامة .

وبشير الباقلاني (ـ ٤٠٣هـ) أيضا الى هذا المعنى بعدما ذكر أن القرآن الكريم في أعلى مستويات البلاغة فقال : اذا علا الكلام في نفسه كان له من الوقع في القلوب ، والتمكن في النفوس ما يذهل ويبهج ، ويقلق ويؤنس ، ويطمع ويؤنس ، ويضحك ويبكي ، ويحزن ويفرح ، ويسكن ويزعج ، ويشجي ويطرب ، ويهزّ الأعطاف ، ويستميل نحوه الاسماع ، ويورث الأَرْيَحِيَّة والعزة ، وقد يبعث على بذل المهج والاموال شجاعة وجودا ، وله مسالك في النفوس لطيفة ، ومداخل الى القلوب دقيقة " (٥)

---

(١) ينظر مجلة الأزهر ـ المجلد ٣٨ ـ عدد صفر ١٣٨٦هـ ـ مقال : " دين الله دين القوة " ـ لأحمد حسن الزيات .

(٢) الوجيب : اضطراب القلب .

(٣) الفرق : الخوف .

(٤) بيان اعجاز القرآن ـ ص ٧٠

(٥) اعجاز القرآن ـ ص ٤١٩ ـ تحقيق أحمد صقر ، ط٤ دار المعارف ـ مصر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذه هي مميزات البلاغة القرآنية التي لم تترك منفذا للنفس الاّ دخلته ، ولا غريزة من غرائزها الاّ حركتها ، ووفرت لها بذلك حاجتها من الامتاع والاقناع ، ثم كان الاتباع الذى دعاها الى بذل الأنفس والأموال في سبيل المبدأ الذى اقتنعت به .

إنّ علاقة البلاغة بالاقناع القرآني هي علاقة الأداة الفاعلة المؤثرة بالدعوة النبيلة السامية ، فما بلغه القرآن الكريم في دعوته من تقويم للمعتقدات ، وترشيد للأخلاق ، وبناء للمجتمعات هو نتيجةٌ لِمَا تميّزت به وسائله الاقناعية والتربوية من كمال وانسجام ، ودقه وشمول ، فقد كانت هذه الوسائل الاقناعية والتربوية تهدف الى السيطرة على النفس ، والسيطرة على النفس لا تتم بغير البلاغة .

وكانت البلاغة بهذا هي المؤهلة للقيام بهذه الوظيفة "لأن الكلام في جوهره هو الذى يبلغ به المتكلم ما يريد من نفس السامع باصابة موضع الاقناع من العقل ، والوجدان من النفس ، واذا نجح البليغ في ذلك كانت ثمرته تحريك الهمة ، وتوجيه الارادة للعمل وفق ما حصله من اقتناع عقلي ، وترسب في أعماقه من انطباعات نفسية " (١)

وإنّ ما بلغه السلف الصالح من مجد ورفعة في الخلق والسلوك هو النتيجة الحتمية لتأثير البلاغة القرآنية في نفوسهم ، وسلطانها على قلوبهم ، فبعدما امتزجت حقائق الدين بعقولهم وقلوبهم اتجهوا الى جعلها ممارسة تطبيقية في شؤون الحياة كلّها .

(ج) البلاغة والجدل :

الجدل غريزة نفسية مفطور عليها الانسان ، قال تعالى : ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ (٢) ، فهي تلك الطبيعة الفطرية التي تجعله يفصح عن حجته ، ويدافع عن مواقفه وآرائه ، وهي بعامة نزعة بيانية يعبر بها عما يختلج في نفسه من بواعث الذهن ، وخواطر الفكر .

وقد يصبح هذا الجدل الفطرى في الانسان آفة نفسية حين يفقد شرفَ الوسيلة ، ونُبلَ المقصد ، وحين تكون غايته الباطل مع ظهور الحق ، وهدفه الغلبة المماراة والرياء مع انكشاف الدليل .

والجدل لدى الانسان مرتبط بالحجة العقلية التي تطمئن اليها نفسه ، ويستجيب لها عقله ، وعلاقته بالبلاغة علاقة ترابط وتكامل ، وذلك أن البلاغة - كما ذُكر في السابق - تُوَجِّهُ الى العقل والقلب معا ، وتأتي أساليبها حسب ما تقتضيه حالات السامعين ومقامات المخاطَبين ،

---

(١) أسلوب الدعوة القرآنية - عبد الغني بركة - ص ٩٩

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٥٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"فقد يخاطب البليغ نفوسا لازمها الجهل مع زيف العقل ، واعتساف الحكم مع خطل الرأي ، وغلبة الهوى مع فساد الوهم ، وحينئذ لا بد أن تتناصر قوى العقل جمعاء على كسر هذه المقاومة من طريق البرهان ، وذلك عمل الجدل ، والجدل عصب البلاغة "(١).

فالغاية السامية للبلاغة هي التأثير في النفس ، والحجة العقلية المسوقة عن طريق الجدل هي احدى الوسائل الضرورية والهامة لحضور الجانب العقلي من النفس ، لهذا السبب استخدمت البلاغة القرآنية الجدل وسيلة من وسائل الاقناع بالحجة والبرهان ، لتقرير الحق ، ودفع الباطل (٢) .

إنّ القرآن الكريم حين يجادل عن حقائقه لا يعتمد على العقل وحده وينسى حظ الوجدان ، بل يوجه خطابه إليهما معا ، ومثلما يسوق الحجة العقلية يحرص على توفير المتعة الوجدانية ، وبهذا باين أسلوبه في الجدل أساليب البشر جميعا ، وتوفرت فيه البلاغية التي تحقق للنفوس عناصر الاقناع والامتاع .

ولم يكن الجدل العقلي ليصل الى شيء لو اتبعه القرآن الكريم ، لا لأن ما فيه من حقائق لا تثبت لهذا الجدل ، ولكن لأن العقيدة الدينية لا ينشئها هذا الجدل ، (٣) كما أن التأثير في النفوس لا يكون بالمعقولات وحدها ، ولو كان ذلك ممكنا لاستطاع علماء الكلام أن يغيّروا النفوس ، وهم الذين ظلوا قرونا طويلة يبدئون ويعيدون في الجدل الذهني حول مباحث التوحيد فلم يبلغوا شيئا ، في حين استطاع القرآن الكريم بجدله المتميّز ، وبفنونه البلاغية الجامعة بين حاجات العقل والوجدان أن يبلغ غايته في بضع سنين (٤).

ورغم أن الاحتجاج العقلي الذى ساقه القرآن الكريم لافحام والزام خصومه أسلوب من أساليبه في الاقناع (٥) ، إلاّ أنّ الطابع المميّز له هو أنه يُساق مساقا أدبيا تتفتح له العقول والقلوب معا ، كما أنه في اعتماده على الأدلة الواضحة القريبة من البداهة والحس قد تجنب طرق المناطقة والمتكلمين في الاستدلال والتي لا يدركها الاّ الخاصة منهم .

---

(١) ينظر دفاع عن البلاغة - أحمد حسن الزيات - ص ٣٤ ، ٣٥

(٢) ينظر مناهج الجدل في القرآن الكريم - زاهر عواض الألمعي - ص٤٢٩ - ط٣ - مطابع الفرزدق - الرياض ١٤٠٤هـ .

(٣) ينظر التصوير الفني في القرآن - سيد قطب - ص٢٣٧ - ط٧ - دار الشروق ١٩٨٢ .

(٤) المرجع نفسه - ص٢٢٩

(٥) ينظر البرهان في علوم القرآن - بدر الدين الزركشي (-٧٩٤هـ) - ج ٣ - ص٤٦٨ - ط دار احياء الكتب العربية القاهرة - وينظر مجلة ." الأزهر " - مجلد ٤٣ - محرم ١٣٩١م - مقال : بلاغة الاقناع في القرآن - د. محمد رجب البيومي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولذلك حين تحدث الدارسون قديما عن جدله قالوا : " أخرج تعالى مخاطباته في محاجته خلقه في أجل صورة تشتمل على أدق دقيق ، لتفهم العامة من جليلها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة، ويفهم الخواص من اثنائها ما يوفى على أدركه فهم الخطباء " (١)

لهذا كله عُدّ الجدل أسلوبا من أساليب القرآن البيانية ، وجزءا من بلاغته الرفيعة ، وهو متخصص في بسط الأدلة ، وسوق البراهين في قوالب بيانية مقنعة ممتعة، تهدى الكافرين ، وتلزم المعاندين .

(٤) تعدد الأساليب الاقناعية في القرآن الكريم :

يؤكد علماء النفس والاجتماع على أن الفوارق الفردية بين الافراد في الجماعات الانسانية أمر طبيعي ، وتظهر هذه الفوارق في التفاوت في المستويات الثقافية ، والتباين في القدرات العقلية ، والاختلاف في الملكات الوجدانية ، هذا على غرار ما بين الأفراد من اختلاف في الاستعداد والتكوين . وأداء العملية الاقناعية في جماعة ما وفق هذه المعطيات يستوجب منا تنويعاً في الاساليب ، وتغييرا في الوسائل حتى تُلبّي حاجات الناس جميعا الى الاقناع .

ورغم هذا التباين بين قدرات الناس في الاستعداد والثقافة والتكوين - في أي مكان ، وعلى مر الأزمان - إلاّ أنّ هناك صفات مشتركة عامة يمكن أن نميّز بها الطائفة من الناس عن الأخرى في الجماعة الواحدة .

وقد استطاع الفخر الرازى (- ٦٠٦هـ) في تفسيره أن يصنف الجماعات الانسانية في ثلاث طوائف لا تخرج عنها (٢) ، وهو التصنيف نفسه المتعارف عليه عند الدارسين في العصر الحديث (٣). وهذه الطوائف هي :

(أ) **طائفة متميّزة** بنفوس قوية الاستعداد لادراك المعاني العقلية المنطقية، وأهل هذه الطائفة هم من الحكماء الطالبين للمعارف الحقيقية والعلوم اليقينية ، ولا يكون الخطاب معهم إلاّ بالدلائل القطعية اليقينية ، لأنهم لا يُصدّقون إلاّ بالبرهان القاطع ،والحجة القوية بعدما غلبت عليهم الدراسات العقلية والفلسفية .

(ب) **والطائفة الثانية** من الناس هم أولئك الذين غلب عليهم التقليد أو الميل الى مذهب ديني أو غير ديني ، وقد تمكّن في نفوسهم ، وامتزج بقلوبهم ، حتى غلب عليهم التعصب المذهبي ، والخطابُ مع هؤلاء يكون بالمجادلة التي تفيد الافحام والالزام .

---

(١) البرهان في علوم القرآن - ج ٢ ص ٢٤ - والاتقان في علوم القرآن - ج ٢ ص ١٧٢

(٢) تفسير الفخر الرازى - ج ٢٠ - ص ١٣٩ - ط دار احياء التراث العربي - بيروت .

(٣) ينظر المعجزة الكبرى القرآن - محمد أبو زهرة - ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ - ط دار غريب القاهرة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ج) أما الطائفة الثالثة فتُمثل الجمهور الأعظم من الناس ، وهم أقرب في طباعهم الى الفطرة والسذاجة ، وهم الذين لا تعصب مذهبي عندهم ، ولا استعداد فطرى لفهم البرهان العقلي لديهم ، والخطاب مع هؤلاء يكون بالموعظة الحسنة ، لأنها الى الوجدان أقربه، والى الفطرة أميل .

هذه هي الخصائص العامة التي تميّز جماعات الناس حتى وان اختلفت في الزمان أو المكان، وبناءً على هذه الخصائص تُختار المناهج ، وتُحدد الوسائل الضرورية والهامة لتحقيق حاجات الجميع الى الاقناع والتأثير ، والوصول الى هذه الغاية يقتضي منا " أن نلتقي بالانسان في قواه المختلفة، وأن نتعامل معها جميعاً ، نتعامل مع العقل بما له من قوة الادراك والتمييز، ونتعامل مع الوجدان باعتباره وعاء الأحاسيس والمشاعر التي تنشأ عن التأثير بما يَسُر ويؤلم ، ونتعامل مع الارادة باعتبار ما تتخذه من قرارات هو النتيجة النهائية لاستجابتها أو رفضها للدعوة ، ذلك أن الصفات النفسية للانسان مرتبط بعضها ببعض ، ويؤثر بعضها في بعض " (١)

فطريقة التعامل مع النفس البشرية بجميع قواها لغايات الاقناع تقتضي التنويع في الاساليب التي لها قدرة على تحريك هذه القوى ، لأن الضرب على أوتار النفس المتعددة من شأنه أن يخضع النفس ، ويقهر تفوقها في الجدل كما أن " معالجة القلوب بمفاتيح شتى ، لا بد أن يستسلم القفل عند واحد منها " (٢)

إنّ المتأمل في القرآن الكريم - وهو كتاب الانسانية الخالد - يدرك من خلال أساليبه في الخطاب أن مُنزّله عليم بخبايا النفوس وأسرارها ، خبير بأعماق القلوب وأغوارها ، وأن خطابه المعجز موّجه بدقة واحكام ليلمس البصيرة ، ويحرك الغريزة ، وأنه مهما بلغت العبقرية الانسانية من نبوغ متجدد فلن تستطيع محاكاته أو مجاراته ، أو تصل الى ما وصل إليه في بناء النفوس ، وتغيير المجتمعات .

يقول مالك بن نبي - رحمه الله - : " إنّ عبقرية الانسان تحمل بالضرورة طابع الأرض ، حيث يخضع كل شيء لقانون المكان والزمان ، بينما يتخطى القرآن دائما نطاق هذا القانون، وما كان لكتاب بهذا السّمو أن يُتصور في حدود الأبعاد الضيقة للعبقرية الانسانية ، ومن المقطوع به أنه لو أُتيح لأحد الناس أن يقرأ القرآن قراءة واعية يدرك خلالها رحابة موضوعه فلا يمكنه أن يتصور الذات المحمدية الا مُجرد واسطة لعلم غيبي مطلق " (٣)

---

(١) أسلوب الدعوة القرآنية - عبد الغني بركه - ص ٣١

(٢) نظرات في القرآن الكريم - محمد الغزالي - ص ١٢٥

(٣) الظاهرة القرآنية - مالك بن نبي - ص ١٨٨ - ترجمة عبد الصبور شاهين ط دار الفكر دمشق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ هـذه المعرفة الحقيقية بدخائل النفوس التي تتجلى في أساليب القرآن الكريم هي التي شكلت الخصائص العامة للاقناع القرآني التي ذكرت في السابق ، مثـل : توافقـه الكامـل مع أسلـوب الناس في التفكير والشعور ، واستجابتـه لما تتطلع اليه النفوس في شـؤون العقيدة والسلوك ، واشباعـه التام لحاجات هـذه النفوس الى الحق والخير والجمال في كـل زمان ومكان ٠

ولذلك حـين يقال : "إنّ فـي القرآن الكريم من الأدلـة والمناهج مـا يقنـع الناس جميعـا على اختلاف أصنافهم ، وتبايـن أفهامهم ، وتفاوت مداركهم "(١) فلأنّ هـذا القرآن العظيم يخضـع لقانون الهـي لا اختلاف فيـه ولا تقصـير ، ولا نقص فيـه ولا تغيير ، ومن هنا قـال تعالى عنـه: (ولَقَـدْ صَرَّفْنَـا فِي هَـذَا الْقُرآن لِلنَّاسِ مِـن كُـلِّ مثـلٍ وكانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَـيءٍ جَـدَلاً) (٢) أي أنّ الله سبحانـه " لـوّن حديثـه للسامعين تلوينـا يمزج بـين ايقاظ العقل والضمير معا ، ثـم تابع سَوقـه متابعة إن أفلت المرء منهـا أولا لم يفلت آخـرا ٠٠٠ وذلك هـو تصريف الامثال للنـاس انـه احاطة الانسان بسلسلـة من المغريات المنوعـة لا مَعْـدّى لـه من الركون الى احداها " (٣)

فهذه هـي طريقة القرآن الكريم في الخطاب ، إنّها تعتمـد على تنويع الاساليب ، وتلويـن الوسائل للسيطرة على النفوس المتباينة في طبائعهـا ، المختلفة في تكوينها النفسي والثقافـي ، وبهذا حققت غاياتها من الاقناع والتأثـير ، لكن قـد تشـذ بعض النفوس عن ادراك حقائق القـرآن والاقتناع بمبادئـه لما ترسب فيها مـن آفـة الجدل المذموم الذي يجعلها تتمسك بمواقفهـا وان كانت باطـلا ، وبشبهاتها وان كانت كذبـا ٠

واذا كـان العقل البشري في تجـدد دائم من حيث الافكار والفلسفات ، وفي تطـور مستمـر من حيث المفاهيم والنظريات ، وفي تطلع دائم الى العلوم والمعارف التي قـد تشبع حاجاتـه الى الاقنـاع النفسي بما يعرض أمامـه من افكـار وتصورات عن الدين والحياة والوجـود بعامة ، فإنّ القرآن الكريـم يضـع أمامـه دائما الحقائق الدينية البديهية ، ويقيم عليها الدلائـل والبراهين القطعيـة ويجيب بذلك عن رغبتـه الملحـة الى الاقناع ، كمـا أنـه يجيب عن كل علامـة استفهام قـد تطـرح فيمـا يخص قضايـا العقيدة والشريعة ، لذلك كلـه اهتم القرآن بحقائق الدين وأصولـه ، ونوع فـي أساليب عرضها حتى يحقق أهدافـه من الدعوة ٠

---

(١) المعجزة الكبرى القرآن ـ محمـد أبـو زهـرة ـ ص ٣٧٠

(٢) سـورة الكهف ، الآيـة : ٥٤

(٣) نظرات في القرآن ـ محمـد الغزالي ـ ص ١٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالسبب إذن في هذا التوفيق الدائم للاقناع القرآني هو أنه " ما من هاجس يعترض للنفس الانسانية من ناحية الحقائق الدينية إلاّ ويعرض القرآن له بالهداية وسداد التوجيه " [١] ، هذا على غرار التلوين في الاساليب ، والتنويع في المناهج التي من شأنها أن تخضع هذه النفس الى سلطانه واعجازه ، ولا يقدر على هذا الصنيع إلاّ ربّ العباد ومسبب الأسباب .

ولكن القضية التي قد تقلق بال بعض الناس هي علاقة القرآن الكريم بالعلم الحديث، وكيف كان منهج القرآن في اقناع الناس من هذا الجانب ؟ والجواب عن هذا السؤال أنّ القرآن الكريم حريص بالدرجة الأولى على اختيار الاسلوب الصالح لجميع الناس على اختلاف بيئاتهم وثقافاتهم وأزمانهم ، وحريص كذلك على مجيء أسلوبه على قدر الطاقة الادراكية لدى كل طائفة من الناس دون أن يتسبب على ذلك أيّ خلل في الافهام ، ولا أيّ تضارب بين المفاهيم [٢] .

والحقيقة التي أكدها الدارسون في العصر الحديث هي أن القرآن الكريم بمنهجه الخاص في تناول القضايا العلمية لا يتصادم أبدا مع العلم الحديث ، بل يؤيد كل واحد منهما الآخر [٣] ، وما يتميّز به القرآن الكريم في هذا الجانب هو أن " صياغته جاءت - فيما يتعلق بالمعلومات الكونية - بعيدة عن التعبيرات العلمية الضيقة ، إذ لولا ذلك لكان خطاب القرآن غير صالح إلاّ لفئة قليلة من الناس . ومن مقتضياتها أيضا أنّ الصياغة القرآنية جاءت في هذه الأبحاث ذاتها مثيرة للنظر والبحث ، أكثر من أن تلزم الناس بالايمان بها بمجرد اخباراته الغيبية عنها ، اذ لو قامت صياغتها على هذا الالزام ، لكان مقتضاه وجوب التصديق بهذه القضايا العلمية ، طبقا لما أخبر به القرآن ، أي دون الاعتماد في شيء من ذلك على وسائل التجربة والمشاهدة التي هي الوسائل الطبيعية الأصيلة للوصول الى حقائق علمية عن الكون " [٤] .

إنّ تعدد الأساليب البلاغية ، والوسائل البيانية في القرآن الكريم ظاهرة واضحة فيه، وهو أحد خصائص هذه الدعوة التي يريد أن يمزجها القرآن الكريم بالقلوب ، فحين خاطب صاحبّ الدعوة القرآنية دعاه الى تنويع وسائل دعوته حسب مقامات المخاطبين فقال تعالى : (ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بالحِكْمَةِ والموعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [٥]

---

(١) نظرات في القرآن - محمد الغزالي - ص ١٢٣

(٢) ينظر منهج تربوى فريد في القرآن - سعيد رمضان البوطي - ص ٢٦ ، ٢٧

(٣) ينظر الظاهرة القرآنية - ملك بن نبي - ص ٢٧١ وما بعدها - وينظر أيضا : فصل " القرآن والعلم الحديث " من كتاب " القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم - موريس بوكاى - ط دار المعارف بمصر

(٤) منهج تربوى فريد في القرآن - سعيد رمضان البوطي - ص ٣٤

(٥) سورة النحل ، الآية : ١٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فجاءت هذه الآية الكريمة مُركزّة ولكنها شاملة لجميع طوائف الناس التي ذكرناها في السابق ، وكلها تندرج تحت هذا القانون العام [١] . فالمقصودبالحكمة نوع " من الخطاب الهادف المشبع بالدليل الموّجه لخواص الناس [٢] من أصحاب الدراسات العقلية والفلسفية ، والموعظة الحسنة هي التي تدخل القلوب برفق ، وتتعامل مع المشاعر بلطف ، وهي تناسب الجمهور الأعظم من الناس ، أمّا الجدل بالتي هي أحسن فبلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح ، حتّى يطمئن الى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل ، ولكن الاقناع والوصول الى الحق [٣] وهذا يناسب أهل المذاهب والديانات .

فكان أن جمعت هذه الآية القصيرة في خطاب مركز طرق مخاطبة الجماعات البشرية ، وتلوين الوسائل حسب ثقافة كل جماعة واستعدادها الفكرى والنفسي .

واذا كنا لا نستطيع في هذا المقام أن نحصر أساليب القرآن الاقناعية جميعها فذلك راجع الى كثرتها وغناها وعلاقتها بأى عنصر من عناصر البلاغة العربية ، وحسبنا ان نختار للدراسة بعضا من هذه الاساليب التي بدت أكثر بروزا من غيرها في آى القرآن الكريم ، والتي يعتمد عليها اعتمادا كبيرا في خطاباته لقدرتها على مخاطبة جوانب النفس البشرية من تحريك عقل ، وهزّ عاطفة واشباع رغبة .

وهناك حقيقة لا يمكن أن نغفلها وهي أنّ هذه الأساليب القرآنية المختارة يكمّل بعضها بعضا ، وهي في تكاملها وتجانسها مثل أعضاء الجسم في أداء الوظائف ، وغاية هذا التقسيم هي الدراسة والبحث .

---

(١) ينظر مجلة الأزهر ـ عدد ١ ـ مجلد ٤٠ ـ مقال : طريقة القرآن في الدعوة والاقناع لأحمد مهنا .

(٢) ينظر الكشاف ـ ج ٢ ـ ص ٤٣٥

(٣) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ ج ٤ ـ ص ٢٢٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني : الجانب النظري من الدراسة

(أ) أساليب بيانية أصلية :

(١) أسلوب الجدل

(٢) أسلوب التصوير

(٣) أسلوب القصص

(٤) أسلوب التمثيل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١) أسلوب الجدل

الجدل في اللغة : اللَّدَد(١) في الخصومة والقدرة عليها (٢) ، وفي الاصطلاح : "هو قول يقصد به اقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين" (٣) .

والجدل نوع من الحوار الفكرى ، وقيل : الحوار هو مراجعة الكلام ولا تلزم فيه الخصومة ، (٤) أما الجدل فمترابط في صوره كلّها بالتخاصم الكلامي حول الافكار والمعتقدات .

وليس المقصود بالجدل في هذه الدراسة ذلك العلم الذى تفنن فيه المتكلمون والفقهاء واستعملوه في مقابلة الحجج لظهور أحسنها ، حتى أصبح فيما بعد صناعة تدخل الديانات والمذاهب والخصومات وما إلى ذلك ، والذى عرّفه ابن خلدون (ـ ٨٠٨هـ) بقوله : " الجدل هو معرفة القواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها الى حفظ رأى أو هدمه " (٥) ، وانما المقصود بالجدل هنا تلك الطرق التي اتبعها القرآن الكريم في استدلالاته على قضاياه ، والتي كان لها خصائصها المتميزة والمناسبة لاعجازه .

فجدل القرآن الكريم هو " براهينه وأدلته التي اشتمل عليها وساقها لهداية الكافرين ، والزام المعاندين في جميع ما هدف إليه من المقاصد والاهداف التي يريد تحقيقها وترسيخها في أذهان الناس في جميع أصول الشريعة وفروعها " (٦) ، وبهذا المفهوم فهمه دارسو الاعجاز القرآني قديما ، قال الزركشي (ـ ٧٩٤هـ) في حديثه عن جدل القرآن : " اعلم أنّ القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة ، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلّا وكتاب اللّه قد نطق به " (٧)

والجدل هو فن من فنون القرآن البارزة فيه ، ويعد بابا واسعا تدخل فيه أساليب كثيرة كالاستفهام والتوكيد والتمثيل وغيرها ، وهو بهذا يعد أحد الأساليب الأصلية في الاقناع القرآني ، وسيُخصص له جانبٌ من الدراسة لبيان بعض وسائله ثم الوقوف عند خصائصه الاقناعية .

---

(١) اللدد : الخصومة الشديدة .
(٢) لسان العرب ـ مادة (جدل) .
(٣) البرهان في وجوه البيان ـ ص ٢٢٢ .
(٤) لسان العرب ـ مادة (حور) .
(٥) المقدمة ـ ج ٣ ـ ص ١٠٦٨
(٦) مناهج الجدل في القرآن الكريم ـ زاهر عواض الألمعي ـ ص ٢٥
(٧) البرهان في علوم القرآن ـ ج ٢ ـ ص ٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعض وسائل الجدل القرآني :

مناهج الجدل في القرآن الكريم كثيرة ، وطرقه في الاستدلال متنوعة ، ويمكن أن تُجمل في أربعة أنواع رئيسة وهي أولا : الجدل الذى يعتمد على التلقين ، وثانيا : الجدل بالحق ، وثالثا : الجدل بالباطل ، ورابعا : ما ورد بطريق الحوار (١) .

(أ) الجدل الذى يعتمد على التلقين :

وهو ما ورد في القرآن الكريم من براهين وأدلة لاثبات الحقائق ، وما كان ذلك لجدل مع المنكرين أو المعاندين وإنّما لتقرير الحقائق في ذاتها من غير حجاج أو مجادلة ، ويعتمد هذا النوع على التلقين .

والتلقين هو سوق الحقائق ، وتقرير الأصول وبيانها بيانا شافيا تطمئن اليه العقول بما يتخلله من شواهد الصدق ، وتهش له القلوب بما تجده فيه من ارضاء لتطلعها الى معرفة الحق ، وارواء لظمئها الى الحقيقة (٢)

ومن أمثلة هذا النوع من الجدل تلك الآيات التي توجّه الانظار الى مخلوقات اللّه ، والى ما في الكون من كائنات (٣) ، قال تعالى : (وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَـٰنُ الرَّحِيمُ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (٤)

إنّ غاية هذا الاستدلال الذى يعتمد على التلقين هي اثبات الوحدانية للّه سبحانه ، وكان التعريف به تعالى هو السبيل لاثبات الربوبية له ، لأنّ اللّه تعالى لا يعرف إلّا بصفاته وآثاره في الخلق والتكوين (٥)

وفاصلة الآية في قوله (لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) تنبيه الى أنه لا يدرك هذه الأدلة إلّا أصحاب العقول المستنيرة .

---

(١) ينظر مناهج الجدل في القرآن الكريم ـ زاهر عواض الألمعي ـ ص ٧٣ وما بعدها .

(٢) ينظر أسلوب الدعوة القرآنية ـ عبد الغني بركة ـ ص ١٧٩

(٣) ينظر في رحاب القرآن ـ محمد حسن آل ياسين ـ ص ٦١ ـ ٧٠

(٤) سورة البقرة الآية ١٦٣ ، ١٦٤

(٥) ينظر المعجزة الكبرى القرآن ـ محمد أبو زهرة ـ ص ٣٤٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هنا كثر في هذا النوع من الجدل مثل هذه الفواصل التي تدعو الى استخدام غرائز النفس العقلية والوجدانية لادراك الحقائق ، وتفهّم البراهين والأدلة .

(ب) الجدل بالحق :

وهو ما ردّ الله سبحانه به على خصوم دعوته ، وما ساقه لهم من أدلة الصدق، وبراهين الحق لتثبيت العقائد وترسيخها في نفوسهم[١] .

وهذا النوع من الجدل تتطلبه الدعوة ، وتقتضيه طبيعة الرسالة للرد على شبهات الأعداء ، وأباطيل المنكرين من مشركين وأهل كتاب ، ولالزامهم بالحجة ، وافحامهم بقوة الدليل ، لذلك كثرت طرقه في القرآن الكريم ، وكان له طابعه الخاص الذي يناسب العامة والخاصة كما كانت موضوعاته الأساسية أصول الرسالة ، وقضايا الدعوة الرئيسة .

ومن طرق الجدل بالحق في الرد على الخصوم[٢] ما يلي :

(١) تقرير المخاطب بطريق الاستفهام عن القضايا التي يُسلم بها ، وتسلم بها العقول بقصد الاثبات وطلب الاعتراف ، فمن ذلك قوله تعالى : (أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى)[٣]

(٢) الاستدلال على المعتاد الجسماني[٤] : هو في الرد على منكري البعث، وله ضروب كثيرة في القرآن الكريم ، حيث أن البعث من أهم ما يشغل الفكر الانساني[٥] ، فمن أمثلته قوله تعالى : (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ)[٦]

(٣) السبر والتقسيم : " وهو باب من أبواب الجدل يتخذه المجادل سبيلا لابطال دعوى من يجادله ، ويكون ذلك بحصر الأوصاف للموضوع الذي يجادل فيه ثم يُبيّن أنّه

---

(١) ينظر كتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم (مقدمة المحقق) ـ ناصح الدين بن الحنبلي (ـ٦٣٤هـ) ـ ص ٩ ـ تحقيق زاهر الألمعي ـ ط١ ـ مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٠

(٢) ينظر المصدر نفسه ـ من ص ١١٣ ـ ١٣٢

(٣) سورة القيامة الآية ٣٦ ـ ٤٠

(٤) ينظر ما كتبه صاحب البرهان في علوم القرآن ـ ج ٢ ـ ص ٢٦ ، ٢٧

(٥) ينظر مناهج الجدل في القرآن الكريم ـ زاهر عواض الألمعي ـ ص ٣٠٨

(٦) سورة يس الآية ٧٨ ـ ٨١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليس في أحد هذه الأوصاف خاصية تُسوّغ قبول الدعوى فيه ، فتبطل دعوى الخصم عن طريق هذا الحصر المنطقي للموضوع " [١] ، قال تعالى : (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعِزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [٢]

قال السيوطي (ـ ٩١١هـ) : " إنّ الكفار لما حرموا ذكور الأنعام تارة وانانثها تارة أخرى ، رد الله عليهم ذلك بطريق السبر والتقسيم ، فقال : إنّ الخلق لله تعالى خلق من كل زوج مما ذُكر ذكرا وأنثى فممّ جاء تحريم ما ذكرتم ؟ أي ما علته ؟ [٣]

(٤) القول بالمُوجب : وهو رد كلام الخصم من فحوى كلامه [٤] فمن ذلك قوله تعالى : (ومِنْهُمُ الذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلذِينَ ءامَنُوا مِنْكُمْ والذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ) [٥] يريدون أنه صلى الله عليه وسلم سماع لكل شيء مصدق لكل شيء ، ولكن الآية لم تترك الأذن مطلقة بل نسبتها الى الخير [٦] .

(٥) التسليم : وهو أن يسلم بوقوع المحال تسليما جدليا لابطال دعوى الخصم واثبات الحقيقة [٧] ، ويسمى أيضا " قياس الخلق " [٨] ، يقول تعالى : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءالِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) [٩] " وهذا الدليل معتمد أرباب الكلام من أهل الاسلام " [١٠] ويسمونه دليل التمانع ، أي امتنعت الوثنية لامتناع الفساد .

(٦) الإسجال : وهو الاتيان بألفاظ تُسجل على المخاطَب وقوع ما خُوطب به [١١] ، نحو قوله تعالى : (ونَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُوا نَعَمْ) [١٢]

---

(١) مناهج الجدل في القرآن الكريم ـ زاهر عواض الألمعي ـ ص ٧٤ .
(٢) سورة الانعام الآية ١٤٣ ، ١٤٤
(٣) الاتقان في علوم القرآن ـ ج ٢ ـ ص ١٧٣
(٤) نفسه . ج ٢ ص ١٧٤
(٥) سورة التوبة ، الآية ٦١ .
(٦) ينظر الكشاف ـ ج ٢ ـ ص ٢٨٤
(٧) الاتقان في علوم القرآن ـ ج ٢ ـ ص ١٧٤ ـ وينظر بديع القرآن ـ ابن أبي الاصبع (ـ ٦٥٤) ـ ص ٢٩٥
(٨) ينظر المعجزة الكبرى القرآن ـ محمد ابو زهرة ـ ص ٣٧٦ .
(٩) سورة الانبياء ، الآية ٢٢
(١٠) كتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم ـ ص ٨٣
(١١) الاتقان في علوم القرآن ـ ج ٢ ـ ص ١٧٤
(١٢) سورة الأعراف الآية ٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي هذا تسجيل لوقوع ما انكره المنكرون من البعث والجزاء حتى يعتبروا بما حدث لمن كان على شاكلتهم ٠

(٧) مجاراة الخصم : بتسليم بعض مقدماته ثم التعقيب عليه بما يقلب نتائج قوله ، وهذا لالزامه وتبكيته.[١] ٠ فمن ذلك قوله تعالى : (قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ، فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ، قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [٢]

سلم الرسل بالمقدمة التي احتج بها المنكرون ، ولكنهم نقضوا النتيجة بقولهم إن اللّه يَمُنُّ على من يشاء من عباده ، وقدموا بذلك الدليل الذى لا يكون الا بتوفيق من الله سبحانه ٠

(٨) الانتقال : وهو أن ينتقل المستدل الى استدلال غير الذى كان اخذا فيه لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الأول [٣] ٠ ويلمح ذلك في مناظرة الخليل عليه السلام للجبار حيث قال : (رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) [٤] فقال الجبار : (أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ) [٤] فعلم الخليل أنه لم يفهم معنى الاحياء والاماتة ، فانتقل الى استدلال آخر لا يجد له الجبار وجهاً يتخلص به منه فقال : (إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ) [٤]

(٩) المعارضة : وهي التحدي بالمعجزة ، وطلب الاتيان بمثلها [٥] نحو قوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) [٦] ، وقوله تعالى أيضا : (قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [٧]

ففي الرد على الخصوم المنكرين جعل الله سبحانه القرآنَ الكريم حجّة عليهم ، ودعاهم الى المعارضة ، فعجزوا عن ذلك ، والدليل متى عورض بمثله بَطُل عملُه فيسقط الاحتجاج به ٠

هذه بعض مناحي القرآن الكريم في الاستدلال والرد على الخصوم ، وذكرت في هذا المقام اجمالا وبايجاز [٨] ، ويأتي التفصيل فيها في الجانب التطبيقي ان شاء الله تعالى ٠

---

(١) ينظر الاتقان في علوم القرآن ج ٢ ـ ص ١٧٤

(٢) سورة ابراهيم ، الآية ١٠ ـ ١١

(٣) الاتقان في علوم القرآن ـ ج ٢ ـ ص ١٧٤

(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٥٨ ٠

(٥) كتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم ـ ص ١١٦

(٦) سورة الطور ، الآية ٣٣ ، ٣٤ ٠

(٧) سورة يونس ، الآية ٣٨

(٨) ينظر تفصيل ذلك في مناهج الجدل في القرآن الكريم ـ زاهر عواض الألمعي ـ ص ٧٣ ـ ٩١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ج) الجـــدل بالـبـاطـــل :

هـو مـا أورده القرآن الكريم من كلام خصومـه المنكرين ، وهو جدل مذموم أريـد بـه المـمـاراة والـغـلبة [١] ، قال تعالى عنه : (وَجَادَلُوا بِالبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ فَأَخَذْتُهُم فكيـفَ كَـانَ عِقَـابِ) [٢]

وقـد ساق القرآن الكريـم كثيرا من شبه خصومـه سـواء كانوا من المشركين أو من أهـل الكتاب ، ثـم تولّى الـرد عليهم بنفسـه ، وفي سوق كلام الخصوم أسباب منها :

١٠ إنّ مـا ذكره هـؤلاء المنكرون من دعـاوى وأقاويـل هـو خلاصـة مـا اختلقـه وما يمكـن أن يختلقه الفكـر الانساني في معارضتـه للرسالة المحمدّيـة ، فاذا أوردهـا القرآن الكريم ثم ردّ عليهـا بالدلائـل الشافية ، والبراهين القطعية كـان فـي ذلك دحض لها ، والزام افحـام لمدعيها ، كمـا أنّ ربـط الدليل بالدعوى أقوى في الطلب ، وأبعـد في الاقناع ٠

٢٠ من آداب المجادلة والحـوار [٣] الاستماع لما يقول الخصم ليكون المُجادل منصفـا في الحكم ، وقـد تأدب القرآن الكريم مع المجادلين ، واستمع لحججهم وأورد بعضا منهـا ، ثم جعل أصـول الدعوة في معرض للجدل والنقاش ، حتى يوفـر للنفوس عناصـر الاقناع الكامل دون قسـر أو جـبر ٠

٣٠ واذا أراد الدارس أن يعرف آراء أصحاب الهوى والشهوات وجـد ذلك مسطورا في القـرآن الكريم مـع ما يعرضونـه من حجج واهيـة ، ودعاوى مفتراه ، كمـا أنـه يجـد الاجابات الشافية ، والحجج الدامغة ، والأدلـة المقنعـة على كذب دعاويهم ، وتهافت مزاعمهم مسطورا أيضا بشكـل لا يـمكـن الا التصديق بـه والاذعان لـه [٤].

ومن الموضوعات التي خاض فيها المجادلون بالباطل موضوع الوحدانية والبعث الأخـروى ، والرسالة المحمديـة ، ونـورد هنـا بعض الشبه التي تمسكوا بها ودافعـوا عنها بشدة ، قال تعالـى : (وَكَذَلِكَ مَـا أَرْسَلْـنَـا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيـرٍ إِلاَّ قَالَ مُترفُوهَـا إِنَّـا وَجَدنَا آبَاءَنَـا عَلَى أُمَّـةٍ وإِنَـا عَلَى اثارِهِم مُقْتَـدُونَ) [٥] وكـان الـرَدُ على شبهتهم هـذه بقولـه تعالى : (قَالَ أَولَـوْ جِئْتُكُم بِأَهْـدَى مِمَّـا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُم) [٦]

---

(١) ينظر البرهان في وجـوه البيان ـ ص ٢٢٢

(٢) سـورة غافـر ، الآيـة ٥

(٣) ينظر المصدر السابق ـ ص ٢٣٥ ـ ٢٤٥

(٤) ينظر الجدل في القرآن ـ حسن الشرقاوى ـ ص ٢٦ ـ ط مطبعة التقدم الاسكندرية ٠

(٥) سـورة الزخرف ، الآيـة ٢٣

(٦) سـورة الزخرف ، الآيـة ٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي قضية البعث والنشور يورد تعالى جدلهم بالباطل فيقول (وقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) (١) ، ويقول ايضا : (وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا) (٢)

وفي قضية اثبات الرسالة يسوق تعالى بعض الشبه التي تعلّق بها المنكرون ، فقال تعالى : (وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) (٣)

والملاحظ في هذه الآيات أنّ القرآن الكريم حين يسوق الشبهة الباطلة يتبعها بالحجة الداحضة لها ، وغاية هذا كلّه ليست الزام الخصوم وافحامهم فحسب ، بل عرض الحقائق مقرونة بالأدلة ، فياضة بالحجج لتجد سبيلها الى العقول والقلوب بعد استجابة كاملة ، واقتناع تام .

د - ما ورد بطريق الحوار :

وهو نوع من الجدل المحمود الذى لا يكون بين الخصوم ، ويقصد به الاسترشاد ، وحب الاستطلاع والنظر للعظة والاعتبار (٤) ومن هذا القبيل حوار ابراهيم - عليه السلام - مع ربّه ، قال تعالى : (وإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٥) .

الاقناع بالجدل القرآني :

جاء القرآن الكريم برسالة عالمية ليُنشىء عقيدة سليمة ، ويغرس مبادىء خالدة ، وبربي أجيالا متعاقبة ، وكان لا بد أن يأتي بأقوى الأدلة ، وأوضح البراهين في معرض بسطه للعقائد ، وسرده للحقائق ، ووفق منهج خاص في الاستدلال يناسب طبائع النفوس ، كما وجب أن يكون مطبوعا بطابع المرونة بحيث يجد فيه الانسان وفي كل أعصره قناعة ذاتية ، وارتياحا نفسيا لبراعة الحجة وأسلوب الحجة معا .

---

(١) سورة الجاثية ، الآية ٢٤

(٢) سورة مريم ، الآية ٦٦ ، ٦٧

(٣) سورة الفرقان ، الآية ٩

(٤) ينظر كتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم (مقدمة المحقق) - ص ٩

(٥) سورة البقرة ، الآية ٢٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد استطاع القرآن الكريم أن ينقذ الانسان من هوة الضلال بابتعاده عن طرق الاكراه والقسر والجبر في الاقناع ، واتباعه طرق الجدل الهادىء ، والحوار الهادف ، وباختباره الوسائل التي يمكن بها فك ذلك الارتباط الشديد بالعقائد والمذاهب الفاسدة ، فكان الجدل بهذا احدى الدعائم التي تقوم عليها دعوته ، ولذلك قال تعالى : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الانْسَانُ أَكْثَرَ شَيءٍ جَدَلاً) (١)

والمقصود من الآية الكريمة " أنّ القرآن الكريم يملك على الانسان نفسه بالوسيلة الوحيدة التي تقهر تفوقه في الجدل ، أي بتقديم الدليل المفحم لكل شبهة ، وتسليط البرهان القاهر على كل حجة " (٢)

وجدل القرآن الكريم له طابعه الخاص والمميّز كما سيتضح بعد دراسة بعض خصائصه الاقناعية .

(أ) إنّ الناظر في جدل القرآن الكريم يرى بجلاء أنّ الأدلة قد سيقت مساقا أدبيا واضحا تتفتح لها العقول والقلوب ، ولم تعرض في تلك القوالب الجافة المعروفة عند الفلاسفة والمتكلمين ومن لفّ لفهم ، كما أنها لم تتقيد بقيد من قيود المنطق المعروفة عند البشر ، ذلك أنّ القرآنَ الكريم دعوةُ هداية واقناع ، ورسالةُ بيان وامتاع ، مقصوده الأول تعليم الخاصة والعامة ، فلزم أن يكون له منهجه الخاص في الاستدلال حتى يصل الى غايته ، ومن هنا أخرج تعالى مخاطباته في مُحاجة خلقه في أجلّ صورة تشتمل على أدق دقيق لتفهم العامة من جليلها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة ، وتفهم الخواص من أثنائها ما يوفي على ما أدركه فهم الخطباء " (٣)

والأدلة عند المتكلمين ثلاثة أنواع : خطابية وجدلية وبرهانية (٤) ، ولكل نوع مقام خاص في الخطاب يراعى فيه المستوى الفكرى ، والاستعداد الثقافي للمخاطَب ، فالأدلة الخطابية تُعول على اثارة الوجدان ، وتحريك المشاعر ، وهي تناسب العامة من الناس ، أما الأدلة الجدلية فدون الخطابية في العموم ، وهي تناسب أهل الاهواء والمذاهب والديانات ، أما الأدلة البرهانية فلا يدركها الاّ الخاصة من الناس ، وهم أهل الفلسفة وصناعة المنطق .

واذا نظرت الى القرآن الكريم فانّك لا تجد فيه هذه التقسيمات في الاستدلال والبرهنة ، بل تجد أنّ منهجه في الجدل خاص ومتميّز ، يُباين ما هو معروف عند البشر ، واذا تأملت فيه وجدت ما امتازت به الأدلة البرهانية من يقين لا مرية فيه ، وما أمتازت به كل خواص البيان العالي مع أنه لا يسامى (٥) .

---

(١) سورة الكهف ، الآية ٥٤

(٢) نظرات في القرآن - محمد الغزالي - ص ١٢٤

(٣) البرهان في علوم القرآن - ج ٢ - ص ٢٤

(٤) ينظر فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال - ص ٥٥

(٥) ينظر المعجزة الكبرى القرآن - محمد أبو زهرة - ص ٣٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ب) " سلك القرآن الكريم في أدلته طرق الاقناع والتوجيه والارشاد ، فانه أتى بطرق الالزام والافحام ، وكان يسوق أدلته مستدلا مقررا ، أو ملزما مفحما فاكتملت بهم البهداية، وقامت به الحجة " (١) ، وكانت أدلته وما بها من خواص البيان العالي تخاطب العقول ، وتهز القلوب ، وتفي بحاجات النفوس ، والفرق بينها وبين أدلة الفلاسفة والمتكلمين " أنّ معظم هؤلاء يعتمدون على الفكر الذاتي ، والتأمل العقلي المرتبط بامكانياتهم الذهنية ، الأمر الذى يوقعهم في المتناقضات عند بحثهم في العلل البعيدة أو أصول الاشياء ، أو حقائق الوقائع ، فيضلون في بيداء لا حدود لها ولا قيود " (٢) ، كما " أنهم بتقسيماتهم ومقدماتهم يشوشون قلوب العوام ، والدلالات الظاهرة القريبة من الأفهام على ما في القرآن تنفعهم وتسكن نفوسهم وتغرس في قلوبهم الاعتقادات الجازمة " (٣)

وقد قارن حجة الاسلام الغزالي (ـ ٥٠٥هـ) ـ ولا مقارنة ـ بين أدلة القرآن الكريم وأدلة غيره من المتكلمين فقال : " أدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كلّ انسان ، وأدلة المتكلمين والفلاسفة المعتمدة على البرهان وأشكاله ، والمنطق وقيوده ، مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس فقط ، بل إنّ أدلة القرآن كالماء ينتفع به الصبي الرضيع ، والرجل القوى، وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الاقوياء مرة ، ويمرضون بها أخرى ، ولا ينتفع بها الصبيان أصلا " (٤)

(جـ) ومن الخصائص الاقناعية للجدل القرآني أنّه جدل تصويري يلمس البداهة، ويوقظ الاحساس لينفذ منهما مباشرة الى البصيرة ، ويتخطاهما الى الوجدان ، واشتركت في هذا الجدل الألفاظ المعبرة ، والتعبيرات المصورة ، والصور الشاخصة ، والمشاهد الناطقة، والقصص الكثيرة . (٥)

ولا يعتمد هذا الجدل على البرهان الذهني الجاف لأنّه لن يصل به الى شيء ما دامت النفس الانسانية قد آمنت بالبداهة والبصيرة ـ ولا زالت تؤمن ـ بكل دين وعقيدة في الوجود (٦) ، بالوسائل التي تخاطب الضمير ، وتهز المشاعر ، وتحرّك العقل .

---

(١) مناهج الجدل في القرآن الكريم ـ زاهر عواض الألمعي ـ ص ٧٠

(٢) الجدل في القرآن ـ حسن شرقاوى ـ ص ٢٥

(٣) الجام العوام عن علم الكلام ـ أبو حامد الغزالي (ـ ٥٠٥هـ) ـ ص ٨٩ تصحيح وتعليق محمد المعتصم بالله البغدادى ـ ط١ دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٥ .
وينظر مجلة الأزهر ـ عدد ٢ ـ مجلد (١٤) ـ صفر ١٣٦٢هـ ـ مقال : أدلة القرآن وأدلة العلماء ـ يوسف الدجوى .

(٤) الجام العوام عن علم الكلام ـ ص ٨١

(٥) ينظر التصوير الفني في القرآن ـ سيد قطب ـ ص ٢٢٩ ، ٢٣٠

(٦) نفسه ـ ص ٢٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الامثلة الشائعة في الجدل القرآني حول قضية التوحيد قوله تعالى : (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ) (١)

ففي هذه الآية جدل تصويري يعرض قضية التوحيد ببساطة ويسر ، فيرسم بطريق التسليم والافتراض صورة مضحكة لألهة متصارعة في الكون ، يفسد الوجود بتعددها ، وقد انتفى ذلك كلّه لوجود الاله الواحد القادر (٢).

وهذا النوع من المنطق يلمس الحس ، ويوقظ الخيال ، فيلمس البصيرة ، ويوقظ الوجدان، ويهيء النفس للاقناع والاذعان (٣).

(د) ومن الخصائص الاقناعية للجدل القرآني حسن الأدب ، والانصاف في الحكم في الرد على الخصوم والمنكرين ، فتقديرا للأدلة طلب القرآن الكريم الحجةَ من خصومه فقال تعالى : (أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي) (٤) وذم وتوعد كلّ صاحب دعوى بغير دليل ، فقال تعالى : (وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ) (٥) لأن الدليل هو الفيصل في المجادلة، وهو السبيل الى الاقناع ، أمّا ما أورده القرآن الكريم من أقاويل الاعداء والخصوم فلم يكن سوى شبهاً وأكاذيب مختلفة لا تقوم على دليل ، ولا تثبت في جدال ، ومع ذلك " لم يكن الردّ عليها ذا طابع صاخب ، بل كان مُهذّب اللفظ ، قوى المعنى " (٦) متأدبا بأدب الحوار والجدال .

وما يمكن أن يستنتج بعد دراسة بعض وسائل الجدل القرآني وخصائصه الاقناعية هو أنّ الغرض الأساسي لهذا الجدل ليس تقرير الحقائق ، وافحام الخصوم فحسب ، بل هو الأخذ بالاسباب التي تجعل هذه الحقائق تمتزج بالقلوب ، وتترسب في النفوس .

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية ٩١

(٢) ينظر التصوير الفني في القرآن ـ سيد قطب ـ ص ٢٣١

(٣) نفسه ـ ص ٢٣٠

(٤) سورة الأنبياء ، الآية ٢٤

(٥) سورة المؤمنون ، الآية ١١٧

(٦) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية ـ فصل حسن عباس ـ ص ١٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢) (أسلوب التصوير)

ترد الصورة في اللغة لتدل على معنى حقيقة الشيء وهيئته ، وعلى معنى صفته ، فتصورت الشيء توهمت صورته فتصور لي (١)

والصورة في الاصطلاح الحديث هي : " تجسيم لمنظر حيي ، أو مشهد خيالي يتخذ اللفظ أداة له " (٢) ، والتصوير هو ابراز هذه الصورة في العمل الأدبي بشكل فني ٠

واستعمال التصوير الفني هذا الاستعمال حديث في عالم البلاغة والنقد ، وقد كان الدارسون في السابق يستعملون لفظ الاستعارة أو التشبيه للدلالة على بعض ما تدل عليه كلمة التصوير الآن (٣) ٠

وقد اقتصر دارسو البلاغة في القديم على بيان الاستعارة ، وتعديد أنواعها ومجموع ما ورد منها في القرآن الكريم ، واستطاع بعضهم بعد التأمل أن يستخرج بعض اللمحات الفنية في التعبير القرآني ، وبقي الأمر على هذه الحال حتى العصر الحديث حيث استطاع فيه الاستاذ سيد قطب أن يُبلور نظرية التصوير الفني في القرآن الكريم ، ويحدّد الخصائص الفنية الأساسية التي تقوم عليها ، ويطور في بعض المفاهيم البلاغية القديمة ٠

وكانت خلاصة ما توصل إليه أن التصوير الفني في القرآن الكريم أداة مفضلة ، وقاعدة أساسية في التعبير عن مختلف القضايا ، " فهو يُعبر بالصورة المحسّة المُتخيلة عن المعنى الذهبي ، والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور ، وعن النموذج الانساني والطبيعة البشرية ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة ، أو الحركة المتجددة ، فاذا المعنى الذهبي هيئة أو حركة ، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ، وإذا النموذج الانساني شاخص حي ، واذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية ، فأما الحوادث والمشاهد ، والقصص والمناظر ، فيردها شاخصة حاضرة ، فيها الحياة وفيها الحركة ، فاذا أضاف لها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل " (٤)

---

(١) لسان العرب مهارة (صور) ٠

(٢) المذاهب النقدية - ماهر فهمي - ص ٢٠٤ - ط مكتبة النهضة العربية ٠

(٣) ينظر الصورة الفنية في المثل القرآني - محمد حسين الصغير - ص ٢٥ - ٢٩ ط المكتبة الوطنية بغداد ١٩٨١ - وينظر نظرية التصوير الفني عند سيد قطب - صلاح الخالدى - ص ٧٥ - ط مطبعة حطين ١٩٨٣ (الاردن) ٠

(٤) التصوير الفني في القرآن - سيد قطب - ص ٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن خصائص هذا التصوير الفني في التعبير القرآني أنه " تصوير باللون ، وتصوير بالحركة ، وتصوير بالتخييل ، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل، وكثيرا ما يشترك الوصف ، والحوار ، وجرس الكلمات ، ونغم العبارات ، وموسيقى السياق في ابراز صورة من الصور ، تتملاها العين والأذن ، والحس والخيال ، والفكر والوجدان " (١) .

وهذا اجمال لما سيأتي تفصيله في دراسة بعض وسائل التصوير وخصائصه الاقناعية في التعبير .

بعض ألوان التصوير القرآني :

(أ) التصوير بالكلمة المفردة :

لم يبتكر القرآن الكريم ألفاظاً كانت مجهولة قبل نزوله ، بل " الجديد في لغة القرآن أنه في كل شأن يتناوله من شؤون القول يتخيّر له أشرف المواد ، وأمسّها رَحِماً بالمعنى المراد ... ولا يجد المعنى في لفظه الاّ مرآته الناصعة ، وصورته الكاملة ، ولا يجد اللفظ في معناه إلاّ وطنه الأمين ، وقراره المكين " (٢) .

وتتفاوت الالفاظ في الدلالة على المعاني بدقة ، والبليغ هو الذى يحسن اختيار الألفاظ المصوّرة ، المثيرة للخيال ، والتي يكون لها وقعها في النفوس ، وكان القرآن الكريم مثلا أعلى في هذا الجانب ، وبلغ في ذلك درجة الاعجاز الذى لا يسامى ، فمن أمثلة ذلك قوله تعالى : (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) (٣) فكلمة " مُسْتَطِيراً " تبرز المعنى في صورة حسية حية ، فيُخيل الشرُّ شيئا ماديا ينتشر ويمتد ليصيب كل من يقع في طريقه .

(ب) التصوير بالتشبيه :

" تشبيهات القرآن أياً كان وجهها صُور بيانية تتضح منها الحقائق الظاهرة والمعاني العاطفة كأنها أمور محسوسة مرئية " (٤) فمن ذلك قوله تعالى : " فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) (٥) يبرز التشبيه المعنى في صورة قوية تتملاها القلوب وتتأثر بها النفوس .

---

(١) نفسه - ص ٣٧

(٢) النبأ العظيم - عبد الله دراز - ص ٩٢

(٣) سورة الانسان ، الآية ٧

(٤) المعجزة الكبرى القرآن - محمد أبو زهرة - ص ٢٥٥

(٥) سورة المدثر ، الآية ٤٩ - ٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ج) التصوير بالاستعارة :

الاستعارة وسيلة بليغة تساهم في ابراز المعنى في صورة جميلة ، وفي ثوب ملموس محسوس ليلقى قبولا ورضا لدى النفس ، فمن الاستعارات التي شغلت البلاغيين منذ القديم قوله تعالى : (واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً) (١) حيث استعير الاشتعال للشيب ، فحاول بعضهم أن يُبيّن هذه الاستعارة ، ويقف على بلاغة النظم ، ودقة المعنى (٢) ، لكن الذي خفي عنهم هو ذلك الجمال الفني في التعبير ، وهو تحديدا يتمثل في تلك الحركة التخييلية السريعة التي تظهرها الصورة ، إنّها حركة الاشتعال التي تتناول الرأس في لحظة ، وهذه الحركة هذه عنصر الجمال الصحيح (٣) .

(د) التصوير بضرب المثل :

أسلوب التمثيل له قدرة كبيرة على التأثير والاقناع وهو من الأساليب التي تعتمد على التصوير اعتمادا كليا (٤) ،ومن الامثلة على ذلك قوله تعالى : (يَـأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذبابُ شيئاً لا يَسْتَنقِذُوه مِنْهُ ضَعُفَ الطالِبُ والمَطْلُوبُ) (٥) يريد القرآن أن يُبيّن ضعف وعجز ما يعبد المشركون ، " ويعلن عن هذا الضعف في صورة مثلٍ معروض للاسماع والأبصار ، مصوّر في مشهد شاخص متحرك ، تتملاه العيون والقلوب ، مشهد يرسم الضعف المزري ويمثله أبرع تمثيل " (٦) .

(هـ) التصوير في الأسلوب القصصي : (٧)

يأتي التصوير في القصص بصورة أتم وأوفى في الآيات القرآنية ، والقصص مسرح واسع لعرض المشاهد الحية ، وتصوير الحالات المتكررة ، ورسم الشخصيات المتجددة ، ومثل لذلك بمشهد من قصة مريم عند ميلاد عيسى ـ عليه السلام ـ قال تعالى : (فَحَمَلَتْهُ فانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِياً فَأَجَاءَهَا المَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وكُنْتُ نِسْياً مَنْسِياً فَنَادَاهَا من تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِياً وهُزِّي إِلَيكِ بجذعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِط عَلَيْكِ رُطَباً جَنِياً

---

(١) سورة مريم ، الآية ٤

(٢) ينظر دلائل الاعجاز ـ ص ٦٩ (تحقيق " رشيد رضا ") ط القاهرة ١٩٦١ .

(٣) ينظر التصوير الفني في القرآن ـ سيد قطب ـ ص ٣٣

(٤) ينظر الصورة الفنية في المثل القرآني ـ محمد حسين الصغير ـ ص ١٥٠ وما بعدها .

(٥) سورة الحج ، الآية ٧٣

(٦) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ ج ٤ ص ٢٤٤٣ .

(٧) ينظر التصوير الفني في القرآن ـ من ص ١٩٠ ـ ٢١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم انسياً) (١)

هذا مشهد حي شاخص ، فيه تصوير لعمق الآلام النفسية والجسدية التي تعاني منها الأم الحامل ، وفيه رسم لقوة الاضطراب في العواطف والانفعالات ، حتى يأتي صوت الابن بالاطمئنان والسكينة .

الاقناع بالتصوير القرآني :

أسلوب التصوير هو القاعدة الاساسية في التعبير القرآني ، وهو يشكل مع بقية الأساليب وسيلة بيان وايضاح ، وأداة تأثير واقناع ، وبتكامله مع عناصر الكمال في خصائص التعبير الأخرى كطريقة الأداء ، والدلالة المعنوية للألفاظ والعبارات ، والايقاع الموسيقي للكلمات والعبارات يحقق التأثير المطلوب ويصل الى الاقناع الكامل .

وقيمة التصوير الاقناعية تتجلى في خصائصه الفنية المتميزة ، وفي قدرته على عرض القضايا الدينية المختلفة بلغة الجمال الفنية ، ويؤلف بذلك بين الغرض الديني والغرض الفني فيما يعرضه من الصور والمشاهد ، والملاحظ أنه يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني ، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية (٢) ليجعل النفس أكثر قبولا ورضا بما يعرض عليها من حقائق .

وهذه بعض خصائص التصوير الفنية ، التي تظهر قدرته على عرض القضايا المتنوعة عامرة بالامتاع والاقناع .

(أ) من أبرز خصائص التصوير الفنية التعبير عن المعاني المتنوعة بطريقة تصويرية رائعة ، تختلف عن التعبير بالطريقة التجريدية ، فالمعنى في الطريقة الثانية يخاطب الذهن والوعي ، ويصل إليهما مجردا من ظلاله الجميلة ، وفي الطريقة الأولى يخاطب الحس والوجدان ، ويصل الى النفس ، من منافذ شتى : من الحواس بالتخييل ، ومن الحس عن طريق الحواس ، ومن الوجدان المنفعل بالاصداء والأضواء ، ويكون الذهن منفذا واحدا من منافذها الكثيرة الى النفس ، لا منفذها الوحيد (٣)

(ب) انّ طريقة التصوير لها قدرة كبيرة على التعبير عن المعقولات المعنوية بالأمور الحسية ، فتصير ملموسة مرئية (٤) فمن ذلك قوله تعالى : (بَلْ نَقْذِفُ بِالحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) (٥) فكلمة "القذف" توحي بتلك القوة التي يهبط بها الحق على الباطل ،

---

(١) سورة مريم ، الآية ٢٢ - ٢٦

(٢) التصوير الفني في القرآن - سيد قطب ، ص ١٤٣

(٣) التصوير الفني في القرآن - سيد قطب - ص ٢٤٢

(٤) ينظر من بلاغة القرآن - أحمد بدوي - ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٥) سورة الأنبياء ، الآية ١٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكلمة " يدمغه " توحي بتلك المعركة التي تنشب بين الحق والباطل فيُصرَعُ فيها الباطل ويُحَطَّمُ.

(ج) يمنح أسلوب التصوير المعاني الذهنية ، والحالات المعنوية الحياة الشاخصة المتجددة ، فترى التجسيم ، والتخييل الحسي يدب في المعاني والقصص والأمثال والحوادث والمناظر ، فمميزة هذا التصوير القرآني " أنه تصوير منتزع من عالم الاحياء ، لا ألوان مجردة وخطوط جامدة ، تصوير تقاس الابعاد فيه والمسافات بالمشاعر والوجدانات ، فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية ، أو في مشاهد من الطبيعة تُخلع عليها الحياة " (١)

(د) ومن خصائص التصوير كذلك عرض القضايا الجدلية التي قد تحتاج الى برهنة عقلية ، وتقسيم منطقي ، ببساطة ويسر وكأنها بديهيات مقررة لا تحتاج الى كل هذا الاستدلال والبرهنة ، " لأن أقرب الطرق الى الضمير البداهة ، وأقرب الطرق الى الوجدان هو الحسّ ، وما الذهن في هذا المجال الاّ منفذ واحد من منافذ كثيرة ، وليس هو على أية حال أوسع المنافذ ولا أصدقها ولا اقربها طريقا " (٢) ومثال ذلك قوله تعالى : (مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كالأَعْمَىَ والأَصَمِّ وَالبَصِيرِ والسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ " (٣) هذه القضية الجدلية تحتاج في هذا المشهد المصوّر الحي الى التذكر فحسب لانها من البد هيات التي لا تقتضي التفكير العميق .

(هـ) ومن الخصائص الفنية للأسلوب التصويري ايجاز التعبير ، واختصار المسافات الواسعة ، والمسافات الطويلة ، إذ أنّ الريشة القرآنية المعجزة ترسم الصورة حيّة شاخصة ، غنية بالمعاني ، وتغني عن الكثير من الفقرات والعبارات (٤) . ومثال ذلك قوله تعالى : (وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى الذِي يَصْلَى النَّارَ الكُبْرَى ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَ) (٥)

فهذه صورة حية للعذاب في جهنم الذى لا يؤدى الى موت ، ولا يبقي على حياة ، وهذا الايجاز في اللفظ يفي بحق المعنى كاملا ، يغني عن الكثير من الفقرات والعبارات .

(و) ومن الخصائص الاقناعية للتصوير القرآني اختيار الكلمات التصويرية المعبرة ، فهو يستخدم ألفاظا معروفة عند البشر ، " ولكن هذه الألفاظ تبقى ألفاظا جامدة في الاستعمال البشرى ، وتدل على معانيها دلالة ذهنية عقلية ، أو تتحول الى صور ولكنها باهتة ، أما عندما تتناولها الريشة القرآنية المعجزة . فسرعان ما تدب فيها الحياة الشاخصة ، والحركة المتجددة ،

---

(١) التصوير الفني في القرآن - سيد قطب - ص ٣٧ ، ٣٨

(٢) نفسه - ص ٢٢٨ - وينظر أيضا موضوع " المنطق الوجداني " في المرجع نفسه من ص ٢٢٦ - ٢٣٨

(٣) سورة هود ، الآية ٢٤

(٤) ينظر نظرية التصوير الفني عند سيد قطب - صلاح الخالدى - ص ٢٧٤ ، ٢٧٥

(٥) سورة الأعلى ، الآية ١١ - ١٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتحـــول الى الفاظ وتعبيرات ذات أرواح " .

هـذه بعض وسائل الأسلوب التصويـرى في الـــقـــرآن الكريم ، وبعض خصائصـــه الفنيـــــة التي تحقـــق شـروط الاقناع ، وعناصـــر الامتاع ، والـــتي تتجلـى أكـثر في الدراسة التطبيقيـــــة لـــــسـورة " الفـرقـــان " .

---

(١) سـورة الاعلى ـ الآيـــة ، ص ٢٩٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣) (أسلوب القصص)

أصل القصص في اللغه القص وهو تتبع الأثر ، تقول العرب : قَصَصْتُ الشيء إذا تتبعت أثره (١).

والمعنى الاصطلاحي مأخوذ من هذا الاصل اللغوى للكلمة ، " فهو اتباع الخبر بعضا بعضا ، وأصله المتابعة ،قال تعالى : (وقَالَت لأُخْتِهِ قُصِّيهِ) (٢) أى اتبعي أثره " (٣)

وقال الفخر الرازى (ـ٦٠٦هـ) ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى : (إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ) (٤) : " القصص هو مجموع الكلام المشتمل على ما يهدى الى الدين ، ويرشد الى الحق ، ويأمر بطلب النجاة " (٥)

فالمعنى الاصطلاحي للكلمة يتلاقى مع المعنى اللغوى ، ذلك أن القصص إنّما يتبع أحداثا ماضية ، ومن هنا فُهم القصص القرآني على أنه " اخبار عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة " (٦)

والقصة في القرآن الكريم فن متميّز ، وأداة بيانية فعّالة جاءت لتساهم فيما يرمي اليه من غايات دينية " لأن القرآن الكريم كتاب دعوة دينية قبل كل شيء ، والقصة إحدى وسائله لابلاغ هذه الدعوة وتثبيتها " (٧)

وكان نصيب القصة من حيث المكان والمساحة يساوى ربع القرآن الكريم أو يزيد قليلا (٨)، وهذا فيض كثير يدل على مكانة القصة بين وسائل الدعوة ، وطرق الاقناع والتأثير .

---

(١) لسان العرب ، مادة (قصص)
(٢) سورة القصص ، الآية ١١
(٣) تفسير الفخر الرازى ـ ج ١٨ ـ ص ٨٥
(٤) سورة آل عمران ، الآية ٦٢
(٥) تفسير الفخر الرازى ـ ج ٨ ـ ص ٨٣ ، ٨٤
(٦) مباحث في علوم القرآن ـ مناع القطّان ـ ص ٢٧٣
(٧) ينظر التصوير الفني في القرآن ـ سيد قطب ـ ص ١٤٣
(٨) ينظر قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية ـ فضل حسن عباس ـ ص ٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أغـــراض القـــصـــص الـــقـــرآنـــي :

إذا كـانت القصة قـد سيقت في السقـرآن الكريم بمستواهـا الفني الرفيـع ، وطريقـة عرضها البليغة ، فليس لتكون عملا فنيا مقصودا لذاتـه هدفـه المتعة والاثارة ومـا الى ذلك ممـا يعرفـه ويتذوقـه البشـر في قصصهـم المتنوع ، لكّـن ورودهـا بهذه الصورة كـان لتحقيق أغـراض دينيـة كثـيرة تكاد تشمل قضايـا الدعـوة جميعها [١] كأثبات الوحدانية والرسالة ، والبعث والجـزاء ، وبيـان سنـن الله الكونيـة ، وغـير ذلك مـن القضايـا ، ولا يتسـع المقام هنـا لبسـط هـذا كلـه ، ونكتفي بذكـر أهـم الاغراض اجمالا .

(أ) القصـص القرآني عـبرة " لمـن يعتبر ، ووسيلة لمن يتفكـر ، قال تعالى : (لَقَـدْ كَـانَ فِي قَصَصِهِم عِبْرَة لأُولِي الأَلْبَـابِ [٢] فغايـة القصص الحـق الاعتبـار والاتعـاظ بمـا جـاء فيـه مـن أخبـار الصدق ، ودلائـل الغيب ، " وإنّمـا خص أولـو الألـبـاب لأنهـم هم الذين ينتفعـون بالعبر " [٣] ، وفي ذلك يقـول تعالى : (فأقصص القصص لعلهم يتفكرون) [٤] فمـن كـان لـه لـب وأجـاد النظـر ورأى مـا فيه من امتحـان ولطف واحسـان علم أنـه من أمـر اللـه تعالى "[٥] فالقصص يحـرّك العقـول ، وينبّـه القلوب إلى غاياتـه السامـية ؛ قـال العلـوى (ـ٧٤٩هـ) عنـد الحديث عن وجـه الحكمـة مـن تكـرار قولـه تعالى : (ولَقَد يَسّرْنَـا القُـرْآنَ للذِكْـرِ فَـهَـلْ مِـنْ مُدَكِـرٍ) [٦] عقب كـل قصة قـال : " إنّما كرّره لما يحصل فيه مـن ايقـاظ النفوس بذكـر قصص الأولين ، والاتعاظ بمـا أصابهم مـن المَثُـلاَت ، وحـلّ بهم مـن أنـواع العقوبات فيكون بمنزلـة قـرع العصـا ، لـئلا تستولى عليهم الغفلـة ، ويغلب عليهم الذهـول والنسيـان " [٧] .

---

(١) ينظر تفصيل ذلك فـي " التصوير الفني في القرآن " ـ سيـد قطب ـ ص ١٤٤ ، ١٥٥

(٢) سـورة يوسـف ، الآيـة ١١١

(٣) تفسير البحر المحيط ـ أبو حيان الأندلسي (ـ٧٥٤هـ) ـ ج ٥ ص ٣٥٦ ـ ط ٢ ـ دار الفكـر للطباعة ، بـيروت ١٩٨٣م

(٤) سـورة الاعراف ، الآيـة ١٧٦

(٥) تفسـير البحـر المحيط ـ ج ٥ ـ ص ٣٥٦

(٦) سـورة القمـر ، الآيـة ١٧

(٧) الطراز المتضمن لأسـرار البلاغة ـ العلوى (ـ٧٤٩هـ) ـ ج ٢ ـ ص ١٧٨ ـ ط مطبعة المقتطف مصـر ١٩١٤م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ب) القصص القرآني أبرز الاساليب في شرح الاسلام ، وبيان رسالته ، فاثبات الوحي الالهي ، وتقرير الأصل المشترك بين الأديان السماوية جميعها ، وتجسيد الصراع الدائم بين الحق والباطل وعاقبة كل منهما ، وغير ذلك من معاني الحق ، كل ذلك قد وسعه القصص القرآني ووعاه ، "ولم يكن هذا القصص الواعي المحكم سرداً مجرداً لبعض الروايات القديمة يتسلى بها السامعون ثم يغفلون عند حكايتها أو يتعظون ، لا ، إنّ هذا القصص كان تاريخا لسير الدعوة الدينية في الحياة ، كيف خطت مجراها بين الناس منذ فجر الخليقة ، وما هي العقبات التي اعترضتها ، وهل وقفت عندها أو تغلبت عليها ؟ وما صنع الأنبياء بازائها ، وكيف قبلت الأمم المدعوة رسالات الله أو صدت عنها ؟ وبما انتهى الصراع بين الغي والرشد ؟ " (١) ، وبهذا تنكشف للناس تعاليم الاسلام ومبادؤه ، وتمتزج بقلوبهم ، بعد أن تكون قد عملت عملها في إزالة العلل ، ومسح الخرافات ، وطمس الأباطيل بصنوف المواعظ والعبر ، قال تعالى : (نحنُ نَقُصُّ عليْكَ أحسَنَ القَصَصِ بِمَا أوْحَيْنَا إلَيْكَ هَذَا القُرآنَ وإنْ كُنْتَ مِنْ قبلِهِ لمِنَ الغَافِلِينَ) (٢)

(جـ) وكان من أغراض القصص في القرآن الكريم تثبيت قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تبعه في الاسلام ، وبيان نصر الله لأوليائه وهلاكه لأعدائه في النهاية ، قال تعالى : (وكلاً نَقُصُّ عليكَ مِنْ أنبَاءِ الرُسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) (٣) ويبقى هذا التثبيت في النفوس في كل زمان حين سماع القصص الحق .

---

(١) نظرات في القرآن - محمد الغزالي - ص ١١٠

(٢) سورة يوسف ، الآية ٣

(٣) سورة هود ، الآية ١٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاقـــنـــاع بالقـــصـــص القرآنـــي :

القصـــص فـــي القرآن الكريـــم أداة بيـــان وتوضيـــح ، ووسيلة اقنـــاع وتأثـــير ، وهـــو أحـــد الوسائل الضروريـــة التي تتطلبها التربية [١] وتقتضيها طبيعة الرسالـــة ، وهـــو إلى جانـــب هـــذا أسلوب بياني معجـــز لـــه من الخصائص مـــا يجعلـــه قادرا على تصريف المعـــاني مـــع بلاغـــة التعبير ، والتنويـــع فـــي طـــرق العرض مـــع جمال التصويـــر ، كمـــا أنـــه بهـــذه الخصائص يحقق شـــروط الاقناع بتحريكه للعقول ، واثارتـــه للمشاعر ، ومخاطبتـــه لمواطن الاستجابـــة لدى النفس الانسانيـــة، قـــال تعالى : (فاقْصُصِ القَصَـــصَ لَعلَّهُـــم يَتَفكَّـــرُونَ) [٢] .

وقـــد تحدث الجاحـــظ (ـ٢٥٥هـ) ـ رحمـــه الله ـ عـــن حاجـــة النـــاس الى القصص فـــي حياتهم ، وتأثـــيره في نفوسهم ، فقال : " لمـــا علم الله ـ تبارك وتعالى ـ أنّ النـــاس لا يدركـــون مصالحهم بأنفسهم ، ولا يشعرون بعواقب أمورهـــم بغرائزهم دون أن يَـــرِدَ عليهم آداب المرسلين ، وكتـــب الأولين ، والاخبار عـــن القرون والجبابـــرة الماضين ، طبـــع كـــل قـــرن من النـــاس علـــى اخبـــار من يلـــيـــه ، ووضح القرن الثاني دليلا يعلم بـــه صـــدق خـــبر الأول ، لأن كـــثرة السماع للأخبـــار العجيبـــة ، والمعاني الغريبة ، مَشْحَذَةٌ للأذهـــان ، ومادة للقلـــوب ، وسبـــب للتفكـــير ، وعلـــة للتنقـــير عـــن الأمـــور " [٣] .

لقـــد كـــان للقرآن الكريم الفضـــل فـــي الحفاظ على قصـــص الأولين بعدمـــا عبثـــت بـــه أيـــدي السابقين ، كمـــا أنـــه أقـــام بـــه الحجة على الأولين والآخرين ، (لِئَـــلاَ يكونَ للنَّـــاسِ عَلَـــى اللّهِ حُجَّـــةٌ بَعْـــدَ الرُّسُـــلِ) [٤].

" ولولا الكتاب الذى قيّـــد علينـــا أخبـــار من مضـــى من الرســـل ، ونقل الينـــا مـــا أتـــوا بـــه من الكتب ، لمـــا قامت للـــه سبحانـــه حجـــة علينـــا ، اذ كنـــا لم نشاهدهم ، ولم نســـمع حججهـــم ، ولم نعاين آياتهم ، ولا نقرضـــت العلوم والروايـــات بانقـــراض أهلهـــا ، وموت مـــن تحملها ، ولم يبق فـــي أيدى الناس من ذلك ومن أخبـــار الماضين ، وآثـــار المتقدمين ، الاّ اليســـير ممـــا تلقـــاه الخلف عـــن السلف " [٥].

---

(١) ينظر منهج تربوى فريد في القرآن ـ سعيد رمضان البوطي ـ ص ٥١

(٢) ســـورة الاعراف ، الآيـــة : ١٧٦

(٣) رسائل الجاحـــظ (حجـــج النبـــوة) ـ ج ٣ ـ ص ٢٣٩

(٤) ســـورة النســـاء ، الآيـــة ١٦٥

(٥) البرهـــان في وجـــوه البيـــان ـ ص ٣١٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ القصص القرآني بما فيه من خصائص البيان العالي يساق لأداء أغراض كثيرة- كما ذكر في السابق - لعل من أهمها تمكين العبرة ، وتحقيق شروط الاقناع للدعوة ، فهو أولا : أحد ينابيع الاستدلال بما اشتمل عليه من براهين الصدق ، وبما ساقه من جدل وحوار بين أهل الحق والباطل ، ومن هنا " اتخذه القرآن الكريم سبيلا للاقناع والتأثير ، وضمن القصة الأدلة على بطلان ما يعتقد المشركون وغيرهم ، وقد يكون موضوع القصة رسولا يعرفونه ويجلّونه إذ يدعي المجادلون أنّهم يحاكونه ويتبّعونه ، فيجيء الدليل على لسانه فيكون ذلك أكثر اجتذابا لإفهامهم ، وأقوى تأثيرا في نفوسهم ، وقد يكون مفحما ملزما ان كانوا يجادلون غير طالبين للحق " (١).

وثانيا هو أحد عناصر البلاغة القرآنية الرفيعة ، ففيه من الخصائص البلاغية والفنية ما يشهد له بالروعة والاعجاز .

فمن خصائصه الفنية التي تساهم في عملية الاقناع والامتاع ، " تصويره للحوادث والمشاهد ، ورسمه للشخصيات ملامحها وأعمق خلجاتها النفسية ، واتكائه على غريزة حبّ الاستطلاع في النفس البشرية حين يستحوذ على مشاعر القارىء ، فلا يدعه يلتقط أنفاسه أو يفتر اهتمامه قبل أن يصل به الى نهاية القصة ، ويستوعب الدرس الذى توحي به ، وهو مؤثر بقدرته على الاثارة والتشويق بما يتخلله من مفاجآت تكون كالهزّات العنيفة التي تثير الانتباه ، تذكي الشوق الى متابعة القصة ، وهو مؤثر باستعانته بالخيال حين يترك فجوات في سياق الأحداث تاركا للقارىء ان يستكملها بتصوّره ليجعل من الاحداث بنية متلاحمة متصلة ، ثم هو مؤثر بما يبثه في تضاعيف عرضه المصور من عظات وتوجيهات دينية بطريقة لا تشعر القارىء بأنها دخيلة على السياق القرآني " (٢).

والقصص القرآني مؤثر بما فيه من ترغيب وترهيب (٣) يناسبان طبائع النفوس المجبولة على الرغبة والرهبة .

ومن الخصائص البلاغية للقصص القرآني ما يلي :

يعد القصص وجها من وجوه الاعجاز عند بعض الدارسين (٤) وجوانب الاعجاز فيه كثيرة لعل أبرزها الجانب البياني ، وهو خاصية التراكيب القرآنية جميعها ، ويتجلى في قدرة القصص على تضريف المعاني ، وتنويع طرق العرض ، وتصوير المشاهد والاحداث .

---

(١) المعجزة الكبرى - محمد أبو زهرة - ص ٣٧٥

(٢) أسلوب الدعوة القرآنية - عبد الغني بركة - ص ٣٠٣ - وينظر مجلة " منبر الاسلام " - عدد٩- السنة ٣٦ (١٣٩٨هـ) - مقال : من وسائل القرآن الكريم في الدعوة (القصة) - د. أحمد غلوش .

(٣) ينظر سيكلوجية القصة في القرآن الكريم - التهامي نقره - ص٤٤٤ - ٤٥٦ ط الشركة التونسية للنشر والتوزيع ١٩٧٤م .

(٤) ينظر الاتقان في علوم القرآن - ج ٢ - ص ١٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما يبرهن على هذا البيان العالي هو أنّ القصة الواحدة كقصة نوح ـ عليه السلام ـ تُعرض في عدة مواضع من القرآن الكريم فتجد لها في كل مرة غرضا ومقصدا ، وتجد لها في كل مرة قالب بياني جديد يناسب سياق السورة ، ويخدم موضوعها الرئيسي ، ولا تجد في ذلك تنافرا أو تكرارا ، بل هو انسجام مع التحام ، وبيان على بيان ٠

وقد ذكر الرماني (ـ٣٨٦هـ) أن الحكمة من تنوع القصص القرآني هي " التصرّف في البلاغة من غير نقصان على أعلى مرتبة ، وتمكين العبرة والموعظة " (١) .

ويعتمد القصص القرآني في تنويع طرق عرضه ، وتحقيق شروط اقناعه على بعض الوسائل لعل من أبرزها ما سُمّي بالتكرار ثم الحوار ثم التصوير ، وهي من الخصائص الأساسية في التعبير القرآني ، ولأهميتها في هذا المجال نعرض لها بايجاز ٠

(أ) التكرار :

التكرار من الظواهر البارزة في قصص القرآن الكريم ، فقد تكرر ذكر بعض القصص كقصة آدم وابليس ، وقصة نوح عليه السلام ٠ وغيره من الانبياء لأغراض جليلة تدل كلها على الاعجاز البياني للقرآن الكريم ، قال الباقلاني (ـ ٤٠٣هـ) ـ رحمه الله : " انّ اعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدى معنى واحدا من الأمر الصعب الذى تظهر فيه الفصاحة، وتتبيّن فيه البلاغة " (٢).

فعرض الحقيقة الواحدة بأساليب مختلفة دون أن يتغير جوهرها ، ودون أن يضعف أسلوب عرضها من الأمر الصعب الذى يعجز عنه البلغاء ٠ أما من ظن أن مثل هذا التشابه في القصص هو من معايب الخطاب ، وليس من محاسن البلاغة ، فقوله مردود ، " لأنّ عادة الفصحاء جارية بأنهم قد يكررون القصة الواحدة في مواطن متفرقة بألفاظ مختلفة لأغراض تتجدد في المواطن وفي الأحوال ، وذلك من الادلة على المفاخر والفضائل لا من دلالة المعايب في الكلام ، وإنّما يعاب التكرار في الموطن الواحد " (٣) .

---

(١) النكت في اعجاز القرآن ـ ص ١٠٢

(٢) اعجاز القرآن ـ ص ١١٦ ـ ضمن الاتقان في علوم القرآن ـ ط دار المعرفة بيروت ٠

(٣) المغني في ابواب التوحيد والعدل ـ القاضي عبد الجبار (ـ ٤١٥هـ) ـ ج ١٦ ـ ص ٣٩٧ ط ١ مطبعة دار الكتب القاهرة ١٩٦٠م ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويكشف الزركشي (ـ٧٩٤هـ) عن بعض الأسرار البيانية لتكرار القصص فيقول [١]:

١ ـ " إنّ ابراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة لا يخفى ما فيه من الفصاحة ·

٢ ـ إنّ المعاني التي اشتملت عليها القصة الواحدة من هذه القصص صارت متفرقة في تارات التكرير فيجد البليغ ـ لما فيها من التغيير ـ ميلا الى سماعها ، لما جبلت عليه النفوس من حبّ التنقّل في الأشياء المتجددة التي لكل منها حصة من الالتذاذ مستأنفة ·

٣ ـ ظهور الأمر العجيب في اخراج صور متباينة في النظم بمعنى واحد ، وقد كان المشركون في عصر النبي صلى الله عليه وسلم يعجبون من اتساع الأمر في تكرار هذه القصص والأنباء مع تغاير أنواع النظم ، وبيان وجوه التأليف " ·

وقد لاحظ دارسو القصص القرآني عند تتبعهم للقصة الواحدة المكررة في سور كثيرة أنه لا يوجد تكرار كما يفهم من لفظ التكرار ، إنّما تعاد القصة بأسلوب مختلف لتفيد غرضا معينا يتلاءم مع الاطار العام للسورة [٢] .

فالظاهرة الحقيقية هي التنويع في طرق النظم ، فلكل قصة مكررة غرض معين موافق لجو السورة التي ذكر فيها ، ومن هنا ما يُتوهم أنّه تكرار هو في الحقيقة تجديد للمعنى وفق غرض السورة الأساسي ولا يمكن الاستغناء عنه ، خصوصا وأنّ القرآن الكريم وهو كتاب دعوة يحرص على بيان الحقائق مع ضمان توصيلها الى النفوس ·

(ب) **الحوار** :

الحوار بشكل عام قاعدة أساسية يعتمد عليها القرآن الكريم في دعوته ، وقد حوت القصة القرآنية كثيرا من المحاورات النابضة بالحياة لبيان الحقيقة ، وبسط الموعظة ·

والحوار أحد العناصر الأساسية والضرورية لانجاح أيّة قصة ، ووظيفته لا تقف عند سرد الأقوال ، وانطاق الشخصيات ، وتعميق الصراعات ، بل تتجاوز ذلك الى بعث الحياة والحركة في الاحداث ، وتصوير الشخصية في أدق انفعالاتها ، وبيان المرامي التي تتتابع الصراعات من أجلها ·

---

(١) ينظر البرهان في علوم القرآن ـ ج ٣ ـ ص ٢٦ ـ ٢٨

(٢) ينظر " دراسات قرآنية ـ محمد قطب ـ ص ٢٤٩، ٢٥٦ ـ وانظر " قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية ـ فضل حسن عباس ـ ص ٦٣ ، ٦٤ ـ وينظر مجلة " الوعي الاسلامي " (الكويت) ـ عدد ٩ ـ ذو الحجة ١٣٩٢هـ ـ مقال : " التكرار في قصص القرآن " ـ عبد الكريم الخطيب ·

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحوار في القصة القرآنية له طابع خاص وهو أنه نابض بالحياة المتجددة على غرار صدقه التاريخي ، فقد " تضمّن من المعاني ما يجتاز به نطاق قصته الخاصة ليكون خطابا يتردد صداه عبر الزمان والمكان " (١) وغاية ذلك أخذ العبرة ، وتمكين الموعظة .

وتنوع أساليب الحوار باختلاف الاشخاص ، وبتعدد الأحداث والمواقف هو من الخصائص البارزة في القصص والتي تساهم فيما يرمي اليه القرآن الكريم من اقناع وتأثير (٢) . كما أن هذا الحوار بما فيه من أدلة الحق ، وبراهين الصدق الناتجة عن صراع الحق مع الباطل في كل الازمنة هو أقوى اقناعا في نفوس سامعيه ، وأبعد أثرا وتوجيهاً في قلوبهم .

وأمثلة هذا كثيرة نأخذ منها قوله تعالى : (قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَينَا أَو أَنْ يَطْغَى قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُم قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَن اتَّبَعَ الْهُدَى إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى) (٣) .

(ج) **التصوير :**

التصوير هو الأداة المفضلة في تعبير القرآن الكريم عن مختلف قضاياه الدينية (٤) ، وقد يتجلى ذلك بوضوح أكثر في الاسلوب القصصي للتناسب القائم بين التصوير وطبيعة القصة ، فالقصة هي أحداث ومشاهد وصراعات يديرها أشخاص ، والتصوير هو الأداة القادرة على عرض هذا كله في مشاهد جميلة ، وأحداث نابضة بالحياة .

فخاصية التعبير القرآني أنّه " حين يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التي يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التي يعرضها ، فتستحيل القصة حادثا يقع ومشهدا يجرى لا قصة تروى ، ولا حادثا قد مضى " (٥) .

---

(١) نظرات في القرآن - محمد الغزالي - ص ١١٣

(٢) ينظر " سيكلوجية القصة في القرآن " - التهامي نقره - ص ٤١٥

(٣) سورة طه ، الآية ٤٥ ، ٥٣

(٤) ينظر التصوير الفني في القرآن - سيد قطب - ص ٣٦ .

(٥) نفسه ، ص ١٩٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتمثل ألوان هذا التصوير في قوة العرض والايحاء ، وفي رسم الشخصيات ، وفي تخييل العواطف والانفعالات (١)، ويظهر التصوير في فصول القصة جميعها ، فاذا ذكرت حال شخص مثلا ، تأخذ العبارات في تصوير أدق الخلجات النفسية من خوف وحنان أو رجاء واضطراب أو غير ذلك ، هذا على غرار رسم بعض الملامح الشخصية حتى يخيّل إليك أنّك تراه وتشاهده ، وقدرة الألفاظ والأساليب القرآنية على هذا التصوير قد بلغت قدرا كبيرا من الابداع والروعة يعجز عنه الفنانون والبلغاء .

والتصوير بتكامله مع بقية العناصر الآخرى في التعبير ينقل القصة من عالمها التاريخي المغمور الى واقع حي نابض بالحركة ، متجدد بالحياة ، حتى لكأنها تتجسد في الزمان والمكان اللذين حملاها لحظة حدوثها فتظهر دائما وكأنها في ساعة مولدها (٢) ، وبهذا التصوير تعرض المشاهد في أجمل صورها تتدفق جمالا وابداعا فتتقبّلها النفوس بشوق ومتعة، وتتلقفها القلوب باطمئنان ويسر .

وأمثلة التصوير كثيرة في القصص القرآني ، وقد عرضت بعض النماذج منها في أسلوب التصوير (٣) . وسيعرض بعضها في الدراسة التطبيقية للسورة الكريمة .

---

(١) التصوير الفني في القرآن - سيد قطب - ص ١٩٠ وما بعدها

(٢) ينظر " القصص القرآني - عبد الكريم الخطيب - ص٨ - ط١ مؤسسة الرسالة ١٩٨٤م

(٣) ينظر تفصيل ذلك في التصوير الفني في القرآن - سيد قطب - ص ١٩٠ - ١٩٩ والمعجزة الكبرى القرآن - محمد أبو زهرة - ص ٢٠٠ - ٢١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٤) أسلـــوب التمـــثيـــل

عُـنى اللغويـون والبلاغيـون والمفسـرون عنايـة كبـيرة بدراســة التمثيـل القرآنـي، وكـان لهم في تحـديـد مفهومـه الاصطلاحي آراء متباينـة ، (١) في حـين اتفقـوا على المعـنى اللـغوى وهـو التشبيـه (٢).

ويجمل الزمخشـرى (ـ٥٣٨هـ) ـ رحمـه اللّـه ـ بعضـا من هـذه الآراء فيقول : " المَثَـلُ فـي أصـل كلامهم بمعنى المِثل وهـو النظـير ، ثـم قيـل للقول السائـر الممثّل مضربـه بمورده مَثَـل ، ولم يضـربـوا مثـلا ولا رأوه أهـلا للتسيير ، ولا جـديرا بالتداول والقبول إلاّ قـولا فيـه غرابـة من بعض الوجـوه ... ثـم استعير المثلُ للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأنٌ وفيهـا غرابـة " (٣) .

وكـان البلاغيون يستعملـون مصطلح التمثيـل للدلالـة على التشبيـه التمثيلـي، أو الاستعارة التمثيلية ، فاطلقـوا مثـلاً اسم التشبيـه على كـل تمثيـل منـتزع مـن أمـور مجتمعـة بتقييـد البعض بالبعض ، وهـذا قريب مـن الاستعارة كذلك (٤) .

وإذا كـان التمثيـل القرآني لـه طابعـه الخاص الذي يباين بـه ما هـو معروف عنـد البشـر ، فـلا يمكن حَمْلُـه على أى من هـذه الآراء المتعارف عليها عنـد أهـل البيـان والتفسير، وإنمّـا يُعرّف بالمفهـوم الجامع لهذا كلـه ، وهـو " بهـذا مـا يضربـه اللّـه للنّاس مـن أقـوال تتضمـن مـا فيه غرابـة مـن تشبيـه أو استعارة أو قصـة ، ويدخل فـي هـذا كـل ما سماه القرآن قبـل ذلك أو بعـده مثلاً ، بـل ويُعـد في أمثـال القرآن كـلُّ مـا اشتمل على تمثيـل حـال شيء بحـال آخـر " ، (٥) كقولـه تعالى : (ومَـنْ يُشْرِك بِاللّـهِ فَكَأَنَّمَـا خَـرّ مِـنَ السمَاءِ فَتَخْطَفُـهُ الطَّـيْرُ أو تَهْـوِى بِـهِ الرِّيـحُ فِـي مَكَانٍ سَحِيـقٍ) (٦).

---

(١) ينظر الأمثال في القرآن الكريم ـ محمد جابر الفياض ـ ص١٩ ـ ٥٨ ط١ دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٨٨

(٢) لسان العـرب ـ مـادة (مثـل) .

(٣) الكشـاف ـ ج١ ـ ص ٧٢

(٤) ينظر الفوائـد المشوق الى علوم القرآن ـ ابن القيم الجوزية (ـ٧٥١هـ) ـ ص ٦٦ ـ ط مطبعـة السعادة ، القاهرة ١٣٢٧هـ .

(٥) بلاغة القرآن ـ محمـد الخضر حسين ـ ص ٣١ ، ٣٢ ـ تحقيق على الرضا التونسـي ـ طبعـة ١٩٧٠م .

(٦) سـورة الحـج ، الآيـة ٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويُقسّم السيوطي (-٩١١هـ) - رحمه الله - التمثيل في القرآن الكريم الى ثلاثة أقسام وهي : تمثيل ظاهر مصّرح به ، وكامن لا ذكر للمَثَل فيه ، ومُرسَل لا تشبيه فيه [١].

فالمثلُ المصرّح هو ما صُرح فيه بلفظ المَثَل أو ما يدل على التشبيه ، ومثال ذلك قوله تعالى : (مَثَلُ الذِينَ حُمِّلُوا التَورَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كمثلِ الحِمَارِ يحملُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الذِينَ كَذَّبُوا بآيَاتِ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ) [٢] فقد صُرّح في الآية بلفظ المثل .

وأما المثلُ الكامن فهو الذى لم يُصرّح فيه بلفظ المَثَل ، ولكن يستفاد منه المعنى الرائع في صورة موجزة ، فمن ذلك قولهم : خَيْرُ الأُمُورِ أَوْسَاطُهَا [٣] يمكن أن يستفاد من قوله تعالى : (ولاَ تَجْعَل يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ) [٤] ، ويستفاد هذا المثل من بعض الآيات الأخرى .

وأما المَثَلُ المرسل فهو اللفظ الجارى مجرى المثل في القرآن الكريم من غير تصريح بلفظ التشبيه - فمن ذلك قوله تعالى : (وَلاَ يَحِيقُ المَكْرُ السَيِّءُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ) [٥] ، وقوله تعالى : (مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ البَلاَغُ) [٦] ، وقوله تعالى : (الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ) [٧] .

أغراض التمثيل القرآني :

التمثيل في القرآن الكريم هو أحد الأساليب البيانية التي تفيد أغراضا كثيرة ، ومقاصد نبيلة لا تقف عند حدّ البيان والتوضيح بل تتعداها الى الاقناع والتأثير .

وقد تحدث الزركشي (-٧٩٤هـ) - رحمه الله - عن بعض هذه الأغراض فقال : " ضربُ الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة في التذكر والوعظ ، والحث والزجر ، والاعتبار والتقرير ، وتقريب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس بحيث تكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس الى الحس ، وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر ، وعلى المدح والذم ، وعلى الثواب والعقاب ، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره ، وعلى تحقيق أمر أو ابطال أمر " [٨] .

---

(١) ينظر الاتقان في علوم القرآن - ج ٢ - ص ١٦٧ - ١٦٩ .
(٢) سورة الجمعة ، الآية ٥
(٣) ينظر الاتقان في علوم القرآن - ج ٢ - ص ١٦٨
(٤) سورة الاسراء ، الآية ٢٩
(٥) سورة فاطر ، الآية ٤٣
(٦) سورة المائدة ، الآية ٩٩
(٧) سورة يونس ، الآية ٥١
(٨) البرهان في علوم القرآن - ج ١ - ص ٤٨٦ ، ٤٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعن الغرض البلاغي للتمثيل قال كذلك : " وفي ضرب الأمثال من تقرير المقصود ما لا يخفى إذ الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي ، والشاهد بالغائب ، فالمُرغّب في الايمان مثلاً إذا مُثِل له بالنور تأكد في قلبه المقصود ، والمزهّد في الكفر إذا مُثل له بالظلمة تأكد قبحه في نفسه " (١) .

فغاية التمثيل هي الكشف عن الحقائق وبيانها بيانا شافيا تطمئن له القلوب، وتدركه العقول ، والفائدة الكبرى له هي في تقرير حال المُمثَّل في النفس حيث يكون الممثّل به أوضح من الممثّل ، أو يكون للنفس سابقة ألفة وائتناس به (٢) .

وقد بيّن الله سبحانه في كتابه أهمية الأمثال فقال تعالى : (ولَقَد ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا القُرآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ) (٣) وقال أيضا : (وتِلْكَ الأمثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ) (٤) .

" فالأمثال هي نموذجات الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار لتهدى النفوس بما أدركت عيانا ، فمن تدبير الله بعباده أن ضرب لهم الامثال من أنفسهم لحاجتهم إليها ليعقلوا بها فيدركون ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم الظاهرة ، فمن عقل الأمثال سماه الله تعالى : عالما (٥) لقوله تعالى : (وتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ العَالِمُونَ) (٦) .

وقد تناول التمثيل القرآني مجالات عدة ، فعرض لأمور العقيدة وأصول الرسالة، ومثل للشرك والايمان ، وفضح النفاق وحض على الانفاق ، ومثل للخبيث والطيب ، وتناول الدنيا وما فيها من متع ، والآخرة وما فيها أهوال ، وغير ذلك من موضوعات الدعوة الأساسية .

الاقناع بالتمثيل القرآني :

اتخذ القرآن الكريم التمثيل سبيلا للاقناع والتأثير لما له من خصائص فنية وبلاغية متميّزة ، ولما له من قدرة على توصيل المعاني مع جمال التعبير ، وحسن التصوير، ولما له من أثر بليغ في تلقي الدعوة بالقبول .

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني (ـ٤٧١ أو ٤٧٤هـ) ـ رحمه الله ـ الى أهمية التمثيل البلاغي في الخطاب فقال : " إنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو أبرزت هي باختصار في

---

(١) نفسه ، ج ١ ـ ص ٤٨٨

(٢) ينظر بلاغة القرآن ـ محمد الخضر حسين ـ ص ٣٣

(٣) سورة الزمر ، الآية ٢٧

(٤) سورة الحشر ، الآية ٢١

(٥) الامثال من الكتاب والسنة ـ الحكيم الترمذي (٣٢٠هـ) ـ ص ١٤ ـ تحقيق السيد الجميلي ط دار ابن زيدون ، بيروت ، دار أسامة ، دمشق .

(٦) سورة العنكبوت ، الآية ٤٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معرضه ، ونُقلت عن صورها الأصلية الى صورته كماها أبّهةً ، وكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها ، وشبّ من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب اليها ، واستشار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكلفاً ، وقسّر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفاً " (١).

فالتمثيل عنده أداة بلاغية اذا اتصلت بالمعاني كسبتها شرفا وقوة ، وحملت النفوس على التعلق بها ، والطرب لجمال تعبيرها .

ثم يعلل سبب تأثير التمثيل في النفوس فيقول : " إنّ أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي الى جلي ، وتأتيها بصريح بعد مكني ، وأن تردها الى الشيء تعلمها إياه الى شيء آخر هي بشأنه أعلم ، وثِقَتُها به في المعرفة أحكم ، نحو أن تنقلها من العقل الى الاحساس ، وعما يعلم بالفكر الى ما يعلم بالاضطرار والطبع ، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من طرق النظر والفكر في القوة والاستحكام ، وبلوغ الثقة في غاية التمام " (٢) .

فهو يرى أن أقرب الطرق للتأثير بالكلام هي أن تخاطب النفوس بالواضح الجلي ، وتَحِيد عن الغامض الخفي ، وأن تنقلها من المعقولات الخفية ، الى الحسيات الجلية ، لأن النفوس تتأثر بما يخاطب حسّها وطبعها أكثر مما يخاطب عقلها ، وكأنه يريد أن يصل الى أن التمثيل وسيلة اقناعية لاعتمادها على الحس والوجدان والبداهة .

ويؤكد الفخر الرازي (ـ٦٠٦هـ) ـ رحمه الله ـ هذا المعنى فيقول : " إنّ المقصود من ضرب الأمثال أنها تؤثر في القلوب مالا يؤثره وصف الشيء في نفسه ، وذلك لأن الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي ، والغائب بالمشاهد ، فيتأكد الوقوف على ماهيته ، ويصير الحس مطابقا للعقل ، وذلك هو النهاية في الايضاح " (٣).

فأسلوب التمثيل أبعد في الاقناع ، وأقوى في التأثير لما له من خصائص فنية وبلاغية تقرب المقصود الى النفس في صورة جميلة ، ولهذا السبب اعتمد عليه القرآن الكريم اعتمادا كبيرا في عرض قضاياه ، وجعله أحد العناصر الضرورية في الخطاب .

وتظهر الخصائص الاقناعية للتمثيل القرآني فيما يلي :

(أ) إنّ التمثيل هو أحد طرق الاستدلال والبرهنة ، وهو وإن كان يسوق الحجة الظاهرة فليس بالطريقة الجدلية المعهودة عند البشر والقائمة على اختيار الحجة البرهانية أو الخطابية ، أولفت النظر الى الحقيقة عن طريق صورة مشابهة كما ذكر عبد الرحمن الميداني

---

(١) أسرار البلاغة ـ ص ١٠١، ١٠٢

(٢) نفسه ـ ص ١٠٨

(٣) تفسير الفخر الرازي ـ ج ٢ ـ ص ٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في كتابه " الأمثال القرآنية " [١] ، وإنما بطريقة خاصة ليس فيها هذه التقسيمات الجدلية .

فبطريقة التمثيل يستدل القرآن الكريم على حقيقة من حقائقه فيسوق الخبر مقرونا بالحجة ، ليلقى قبولا واستجابة من المخاطبين متجنباً في ذلك طريقة السرد المباشر، فمثلا " لو قال اللّه - عز وجل - لعباده (إنّي لا أشرك أحداً من خلائقي في مُلكي) ، لكان ذلك قولا محتاجا الى أن يدله على العلة فيه ، ووجه الحكمة في استعماله ، فلما قال : (ضَرَبَ لَكُم مثلاً من أنفُسِكم هَل لَكُم مِنْ مَا مَلَكَت ايْمَانُكُم مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُم فأنْتُم فيهِ سَوَاءٌ تخافُونَهُم كَخِيفَتِكُم أنْفُسَكُم كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [٢] كانت الحجة من تعارفهم مقرونة بما أراد أن يخبرهم به من أنه لا شريك له في ملكه من خلقه ، لأنهم عالمون بأنهم لا يقرون أحدا من عبيدهم على أن فيما ملكوه مثلهم ، بل يأنفون من ذلك ويدفعونه ، فاللّه - عز وجل - أولى بأن يتعالى عن ذلك " [٣].

فغاية التمثيل القرآني بيان الحقيقة ، واقامة الحجة على الخصوم ، وتوفير شروط الاقناع البلاغي ، ولذلك قيل : " في ضرب الأمثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة ، وقمع لسورة الجامح الأبي ، فإنّه يؤثر في القلوب ما لا يؤثر وصف الشيء في نفسه، ولذلك أكثر الله تعالى في كتابه وفي سائر كتبه الأمثال " [٤] .

(ب) يعتمد التمثيل القرآني على التشبيه الذي يزيد المعنى وضوحا والتعبير جمالا ، ووظيفة هذا التشبيه اخراج ما خفي فهمه وتقريبه الى الأفهام ، وذلك بابراز المعقولات الخفية في صورة المحسوسات الجلية ليتمكن المخاطبون من ادراك المقصود ، والملاحظ في أساليب التمثيل أنه يكون لدينا مشبّه واحد ، وهو في الغالب أمر معنوي ، أما وجه الشبه فينتزع من صفات متعددة .

ومثاله ذلك قوله تعالى : (مَثَلُ الذِينَ كَفَرُوا بِرَبِهِم أَعْمَالُهُم كَرَمَادٍ اشْتَدَّت بِهِ الرِيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذلِكَ هُوَ الضَلاَلُ البَعِيدُ) [٥].

فأعمال الكفار في الآية صفة معنوية نُقلت بالتمثيل الذي يعتمد على التصوير بالتشبيه إلى شيء محسوس هو الرماد ، وتجسيم القرآن الكريم وتشخيصه للمعنويات بهذه الصورة ينتج عملا فنيا هو من الاعمال الفنية في الذروة [٦] .

---

(١) الامثال القرآنية - ص ٤٥

(٢) سورة الروم ، الآية ٢٨

(٣) البرهان في وجوه البيان - ص ١٤٥ ، ١٤٦

(٤) الاتقان في علوم القرآن - ج ٢ ، ص ١٦٧

(٥) سورة ابراهيم ، الآية ١٨

(٦) ينظر مجلة الازهر - مجلد ٢٢ - سنة ١٣٧٠هـ - مقال : " أسلوب التمثيل في القرآن الكريم " - عز الدين اسماعيل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمثل القرآن الكريم لهذا المعنى في صورة أخرى فيقول تعالى : (والّذِينَ كَفَرُوا أعمالُهُم كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَمْآنُ مَآءً حَتَّى إذا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللّهَ عِنْدَهُ فوفَاهُ حِسَابَهُ واللّهُ سَرِيعُ الحِسَابِ) (١) .

" ففي هذه الصورة الأخاذة يتجلى سطح الصحراء العربية المنبسط ، والخداع الوهمي للسراب ، فنحن هنا أمام مجاز عربي النوع " (٢) ، واستخدم في هذه الآية التشبيه الذى يقرب المعنى الذهني الى القلوب في صورة رائعة .

(ج) مورد المثل أو ما يمكن أن يسمى المشبه به انما هو أمر معروف لدى المخاطب ومسلم لديه ، ومن ثم تتحقق التسوية بين أجزاء التمثيل ، وتقام بذلك الحجة على المخاطب وقد استنارت له السبل ، وتجلت أمامه الحقائق .

---

(١) سورة النور ، الآية ٣٩

(٢) الظاهرة القرآنية ـ مالك بن نبي ـ ص ٢٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث :

(ب) أساليب بلاغية فرعية :

(١) أسلوب الاستفهام

(٢) أسلوب التوكيد

(٣) أسلوب التكرار

(٤) أسلوب الحذف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١) أسلوب الاستفهام

الاستفهام في اللغة طلب الفهم ، تقول العرب : استفهمه أي سأله أن يُفهمّه (١) ، فإذا استفهمت عن الشيء فإنّك تطلب من المستفهم منه بذل الفائدة لك ، وتعريفك بالشيء المجهول لديك (٢) .

وهو بمعنى الاستخبار أي طلب خبر ما ليس عندك ، وقيل : " الاستخبار ما سبق أولا ولم يفهم حق الفهم ، فاذا سألت عنه ثانيا كان استفهاما " (٣) .

هذا في الأصل اللغوي لكلمة الاستفهام ، لكن قد يكون المستفهم عالماً بالشيء ومراده بعض المعاني الأخرى التي يمكن أن تستفاد من سياق الكلام ، ومن هنا استعمل البلاغيون مصطلح الاستفهام لمعناه الحقيقي وغير الحقيقي .

وقد جاء - فيما سبق ذكره - أنّ القرآن الكريم قد عدّد في أساليبه ، ونوّع في طرق عرضه ، حتى يسوق الحقائق مقرونة بالأدلة ، ويعرض التكاليف عامرة بالاقناع ، لتلقى قبولا كاملا ، واستجابة تامة لدى النفس الانسانية .

وكان حظ الاستفهام من هذه الأساليب كبيرا ، فقد حفلت به السور المكية والمدنية على السواء ، كما أنّه تصدّر بعض فواتح هذه السور وهي : الإنسان (٤) والنبأ (٥) والغاشية (٦) والشرح (٧) والفيل (٨) والماعون (٩) .

وورود هذا الفيض الكثير من الاستفهام في القرآن الكريم قد يعود أساسا الى ما يتميّز به هذا الأسلوب من خصائص بلاغية ، وما يتفرد به من فوائد معنوية ، فالاستفهام - بعامة - دعامة الحوار ، " والحوار في القرآن الكريم قاعدة أساسية في دعوة الناس الى الايمان باللّه وعبادته " (١٠).

---

(١) لسان العرب - مادة (فهم) .

(٢) البرهان في وجوه البيان - ابن وهب الكاتب - ص ١١٣

(٣) معترك الأقران في اعجاز القرآن - السيوطي (-٩١١هـ) - ج ١ - ص ٤٣١ - ط دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦٩ .

(٤) قال تعالى : (هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً ") الآية ١

(٥) (عَمَّ يَتَسَاءلُونَ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ) الآية : ١ ، ٢

(٦) (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) الآية ١

(٧) (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) الآية ١

(٨) (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ) الآية ١

(٩) (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ) الآية ١

(١٠) الحوار في القرآن الكريم - محمد حسين فضل اللّه - ص ٣٢ - ط١ الدار الاسلامية بيروت ١٩٧٩م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فحين يستعمل القرآن الكريم الاستفهام فإنّما يريد للانسان " أن يحصل على الاقناع الذاتي المقرون بالحجة والبرهان في اطار الحوار الهادىء العميق سواء في ذلك قضايا العقيدة، وقضايا الحساب والمسؤولية ، فلكل سؤال جواب ، ولكل علامة استفهام تواجه الانسان في الطريق علامات في كل منعطف تشير الى سواء السبيل " (١).

والاستفهام كذلك من أقدر الأساليب على مخاطبة قوى النفس البشرية التي يحرص القرآن الكريم على ارضاء حاجاتها ، واشباع رغباتها ، ولذلك تراه مثيرا به اهتمام السامع ، ومخاطبا لقواه العقلية والوجدانية ، ومحركا لديه غريزة حب الاستطلاع (٢) .

وهذا اجمال لما سيأتي تفصيله لبلاغة الاستفهام ، وقدرته على الاقناع ، ومرونته في التعبير والأداء ، والتي تجعل المعاني تتنوع حسب مقامات السامعين ، وحالات المخاطَبين .

بعض معاني الاستفهام في القرآن الكريم :

ينقسم الاستفهام حسب تأدية المعنى الى قسمين : حقيقي وغير حقيقي (٣) .

(أ) **الاستفهام الحقيقي :**

وهو الذى يبقى على أصل وضعه أى طلب الفهم ومعرفة المجهول ، ومنه في القرآن العظيم كثير (٤) ، قال تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا) (٥) ، فقد سألوا عن شيء يجهلونه ، ويريدون متى ارساؤها ، متى يقيمها الله ويثبتها ويكوّنها) (٦) .

وقال أيضا : (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ وَكَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) (٧) فالاستفهام على حقيقته أي أيّ شيء ينفقونه (٨) .

---

(١) نفسه ـ ص ٣٢

(٢) ينظر أسلوب المحاورة في القرآن الكريم ـ عبد الحليم حفني ـ ص ٥١ ـ ٥٢ ط٢ ـ مطابع الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٥م

(٣) ينظر فصل أغراض الاستفهام في أساليب الاستفهام في القرآن ـ عبد العليم فودة ـ ص ١٩١ وما بعدها ط مؤسسة الشعب القاهرة .

(٤) الفوائد المشوّق الى علوم القرآن ـ ابن قيم الجوزية (ـ٧٥١هـ) ـ ص ١٦٠

(٥) سورة النازعات ، الآية ٤٢

(٦) الكشاف ـ ج ٤ ـ ص ٦٩٨

(٧) سورة البقرة ، الآية ٢١٩

(٨) تفسير أبي السعود ـ ج ١ ـ ص ٢١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ب) **الاستفهام غير الحقيقي :**

وهو الاستفهام الذى يخرج عن حقيقته ، ويكون من العالم بالشيء وغرضه منه معاني أخرى تفهم من السياق ، وهو الأكثر في الاستعمال القرآني ، ذلك أنه يناسب تنوع مقاصد القرآن وأغراضه .

وسنذكر بعض هذه المعاني التي كثرت في الاستفهام القرآني وهي : الانكار والتقرير والتعجب .

(١) الانكار :

الانكار هو الذى يراد به النفي ، وغاية الاستفهام الانكارى البلاغية هي " أن يتنبّه السامع حتى يرجع الى نفسه فيخجل ويرتدع ويعي بالجواب " (١) وينقسم الانكار الى قسمين انكار الواقع وانكار الوقوع (٢) .

وانكار الواقع فيه معنى التوبيخ على أمر قد وقع ، وكان الأولى ألا يقع ، ومثال ذلك قوله تعالى : (وهذا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُم لَهُ مُنكِرُونَ) (٣) ، وقوله أيضا : (يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إبراهِيمَ وَمَا أُنْزِلَت التَّوْرَاةُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) (٤)

فقد أنكر اللّه سبحانه في الآية الأولى على المشركين ما وقع منهم من انكار للقرآن المنزّل من عند الله ، وفي الآية الثانية على أهل الكتاب ما وقع منهم من جدال بالباطل في نبيّ اللّه ابراهيم ـ عليه السلام .

أما انكار الوقوع فيكون في فعل منكر لم يقع أصلا ، والمراد نفي وقوعه واستبعاده والسخرية من مدّعي وقوعه والتعجب منه (٥) .

ومثال ذلك قوله تعالى : (أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ) (٦) .

المقصود من الاستفهام بالهمزة انكار الوقوع ، وتوبيخ من زعم أنّ القرآن الكريم سحر ، " وقُدم الخبر لأنه المقصود بالانكار والتوبيخ ثم يأتي التقريع والتهكم في قوله (أم أنتم لا تبصرون) (٧) .

---

(١) دلائل الاعجاز ـ عبد القاهر الجرجاني (ـ٤٧١ أو ٤٧٤هـ) ـ ص ٨١ ـ تحقيق محمد رشيد رضا ط شركة الطباعة الفنية المتحدة ، القاهرة ١٩٦١ .

(٢) وهو تقسيم أبي السعود (ـ٩٥١هـ) في تفسيره .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية ٥٠

(٤) سورة آل عمران ، الآية ٦٥

(٥) ينظر أساليب الاستفهام في القرآن الكريم ـ عبد العليم فوده ـ ص١٩٩

(٦) سورة الطور ، الآية ١٥

(٧) ينظر تفسير البيضاوى المسمى" أنوار التنزيل وأسرار التأويل " ـ البيضاوى (ـ٧٩١هـ)ـ ج ٥ ـ ص ٩٩ ط دار الجيل ، بيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقولـه تعالى أيضا : (أَفَأَصْفَاكُم رَبُّكُم بِالبَنِينَ واتَّخَذَ مِنَ المَلَائِكَةِ انَاثاً إِنَّكُم لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً) (١).

فالاستفهام في الآية لانكار الوقوع ، والمعنى " أفخصّكم ربّكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون ، ولم يجعل فيهم نصيبا لنفسه ، واتخذ أدونهم وهي البنات ؟ وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم " (٢) .

وقد تتكرر في بعض الآيات أساليب الاستفهام الانكاري وتتوالى للتأكيد مما يزيد المعنى قوة ، والتعبير بلاغة ، فمن ذلك قوله تعالى : (أَفَنَجْعَلُ المُسْلِمِينَ كَالمُجْرِمِينَ مَا لَكُم كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَمْ لَكُم كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُم فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ أَمْ لَكُم أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ إِنَّ لَكُم لَمَا تَحْكُمُونَ) (٣).

فتوالي أدوات الاستفهام في هذه الآيات هو لتقوية المعاني وتوكيدها في النفوس ، وقد أفادت معاني التوبيخ والتعجيب والتنبيه على غرار الانكار (٤) .

انّ بلاغة التعبير بالاستفهام الانكاري لها نصيب فيما يهدف اليه القرآن الكريم من اقناع ، " ذلك أنّ الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جوابا يحتاج الى تفكير يقع به هذا الجواب في موضعه ، ولمّا كان المسؤول يجيب بعد تفكير وروية عن هذه الاسئلة بالنفي ، كان في توجيه السؤال اليه حملاً له على الاقرار بهذا النفي ، وهو أفضل من النفي ابتداء " (٥) .

(٢) التقرير :

التقرير في الاصطلاح البلاغي " هو حملك المخاطب على الاقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده " (٦).

وحقيقة الاستفهام التقريري أنه استفهام انكار ، والانكار نفي وقد دخل على النفي ، ونفي النفي اثبات (٧).

---

(١) سورة الاسراء ، الآية ٤٠

(٢) الكشاف - ج ٢ - ص ٦٦٨

(٣) سورة القلم ، الآية ٣٥ - ٣٩

(٤) ينظر تفسير أبي السعود - ج ٩ - ص ١٧

(٥) من بلاغة القرآن - أحمد بدوى - ص ١٦٣

(٦) البرهان في علوم القرآن - ج ٢ - ص ٣٣١

(٧) نفسه ، ص ٣٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى : (أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ) (١) فالاستفهام في الآية لتقرير قدرة الله سبحانه في الخلق (٢) ، وقوله تعالى أيضا : (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ) (٣) .

فمراد الله سبحانه من هذا الاستفهام اقامة الحجة على اتباع عيسى - عليه السلام - الذين غيّروا معالم رسالته ، لذلك أخذ اعترافه واقراره على هؤلاء الذين البسوه وأمه هذا الثوب الالهي (٤).

واذا كانت غاية الاستفهام الانكاري تنبيه المخاطب حتى يرجع الى صوابه ويّعتني بالجواب ، فان الاستفهام التقريري مع هذا كله يذهب الى أبعد من ذلك ، فيحمل المخاطب على الاعتراف بالحقيقة الثابتة دون جبر أو قسر ، مع بسط الدليل الملزم ، والحجة المقنعة ، ومن هنا كان أسلوبا أقوى في الطلب ، وأبعد في الاقناع ، وقد كثر في القرآن الكريم لخصائصه هذه .

(٣) التعجّب :

التعجب هو " تعظيم أمر في قلوب السامعين ، ولا يكون إلاّ في شيء خارج عن نظرائه وأشكاله " (٥).

والعَجَبُ من اللّه - سبحانه - انكار الشيء وتعظيمه (٦) ، ولا يوصف تعالى بالتعجب لأنّه استعظام يصحبه الجهل ، وهو تعالى منزّه عن ذلك ، لكنّ المراد تعجيب العباد (٧).

والتعجّب من جنس الانكار ، لذلك يصحبه في الغالب مع بعض المعاني الأخرى التي يقتضيها سياق الكلام ، ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى : (قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (٨) .

---

(١) سورة الواقعة ، الآية ٥٨ ، ٥٩

(٢) ينظر تفسير أبي السعود - ج ٧ - ص ١٩٧

(٣) سورة المائدة ، الآية ١١٦

(٤) ينظر التفسير القرآني للقرآن - ج ٢ - ص ٨٣

(٥) تفسير البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي (-٧٥٤هـ) - ج ٨ - ص ١٩٧ - ط ٢ دار الفكر بيروت ١٩٨٣م

(٦) معترك الأقران في اعجاز القرآن - ج ١ - ص ١٥٤

(٧) ينظر الاتقان في علوم القرآن - ج ١ - ص ٢٤٨

(٨) سورة يونس ، الآية ٣٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـذا استدلال الٰهي جاء بطريقة الحوار ، فيه بَسطٌ للحجة ، والزامٌ للخصوم ، وهدم للعقيدة الباطلة ، وجاء في نهاية الآية استفهام للتعجب في قوله : (فما لَكُم كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟) والغاية منه تعجيب العباد من مذهبهم الفاسد ، ومقالتهم الباطلة (١).

وأكّد التعجب بـ " ما " و" كيف " لبيان ضلالهم وباطلهم .

ويكثر التعجب في أساليب " أرأيْتَ " و" ألَمْ تَرَ " ، فمن ذلك قوله تعالى : (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً)(٢) ، وقوله أيضا : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيلِ)(٣) ، فالاستفهام بالهمزة في الآيتين يفيد التعجب مع بعض المعاني الأخرى المستفادة من السياق .

فالغاية من التعجّب هي أن يعود المخاطب الى صوابه ، وأن يحاكم نفسه ليشعر بضلاله وباطله .

هذه بعض المعاني البلاغية للاستفهام القرآني ، وهي جزء قليل من فيض كثير استخرجه البلاغيون والمفسرون من كتاب اللّه تعالى ، وهو يدل على قدرة هذا الأسلوب على استيعاب المعاني وتنويعها ، وبلاغة اقناعه في توصيلها إلى النفوس .

الاقناع بالاستفهام القرآني :

إنّ المتأمل في القرآن الكريم يرى بجلاء ووضوح أنّ أساليب الاستفهام قد بلغت قدراً كبيراً من الغنى والتنوّع ، وأفادت فيضا كثيراً من المعاني ، وقد تميّزت في ذلك تميّزا جعلها تُباين ما هو موجود في أجناس الكلام الأخرى مثل الشعر والنثر(٤) .

ولعلّ اهتمام القرآن الكريم بالاستفهام يعود أساسا الى ما يتميّز به هذا الأسلوب من خصائص بلاغية لها علاقة مباشرة بالنفس الانسانية المجبولة على غرائز الجدل ، والتعليل ، وحب الاستطلاع والرغبة في معرفة المجهول ، هذا على غرار مجالات الفكر الطموح الى ايجاد اجابات تفسر علامات الاستفهام الماثلة في طريقه عن الدين والحياة والوجود .

---

(١) ينظر تفسير أبي السعود - ج ٤ - ص ١٤٤

(٢) سورة الفرقان ، الآية ٤٣

(٣) سورة الفيل ، الآية ١

(٤) ينظر أساليب الاستفهام في القرآن الكريم - عبد العليم فوده - ص ٤٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالاستفهام يمكن مخاطبة هذه القوى ، وتحريك تلك الغرائز ، وهو من أقدر الأساليب على تنشيط آلة التفكر ، واثارة مشاعر الوجدان في النفس البشرية ، ولذلك كان وروده في أغلب سور القرآن الكريم دليلا على مساهمته في عملية الاقناع القرآنية .

وقد ظهر بعد الدراسة أنّ الاستفهام يرد في فواتح السور وأواسطها وخواتمها ، وتارة يكثر وتارة يقل ، وأحيانا يتجمع ويتوالى ، وأحيانا أخرى يتفرق بين الآيات ، وفي ذلك كلّه مراعاة لما تقتضيه المواقف ، وتتطلبه مقامات المخاطبين ، وظهر كذلك أنّه في القرآن المكي أكثر منه في المدني بنسبة ٣ : ٢ (١) .

وجاء في تعليل هذه الكثرة في القرآن المكي " أنّ القرآن المكي يشتمل على أصول الدين ، وهي توحيد اللّه ، والايمان به وبرسله واليوم الآخر ، ويُنفّر من عبادة الأصنام ومن الرذيلة ويُحبّب الى الجنّة ويشوّق إليها ، ويُهدّد بالنار ويخوّف بها ، وهو لذلك يخاطب الوجدان أكثر مما يخاطب العقل ، لذلك كان من المناسب لمقامه أن تقصر آياته ، ويكثر فيها السجع والتمثيل ، ويزخر بالأساليب الثائرة المؤثرة ، وهل هناك من الأساليب ما هو كالاستفهام احتواء على أنواع الشعور وألوان الانفعال من تعجب وتقبيح وتوبيخ " (٢) ، أما " القرآن المدني فقد جاء حافلاً بأنواع التشريع الديني والاجتماعي والسياسي ، فكان يخاطب العقل أكثر مما يخاطب الوجدان ، لذا كان من المناسب أن تطول آياته ، ويهدأ أسلوبه "(٣)

والذى نراه أنّ هذه القضية لا تتعلق بالعقل أو الوجدان ، بل هي في مراعاة مقتضى الأحوال ، فالاستفهام يخاطب العقل والوجدان معاً ، وهو لا يهتم بجانب دون آخر ، بل يعطى لكل واحد منهما نصيبه من الاقناع والتأثير ، ويمكن أن نرد أسباب كثرة الاستفهام في القرآن المكي عنه في المدني إلى ما يلي : -

(أ) كان القرآن الكريم في مكة يطرق الأسماع لأول مرة وفيه من جدّة الحقائق ، وعظمة العقائد ، مع بلاغة التعبير ، وسحر التصوير ما يبهر العقول ، ويشدّ القلوب ، وكان رد الفعل من جانب المخاطَبين منتظراً في بداية أمره ، فقد أنكروه بشدّة ، وراحوا يطرحون مزاعمهم وتساؤلاتهم المشحونة بالغيظ والجحود والتهكم والتعجب ، وأرادوا بذلك بتر النبتة قبل أن تمتد جذورها ، وتشويه الرسالة قبل أن يمتد سلطانها .

---

(١) نفسه ص ٤٨٧

(٢) نفسه ص ٤٨٧ ، ٤٨٨

(٣) نفسه ص ٤٩٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان القرآن الكريم في دعوته يراعى هذه المواقف كلّها ، فاتبع طريقة الحوار، وأورد استفهاماتهم التي نطقوا بها ، كما استفهمهم كذلك لغايات التقرير والتوبيخ والتنبيه والتعجب وغيرها من المعاني التي تقيم الحجة عليهم ، وتصحح ما اعوج من تصوراتهم ، وهذه الطريقة الفعّالة أجدى من السرد المباشر ، والخبر المُلَقّن ، خصوصا في ميدان التربية والتوجيه ، والنفوس التي عرفت الحق لا تزال قليلة ، وطريق الدعوة لا زال طويلا ، أما في المدينة فالمسلمون كثر ، والمجتمع الاسلامي بدأ يتكون ، وهو في حاجة الى التشريع المنظم للميادين جميعها ، وأصبح المتلقون يقولون سمعنا وأطعنا بعدما كانوا لا يسمعون ولا يطيعون ، لهذا كله تغيرت المواقف ، واقتضت الأحوال أن تخف التساؤلات بعد ظهور الحقائق ، وأن تجنح الأساليب الاستفهامية الى حقيقتها كالاستفهام عن الفرائض والواجبات وما إلى ذلك .

والملاحظ كذلك أن القسم المكي لم يخل جملة من التشريع والأحكام بل عرض لها وجاء عليها ، ولكن بطريقة اجمالية (١) .

(ب) من خصائص القرآن المكي مجادلة المشركين وتسفيه أحلامهم أما في المدني فمجادلة أهل الكتاب ودعوتهم الى عدم الغلو في دينهم (٢) ، وغاية هذا الجدل الزام الخصوم وافحامهم ببسط الأدلة واقامة البراهين ، لذلك نجد في بعض الآيات المكية مثلا دعوة صريحة الى استخدام القدرات العقلية لدى الانسان حتى يدرك الحقائق الواضحة ، ويعرف العقائد السليمة .

نقرأ مثلا قوله تعالى : " وهُوَ الذي يُحْيي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلاَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ قُل لِمَن الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُل أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ قُل مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُل أَفَلاَ تَتَّقُونَ قُل مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يجير ولا يجار عليه ان كُنتم تَعْلَمُونَ سَيَقولون لِلَّهِ فأنى تُسْحَرونَ) (٣) .

---

(١) ينظر " مناهل العرفان في علوم القرآن " ـ عبد العظيم الزرقاني ـ ج ١ ـ ص ٢١٢ ط عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة .

(٢) ينظر مباحث في علوم القرآن ـ صبحي الصالح ـ ص ١٨٣ ـ ط١٣ دار العلم للملايين بيروت ١٩٨١

(٣) سورة المؤمنون ، الآية ٨٠ ـ ٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

توالت أساليب الاستفهام في هذه الآيات المكية لتقرير الحقائق ، وتثبيت العقائد ، وابطال الشبهات ، واقامة الأدلة على وجود الخالق القادر وعلى حقيقة البعث والنشور .

وكانت الفواصل الأخيرة للآيات وهي (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) وَ (أَفَلَا تَتَّقُونَ) و (فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ) تعتمد على الاستفهام الانكاري لالزام الخصوم وافحامهم بعد أن ظهرت الحجة عليهم ، واعترفوا بوجود الخالق - عز وجل - ، لكنهم مع هذا ينكرون البعث اعتمادا على دعوى باطلة ، وأسطورة كاذبة ، فدعاهم القرآن الكريم الى استخدام قدراتهم العقلية وتوجيهها التوجيه الصحيح حتى يدركوا الحق الذى هم عنه غافلون .

وخلاصة القول ، إنّ القرآن الكريم كلّه قائم على رعاية حال المخاطبين ، فتارة يشتد ، وتارة يلين ، تبعا لما يقتضيه حالهم ، سواء منهم مكيّهم ومدنيّهم ، بدليل أنك تجد بين ثنايا السور المكية والمدنية ما هو وعد ووعيد ، وتسامح وتشديد ، وأخذ ورد ، وجذب وشدّ ، (١) وتجد فيه مناجاة للعقل والعاطفة كي يتعاونا على معرفة الحق ، ويستجيبا لنداء الدعوة .

إنّ الاستعمال الغالب للاستفهام في القرآن الكريم هو خروجه عن معناه الاصلي ، وافادته المعاني المتنوعة وتصرفه فيها حسب الحالات والمواقف ، وسرّ هذا التنوع في المعاني يعود الى " أنّ القرآن الكريم يحكي أقوالا للكافرين وغيرهم في مواقف تمتلىء نفوسهم فيها بانفعالات عاطفية مختلفة فيها الانكار والتعجب والسخرية والعناد ... ، وتصدى القرآن لهؤلاء الكافرين رادّا عليهم ، مطابقا أسلوبه أسلوبهم ، ملاقيا فيضهم النفسي الزاخر بفيض مثله ، يشتمل على الانكار والتعجب والتقبيح .. كما أنّ القرآن نزل للاقناع والتأثير في النفوس يُهيّج شعورها وشتى انفعالاتها ، فكان ليبلغ غايته يضرب في النفس على أوتار متعددة ليصل الى قرارها ، وموضع التأثير والاقناع منها " (٢).

والذى نراه كذلك أنّ الاقناع القرآني يراعي مواقف السامعين ، وحالات المخاطَبين ، ويختار لذلك الأساليب المناسبة ، والوسائل الفعّالة ، فإذا اعتمد على الاستفهام مثلا فالأمر يتطلب موقفا تكثر فيه المعاني ، لأنّ هذا الأمر مطروح للنظر بين اثنين مخاطِب ومخاطَب ، فهذا يسوق معانيه ، والآخر يرد عليه بفيض مثله ، لذلك كان الاستفهام من أقدر الأساليب تأدية للمعاني وتلوينها ، ومن أنسبها في مراعاة أقدار المخاطبين ، وسنورد بعض الخصائص المعنوية التي يتفرد بها الأسلوب الاستفهامي في القرآن الكريم والتي تساهم في عملية الاقناع :

---

(١) مناهل الفرقان في علوم القرآن - الزرقاني - ج ١ - ص ٢١٨

(٢) أساليب الاستفهام في القرآن الكريم - عبد العليم فوده - ص ٢٤٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١) التقرير بالاستفهام أبلغ من التقرير الصريح ، قال تعالى في الاستدلال على البعث الأخسروى : (أَيَحْسَبُ الانْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِي يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَكَرَ وَالأُنْثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ علَى أن يُحْيِيَ المَوْتَى) (١) فالاستفهام في الآيات تقرير القدرة الالهية في الخلق ، ومقصوده الاستدلال على منكرى البعث بالاعادة على الابتداء ، ولذلك رتب عليه قوله (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى) ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه كان اذا قرأها قال : سبحانك بلى (٢) . وبهذا كان الاستفهام التقريرى أبلغ في الاستدلال ، وأقوى في الحجة والزام الخصوم المنكرين من التقرير الصريح المباشر .

(٢) الاستفهام الانكارى أبلغ من الانكار الصريح ، نجد ذلك في قوله تعالى : (أَفَلاَ ينظُرُونَ الى الابِلِ كَيْفَ خُلِقَت وإلَى السَمَاءِ كَيْفَ رُفِعَت وإلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَت وإلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَت) (٣) " فالهمزة للانكار والتوبيخ ، والمعنى أفلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور ، ليرجعوا عما هم عليه من الانكار والنفور " (٤).

والانكار هنا أبلغ من الانكار الصريح ، ذلك لما فيه من تحريك لقوة العقل ، وتنشيط لغريزة حب الاستطلاع ، كما أنه يشد انتباه المخاطبين الى عظمة الخلق الذى يمرون عليه غافلين .

(٣) التعجّب المستفاد من الاستفهام في غاية البلاغة ، وهو لتعجيب المخاطَبين ، قال تعالى : (قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُم مَنْ يَبْدَؤُا الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُه قُلِ اللّهُ يَبْدَؤُا الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فأنّى تُؤفَكُونَ) (٥) ، فالاستفهام في قوله (فأنّى تُؤفَكُونَ) استفهام انكارى بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه ، وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الفعل ، والمعنى كيف تُقلبون من الحقّ إلى الباطل (٦) ، بعدما اتّضح لكم بالمقابلة والاستدلال قدرة الخالق ـ عزّ وجل ـ على الخلق والتكوين ، وعجز غيره من المخلوقات التي اعتقدتم أنّ لها تأثيرا في الايجاد .

---

(١) سورة القيامة ، الآية ٣٦ ـ ٤٠

(٢) ينظر تفسير البيضاوى ـ ج ٥ ـ ص ١٦٣

(٣) سورة الغاشية ، الآية ١٧ ـ ٢٠

(٤) تفسير أبى السعود ـ ج ٩ ـ ص ١٥١

(٥) سورة يونس ، الآية ٣٤

(٦) ينظر تفسير أبى السعود ـ ج ٤ ـ ص ١٤٢ ، ١٤٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـــذه بعـض الخصائـص المعنويـة للاستفهـام القرآني والتي يمكـن أن يقـاس عليها الفيـض الكثـير للمعانـي التي يفيدهـا ، ولا مجـال لذكـرهـا كلهـا فـي هـذا المقام ، وهـي تـدل على بلاغـة هـذا الأسـلوب في التعبـير ، وقدرتـه على الاقنـاع والتأثـير ،ممـا جعـل القرآن الكريـم يعتمـد عليـه اعتماداً كبـيراً فـي أغلـب سـوره، ولـم تخـل منـه إلاّ بعـض السـور القصـار .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢) أسلوب التوكيد

التأكيد لغة في التوكيد ، تقول العرب : وكد وأكدّ العهد إذا أوثقه [١] ، وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى : (ولا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوكِيدِهَا)[٢] أي بعد توثيقها باسم اللّه [٣] .

والتوكيد في الاصطلاح هو " تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره ، وفائدته ازالة الشكوك ، واماطة الشبهات عما أنت بصدده ، وهو دقيق المأخذ ، كثير الفوائد " [٤] .

فهو بهذا المفهوم من الوسائل البلاغية الضرورية لتثبيت المعاني في النفوس ، والانسان مفطور على استعماله في كلامه لتقوية آرائه ، وتثبيت أفكاره ، " لذلك استندت اليه الكتب الدينية والقوانين في جميع الأجيال على الدوام ، ويعرف قيمة التوكيد رجال الدعوة الذين يدعون إلى الدفاع عن أية قضية سياسية ، ورجال الصناعة الذين يذيعون أمر انتاجاتهم بالاعلان " [٥].

وكان التوكيد من ضمن الأساليب التي يستخدمها القرآن الكريم في خطاباته بوفرة، ويعتمد عليها بكثرة ، وقد صنفه الزركشي (ـ٧٩٤هـ) ضمن فنون القرآن البليغة ، وتحدث عن ثمانية وعشرين قسماً من أقسامه [٦] .

ونظرا لتعدد وسائل التوكيد وتنوّعها في القرآن الكريم سيكون حديثنا عن بعض ألوانه الخاصة بالجانب البلاغي المعنوي .

بعض ألوان التوكيد المعنوي :

(١) دخول أحرف التوكيد على الجمل :

تدخل أحرف التوكيد على الجمل لتزيدها قوة في التعبير ، " ويحسن تأكيد الكلام بها إذا كان المخاطَب بها منكرا أو مترددا " [٧] .

---

(١) لسان العرب ـ مادة (وكد) .
(٢) سورة النحل ، الآية ٩١
(٣) الكشاف ـ ج ٢ ـ ص ٦٣٠
(٤) الطراز ـ ج ٢ ـ ص ١٧٦
(٥) روح الجماعات ـ غوستاف لوبون ـ ص ١١٥
(٦) ينظر البرهان في علوم القرآن ـ ج ٢ ـ ص ٣٨٣ وما بعدها .
(٧) معترك الأقران في اعجاز القرآن ـ ج ١ ـ ص ٣٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(أ) وقد ذكر الدارسون أنّ التوكيد يأتي حسب مقامات المخاطَبين ، فيؤكد الكلام بهذه الحروف إذا كان المخاطَبُون شاكين أو منكرين ، ويزيد التوكيد بزيادة الانكار(١) ، ومثلوا لذلك بقوله تعالى : (إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ) (٢) فأكد بـ " أن " ، واسميه الجملة ، وفي المرة الثانية قال تعالى : (رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ) (٣) فأكد بالقسم و"ان" و " اللام" ، واسمية الجملة ، لمبالغة المخاطبين في الانكار حيث قالوا (مَآ أَنْتُم إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ الرَّحْمَـٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ) (٤) .

(ب) وقد يؤكد بهذه الحروف ، والمخاطبين غير منكرين ، فمن ذلك قوله تعالى :: (ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ)(٥) فقد أكد الموت تأكيدين وإن لم ينكر ، لتنزيل المخاطبين - لتماديهم في الغفلة تنزيل من ينكر الموت (٦) ، وقال الزمخشري (ـ٥٣٨هـ) : بُولغ في تأكيد الموت تنبيهاً للانسان على أن يكون الموت نصب عينيه ، ولا يغفل عن ترقبه فإن مآله اليه (٧) .

(جـ) وقد يؤكد بها للمخاطب الذي قُدم له ما يلوّح بالخبر فاستشرفت نفسه إليه ، وهذا النوع من التوكيد كثير في القرآن الكريم ، فمن ذلك قوله تعالى : (يَآ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم) (٨) لما أمرهم بالتقوى وظهور ثمرتها ، والعقاب على تركها ، تشوقت نفوسهم الى وصف حال الساعة فقال تعالى : (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) (٩) .

(د) وقد يؤكد بها لقصد الترغيب ، قال تعالى : (فتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)(١٠) أكد بأربعة تأكيدات ترغيباً للعباد في التوبة .

---

(١) ينظر الاتقان في علوم القرآن - ج ٢ - ص ٨٣ ، ٨٤ .
(٢) سورة يس ، الآية ١٤
(٣) سورة يس ، الآية ١٦
(٤) سورة يس ، الآية ١٥
(٥) سورة المؤمنون ، الآية ١٥
(٦) معترك الأقران في اعجاز القرآن - ج ١ - ص ٣٣٤
(٧) ينظر الاتقان في علوم القرآن - ج ٢ - ص ٨٤
(٨) سورة الحج ، الاية ١
(٩) سورة الحج ، الآية ١
(١٠) سورة البقرة ، الآية ٣٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(هـ) ويؤكد بها لقصد الترهيب ، قال تعالى : (فكَفَرُوا فَأَخَذَهُم اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الِعَقَابِ) (١) .

ومن دقائق حروف التوكيد ورود " اللام " في الكلام لفائدة معنوية ، وذلك " أنه إذا عُبر عن أمر يُعز وجوده ، أو فعل يكثر وقوعه جيء باللام تحقيقا لذلك " (٢) ، ومثال هذا قوله تعالى : (إذا جآءك المَنَافِقُون قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّك لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ واللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ المُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) (٣) .

وردت اللامات الثلاثة في خبر "إنّ" للتوكيد ، فاللام الأولى مؤكدة لقبول المنافقين ، لأنهم أظهروا من أنفسهم التصديق برسالة النبي صلى الله عليه وسلم وتملقوا له ، وبالغوا في التملق ، وفي باطنهم خلافه ، وأما اللام الثانية فلتصديق رسالته ، والثالثة لتكذيب المنافقين فيما كانوا يظهرونه من التصديق الذى هم على خلافه (٤) .

هذه بعض الدلالات المعنوية لأحرف التوكيد حين دخولها على الآيات ، وقد تفنّن القرآن الكريم في استعمالها حسب ما تقتضيه مقامات المخاطَبين ، وجعلها من الوسائل التي تساهم في بلاغة التعبير .

(٢) التوكيد بأحرف الزيادة :

أحرف الزيادة اسم أطلقه النحويون على تلك الحروف التي تزاد في الكلام ، وهي في الغالب لفائدة التوكيد ، أو لبعض المعاني الأخرى المستفادة من سياق الآيات القرآنية .

يقول ضياء الدين بن الأثير (ـ٦٣٧هـ) : " فائدة وضع الألفاظ أن تكون أدلة على المعاني ، فان وردت لفظة من الألفاظ في كلام مشهور له بالفصاحة والبلاغة ، فالأولى أن تُحمل تلك اللفظة على معنى ، فإن لم يوجد معنى بعد التنقيب والتنقير والبحث الطويل قيل : هذه زائدة دخولها في الكلام كخروجها منه " (٥)

لذلك قرر الدارسون المتخصصون أن لا زيادة في كتاب اللّه ، وأن ما قد يظهر فيه للنّاس من مثل هذه الحروف الزوائد يُحمل على معنى التوكيد ، أو بعض المعاني الأخرى والتي لم يكن للتعبير أن يبلغ مستواه البلاغي الرفيع من حيث دقة المعنى بدون هذه الحروف (٦) .

---

(١) سورة غافر ، الآية ٢٢

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ـ ضياء الدين بن الأثير (ـ٦٣٧هـ) ـ ج ٢ ص٢٣٥،٢٣٦ـ تحقيق أحمد الحوفي وبدوى طبانة ـ ط٢ دار نهضة مصر .

(٣) سورة المنافقون ، الآية ١

(٤) ينظر المثل السائر ـ ج ٢ ـ ص ٢٣٥

(٥) المثل السائر ـ ج ٣ ـ ص ١٣ ، ١٤

(٦) ينظر البرهان في علوم القرآن ـ ج ٣ ـ ص ٧٠ وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الأمثلة الشائعة على هذه الحروف زيادة الكاف في قوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (١) فقد قيل : هي للتوكيد (٢) ، وقيل : " دخول الكاف ها هنا ليست على سبيل الزيادة التي لو طرحت لما تغيّر المعنى ، بل تفيد بدخولها ما لا يستفاد مع خروجها، لأنّه اذا قيل : (لَيْسَ مثلَهُ شَيْءٌ) جاز أن يراد من بعض الوجوه ،أو على بعض الأحوال ، فاذا دخلت " الكاف " فُهِم نَفْي المِثْل على كل وجه " (٣)

ويضيف الأستاذ عبد اللّه دراز ـ رحمه الله ـ معنى آخر في زيادة الكاف فيقول : " إنّ المقصود الأولي من هذه الجملة وهو نفي الشبيه ، وان كان يكفى لأدائه أن يقال : (ليس كاللّهِ شَيْءٌ) أو (لَيْسَ مِثْلَهُ شَيْءٌ) ،لكن هذا القدر ليس هو كل ما ترمى إليه الآية الكريمة ، بل إنّها كما تريد أن تعطيك هذا الحكم تريد في الوقت نفسه أن تلفتك الى وجه حُجّته وطريق برهانه العقلي ، وعلى هذا المنهج البليغ وضعت الآية الكريمة قائلة : (مِثْلُه تعالى لاَ يكُوْنُ لَهُ مِثل) ، تعني أنّ من كانت له تلك الصفات الحسنى، وذلك المثل الأعلى لا يمكن أن يكون له شبيه ، ولا يتسع الوجود لاثنين من جنسه ، فلا جرم جيء فيها بلفظتين كل واحد منها يؤدى معنى المماثلة ليقوم أحدهما ركنا في الدعوى ، والآخر دعامة لها وبرهانا " (٤) .

ومن حروف الزيادة " لا " النافية قبل القسم ، وتأتى لتأكيد الاثبات (٥) ومثال ذلك قوله تعالى : (لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ) (٦) .

(٣) التوكيد بالجملة الاسمية :

يأتي الخطاب بالجملة الاسمية لضرب من التأكيد والمبالغة (٧) ودليل ذلك قوله تعالى : (وإذا لَقُوا الذِيْنَ آمنُوا قَالُوا آمنَا وإذَا خَلَوْا إلَى شَيَاطِينِهِم قَالُوا إنَّا مَعَكُم) (٨) فإنّ المنافقين إنّما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية ، وشياطينهم بالجملة الاسمية المحققة بـ "انّ" المشدّدة ، لأنّهم في مخاطبة اخوانهم بما اخبروا به عن أنفسهم

---

(١) سورة الشورى ، الآية ١١

(٢) ينظر البرهان في علوم القرآن-ج ٣-ص ٧٣-وبديع القرآن-ابن ابى الاصبع (-٦٥٤هـ) -ص ٣٠٥ تحقيق حفنى شرف -ط٢ - دار نهضة مصر ، القاهرة .

(٣) أمالي المرتضى المسمى " غرر الفوائد ودرر القلائد " -للشريف المرتضى (-٤٣٦هـ) ج ٢ ص ٣١١، ٣١٢-تحقيق أبو الفضل ابراهيم -ط دار احياء الكتب العربية -القاهرة ١٩٥٤

(٤) النبأ العظيم - عبد الله دراز - ص ١٣٤

(٥) البرهان في علوم القرآن - ج ٣ - ص ٨٠

(٦) سورة القيامة ، الآية ١

(٧) المثل السائر - ج ٢ - ص ٢٣٤ ، ٢٣٥

(٨) سورة البقرة ، الآية ١٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من الثبات على اعتقاد الكفر ، والبعد من أن يزلوا عنه على صدق ورغبة ، فكان ذلك متقبلا منهم ، ورائجا عند اخوانهم ، وأمّا الذى خاطبوا به المؤمنين فإنّما قالوه تكلفاً واظهاراً للايمان ، ولأنّهم ليس لهم في عقائدهم باعث قوي على النطق في خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به اخوانهم من العبارة المؤكدة فلذلك قالوا في خطاب المؤمنين (آمنا) ، وفي خطاب اخوانهم (إنّا معكم) (١) .

(٤) التوكيد بالاعتراض :

" الاعتراض هو أن يدخل في خلال الكلام كلمة تزيد اللفظ تمكناً ، وتفيد معنى آخر مع أنّ اللفظ يستقل بدونها ، ويلتئم بغيرها ، ويأتي في الكلام لفائدة " (٢) منها التوكيد ، قال تعالى : (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ) (٣) ففي هذه الآيات اعتراضان ، اعتراض بقوله (وإنّه لقسم) بين القسم وجوابه الذى هو (إنّه لقرآن كريم) ، واعتراض بين الصفة والموصوف بقوله (لو تعلمون) والمراد تعظيم شأن ما أقسم به من مواقع النجوم ، وتأكيد اجلاله في النفوس (٤) .

(٥) التوكيد بالقصر :

عرّف علماء البلاغة القصر بأنه تخصيص أمر بأمر بطريق مخصوص (٥) ، وهو أحد الأساليب البلاغية التي يقتضيها المقام ، ويدعو اليها حال المخاطب (٦) .

وطرق القصر سواء تلك المتفق عليها أو المختلف فيها تفيد التوكيد في بعض صورها بلا جدال ، وقد أكد القرآن الكريم بها معانيه في مواضع كثيرة (٧) .

---

(١) ينظر المثل السائر - ج ٢ - ص٢٣٤ ، ٢٣٥

(٢) الفوائد المشوق الى علوم القرآن - ص٩٤ ، ٩٥

(٣) سورة الواقعة ، الآية ٧٥ - ٧٨

(٤) البرهان في علوم القرآن - ج ٣ - ص ٥٨

(٥) الاتقان في علوم القرآن - ج ٢ - ص ٦٤

(٦) البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) - فضل حسن عباس - ص ٣٥٧ - ط٢ دار الفرقان-١٩٨٩- عمان .

(٧) ينظر أسلوب الدعوة القرآنية - عبد الغني بركة - ص ٣٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هذه الطرق التي تفيد التوكيد قصر الصفة على الموصوف ، فمن ذلك قوله تعالى : (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ) (١) هذا الأمر لا ينكره المخاطَبون ولا يجهلونه، فالآية مدنية والمخاطبون بها مؤمنون ، وإنّما جاء القصر للتأكيد على أن لا ثبات للدنيا ولا اعتداد بها (٢).

وفي قصر الموصوف على الصفة نقرأ قوله تعالى : (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) (٣) أي هو مقصور على الرسالة لا يكاد يتخطاها (٤) ، والخطاب موّجه إلى النصارى الذين ينكرون أنّه رسول من عند الله سبحانه ، ويفيد أسلوب القصر هنا التوكيد على هذه الصفة التي اتفق بها الموصوف حتى كأنّه قد خلص لها ، فلم يعد متصفا بغيرها .

(٦) التوكيد بالقسم :

القسم هو أحد أساليب التوكيد التي يقتضيها المقام ، ويرد عادة لاثبات أمر من الامور التي يستبعد المخاطَب وقوعها ، وتقرير حقيقة من الحقائق وتوكيدها ، وازالة الشبهة عنها عند المقسم له حتى يقبلها ويطمئن لها (٥) .

فهو من وسائل الخطاب المعروفة لدى الانسان ، وكثيرا ما يستخدمه في عملية التواصل البلاغي لجذب المخاطب واقناعه بأمر ما .

وقد لجأ القرآن الكريم إلى القسم متبعاً النهج العربي في توكيد الأخبار به ، لتستقر في النفس ، ويتزعزع فيها ما يخالفها (٦) ، وذلك لأنّ القسم يتمتع بمزايا الوسائل القرآنية جميعا من ناحية اقناعها للعقل ، وجذبها للوجدان ، وامتلاكها للعواطف الانسانية (٧) .

إنّ من أهم الخصائص البلاغية للقسم هو قيامه بدور التهيئة النفسية للمخاطب باثارة انتباهه لما سيُخبر به ، فيستقبله مستجمعاً حواسه ، مركزاً فكره وانتباهه اليه ، لهذا ورد القسم في القرآن الكريم فاتحة لخمس عشرة سورة ، وذلك لجذب الانتباه ، والتهيئة النفسية لما سيقال ، على غرار ما فيه من التوكيد والتقرير .

---

(١) سورة محمد ، الآية ٣٦

(٢) ينظر تفسير أبي السعود - ج ٨ - ص ١٠٢

(٣) سورة المائدة ، الآية ٧٥

(٤) تفسير أبي السعود - ج ٣ - ص ٦٧

(٥) ينظر التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ج ٥ - ص ٧٣٣

(٦) من بلاغة القرآن - أحمد بدوى - ص ١٧٠

(٧) ينظر مجلة "منبر الاسلام" عدد ٣ - السنة ٣٧ - ربيع الأول ١٣٩٩هـ - مقال : من وسائل القرآن الكريم في الدعوة - أحمد غلوش .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أقسم اللّه سبحانه في كتابه بنفسه في سبعة مواضع ، والباقي كلّه أقسم بمخلوقاته ، واقسامه تعالى ببعض المخلوقات دليل على أنها من عظيم آياته [١] كما أنّه يلفت الأنظار إليها حتى يستدل بها على معرفة الخالق لها .

" ويُقسم تعالى على أصول الايمان التي تجب على الخلق معرفتها ، وتارة يقسم على التوحيد ، وتارة يقسم على أنّ القرآن حق ، وتارة على أن الرسول حق ، وتارة على الجزاء والوعد والوعيد ، وتارة يقسم على حال الانسان " [٢] .

ويأتي القسم في القرآن الكريم لكمال الحجة وتوكيدها ، وهو من الأساليب التي تراعي حالات السامعين ، وأقدار المخاطبين ، وبعد دراسته لوحظ ما يلي :

(أ) في القضايا المسلمة عند المخاطَبين يأتي القسم عليها مرة واحدة كحقيقة لا تحتاج الى اثبات ، فمن ذلك قوله تعالى : (والصّافّاتِ صَفّاً فالزاجِراتِ زَجْراً فالتّالِياتِ ذِكْراً إنّ إلٰهَكُم لَواحِدٌ) [٣] فقد اكتفى القسم القرآني وهو يتناول قضية التوحيد بالحديث عنها مرة واحدة [٤] لأنها حقيقة بديهية لا ينكرها أحد .

(ب) وفي القضايا التي ينكرها المخاطَبون يأتي القسم مكررا بصورة تناسب الانكار ، فمن ذلك قوله تعالى : (فَوَرَبِّكَ لنسألَنّهُم أجْمَعِينَ) [٥] ، وقوله أيضا : (فَوَرَبِّ السّماءِ والأرْضِ إنّهُ لَحَقٌّ) [٦] فكرر القسم بلفظ الربّ لأنّ هذه القضايا يجحدها المخاطبون .

(ج) وفي القضايا التي لا يكتفي فيها المخاطبون بمجرد الانكار وإنّما يزيدون عليه التكذيب ، ويختلقون لها الشبه يتكرر القسم على قدر هذه المواقف ، ففي اثبات الرسالة - وهي القضية التي ينكرها ويكذّب بها الكافرون - يتكرر القسم في آيات كثيرة نذكر منها قوله تعالى : (يس والقرآنِ الحَكِيمِ إنّك لَمِنَ المُرْسَلِينَ) [٧] وقوله أيضا : (فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ إنّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) [٨] ، وقوله أيضا : (وَالنّجْمِ إذا هَوَى مَا ضَلّ صَاحِبُكُم وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إنْ هُوَ إلاّ وَحْيٌ يُوحَى) [٩] .

---

(١) ينظر البرهان في علوم القرآن - ج ٣ - ص ٤٠ - ومعترك الأقران في اعجاز القرآن - ج ١ - ص ٤٥٣

(٢) الاتقان في علوم القرآن - ج ٢ - ص ١٣٤

(٣) سورة الصافات ، الآية ١ - ٤

(٤) ينظر مجلة "منبر الاسلام" - عدد ٣ - السنة ٣٧ - مقال : من وسائل القرآن الكريم في الدعوة - أحمد غلوش .

(٥) سورة الحجر ، الآية ٩٢

(٦) سورة الذاريات ، الآية ٢٣

(٧) سورة يس ، الآية ١

(٨) سورة الحاقة ، الآية ٣٨ - ٤٠

(٩) سورة النجم ، الآية ١ - ٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذه الأقسام كلّها لتوكيد الحجّة ، واثبات الرسالة المحمدية ودفع معارضيها بشدّة .

الاقناع بالتوكيد القرآني :

بعد دراسة بعض وسائل التوكيد القرآني تبيّن لنا أنّ هذا الأسلوب قد بلغ قدرا كبيرا من الغنى والوفرة في التعبير القرآني ، وقد استعمله القرآن الكريم استعمالا دقيقا يناسب النفوس التي يخاطبها ، ويلائم القلوب التي يريد التأثير فيها ، ذلك أن التوكيد له من الخصائص البلاغية التي تجعله من أهم الوسائل لتثبيت المعاني وترسيخها في هذه النفوس ، وتلك القلوب .

يقول غوستاف لوبون عن التوكيد وأثره في الجماعات : " إنّ الأمر إذا ما وُكِّدَ انتهى بالتكرار الى الرسوخ في النفوس على أنّه حقيقة ثابتة " (١)، وقديما عرّف الدارسون التوكيد بأنّه تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره وقالوا عن فائدته : هي ازالة الشكوك واماطة الشبهات (٢).

فلهذه الخصائص النفسية والمعنوية عُدّ التوكيد في الفصاحة والبلاغة ، واعتبر من الأساليب الضرورية التي يقتضيها المقام ، أما من قال : إنّ مجيئه في الكلام هو لقصور النفس عن تأدية المراد بغير تأكيد ، فُرِدّ عليه بأنّ التوكيد معدود في البلاغة (٣) ، " فيجب على البليغ في مظان الاجمال أن يجمل ، وفي مظان التفصيل أن يفصل ، ولقد كرر اللّه القصص لقد الايضاح والتذكرة مرة بعد أخرى " (٤).

والبلاغة - وهي أداة الاقناع القرآني - تقتضي الاطناب كما تقتضي الايجاز ، ويأتي التوكيد في الكلام البليغ دائما - ليدل على فائدة ومتى لم يكن تحته فائدة كان دخوله عبثا.

فالتوكيد إذن من الأساليب القرآنية البليغة التي لها وظيفتها الأساسية في الاقناع ، وهو أحد عناصر الكمال في التعبير القرآني ، ومن هنا توسع القرآن في استخدامه ، وتفنّن في استعماله ، واشملته قضاياه كلّها ، " فهو يؤكد صفاته تعالى ، ويؤكد حين يَعِدُ أو يوعد ، ويؤكد حين يدعو للعقائد ، وحين يدعو للعبادات ، وحين يدعو للمعاملات ، ويؤكد كلّما كان الخبر محل انكار أو شك " (٥).

---

(١) روح الجماعات - ص١١٥ - وينظر الخطابة - محمد أبو زهرة - ص ٨٠، ٨١ - ط٢ دار الفكر العربي - ١٩٨٠م

(٢) ينظر الطراز المتضمن لأسرار البلاغة - ج ٢ - ص ١٧٦

(٣) ينظر البرهان في علوم القرآن - ج ٢ - ص ٣٨٤

(٤) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن - الزملكاني (-٦٥١هـ) - ص ٢٣٤ تحقيق خديجة الحديثي وأحمد مطلوب - ط١ - مطبعة العاني بغداد ١٩٧٤ م

(٥) أسلوب الدعوة القرآنية - عبد الغني بركه - ص ٣١٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويستنتج من هـذا كلّـه أنّ أسلوب التوكيـد يبعث القوة في التعبير ، وبـه يراعـي البليـغ حالات السامعين ، ومقامـات المخاطَبين ، وهـو أحـد أساليب الاقنـاع فـي الخطـاب القرآنـي ، وغايتـه البلاغيـة ازالـة الشكـوك ، ودحـض الشبهـات، وتثبيت الحقائـق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣) أسلوب التّكرار

التّكرار والتكرير في اللغة الاعادة والترديد (١) .

وفي الاصطلاح البلاغي " هو أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفا أو يأتي بمعنى ثم يعيده " (٢) .

وأسلوب التكرار هو أحد أساليب التوكيد المعروفة عند البشر ، والتي تستعمل لتقوية المعاني وتقريرها في النفوس ، قال الزمخشري (ـ٥٣٨هـ) ـ رحمه الله ـ : " إنّ في التكرير تقريرا للمعاني في الأنفس ، وتثبيتا لها في الصدور ، ألا ترى أنّه لا طريق إلى تَحَفُّظِ العلوم إلاّ ترديد ما يراد تحفظه منها ، وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب ، وأرسخ في الفهم ، وأثبت للذكر ، وأبعد من النسيان " (٣) .

وللدارسين القدماء اهتمام كبير بما ورد في القرآن الكريم من تكرار ، فمنهم من جعله توكيدا خاصا بمسائل البيان (٤) ، ومنهم من قال إنّه أبلغ من التوكيد (٥) ومنهم من عدّه أصلا قائما بذاته (٦) وعن الفرق بين التوكيد والتكرار يقول السيوطي (ـ٩١١هـ) ـ رحمه اللّه ـ : " هو يجامعه ويفارقه ، ويزيد عليه وينقص عنه ، فصار ـ أي التكرار ـ أصلا برأسه ، فإنّه قد يكون التأكيد تكرارا كما تقدم في أمثلته ، وقد لا يكون تكرارا كما تقدم أيضا ، وقد يكون التكرير غير تأكيد صناعة وإن كان مفيدا للتأكيد معنى " (٧).

ومقصود السيوطي ـ رحمه الله ـ هو أن التّكرار يفيد معنى التوكيد ، ولكنّه يزيد عليه في المعنى ، ولهذا عُدّ أصلا قائما بذاته .

---

(١) لسان العرب ـ مادة (كرر) .

(٢) المثل السائر ـ ج ٣ ـ ص ٣ . وينظر الفوائد المشوق الى علوم القرآن ـ ص ١١١ .

(٣) الكشاف ـ ج ٣ ـ ص ٣٣٤

(٤) ينظر الطراز ـ ج ٢ ـ ص ١٧٦

(٥) ينظر البرهان في علوم القرآن ـ ج ٣ ـ ص ١١

(٦) ينظر معترك الأقران في اعجاز القرآن ـ ج ١ ـ ص ٣٤٢

(٧) نفسه ـ ج ١ ص ٣٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسواء كان التّكرار جزءا من التوكيد ، أو أسلوبا قائما بذاته فهو أحد الأساليب البلاغية البارزة في القرآن الكريم ، وكان وروده لونا من ألوان الاعجاز فيه [١]، ومن هنا كثر الكلام حوله ، وتعددت الآراء في أوجه الفائدة منه قديما وحديثا ، وتجمع أغلب الآراء على كونه من الأساليب البيانية التي تأتي لفائدة جليلة ، وتخدم غرضا بلاغيا ودينيا .

أما بعض المنكرين له فرأوا أن لا فائدة منه ، وأنّه تطويل في الخطاب لغير هدف مقصود ، فقد جاء مثلا في دائرة المعارف البريطانية أنّ هناك آيات أوحي بها سابقا ثم تعاد كما هي مع اضافة قليلة في التوضيح والبيان [٢] .

وفي هذا الكلام ظَنٌّ أنّ القرآن الكريم قد كرّر قضاياه وأحكامه بصور متماثلة، وبالتالي يمكن الاستغناء عن بعضه ، ولا يصدر مثل هذا الرأي إلّا ممن يجهل أسرار البيان العربي .

أما العارفون بدقائق اللغة العربية فيرون في التكرار الذى ورد في القرآن الكريم لونا من ألوان الاعجاز البياني [٣] ، وقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين ، وتحدى أقواما يعرفون مثل هذه الأساليب ، فعجزوا عن معارضته ، ولو وَجَدُوا فيه مغمزا لكان لهم موقف آخر منه .

وصورة هذا التّكرار الذى بدا في بعض سور القرآن الكريم " أنّه يجيء في بعض الآيات فتختلف في طرق الأداء ، وأصل المعنى واحد في العبارات المختلفة ، كالذى يكون في قصصه لتوكيد الزجر والوعيد ، وبسط الموعظة وتثبيت الحجة ونحوها ، أو في بعض عباراته لتحقيق النعمة ، وتوبيد المنّة ، والتذكير بالنعم " [٤] .

ويلجأ القرآن الكريم الى تكرار بعض حقائقه في قوالب بيانية متنوعة تحقيقا لأغراض بيانية ودينية كثيرة ، وقد كان لدارسي الاعجاز والبلاغة القرآنية وقفات متأنية عند كل موضع يظهر فيه التّكرار اللفظي أو المعنوى لتحديد وجه الفائدة منه ، وهذه بعض الأغراض التي يفيدها التكرار [٥] .

---

(١) ينظر اعجاز القرآن ـ مصطفى صادق الرافعي ـ ص ١٩٣ ، ١٩٤

(٢) ينظر Encyclopaedia Britanica (QUran) وينظر قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية ـ فضل حسن عباس ـ ص ١٤١

(٣) ينظر اعجاز القرآن ـ مصطفى صادق الرافعي ـ ص ١٩٣ ، ١٩٤

(٤) نفسه ـ ص ١٩٤

(٥) ينظر البرهان في علوم القرآن ـ ج ٣ ـ ص ١٠ ، ٢٥ ـ ومعترك الاقران ـ ج ١ ـ ص ٣٤١ وما بعدها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(أ) التقرير : هو الفائدة العظمى للتكرار ، وقد قيل الكلام اذا تكرر تقرر، وقد قال الله تعالى : (وصَرَّفْنَا فيه من الوعيد لَعَلَّهُم يتَّقُوْنَ أَوْيُحْدِثُ لَهُم ذِكْراً) (١) وحقيقة التصريف اعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى خشية تناسى الأول لطول العهد به (٢)

فالغرض البياني لتكرار بعض الحقائق الدينية الأساسية هو لتقريرها في النفوس ، ومزجها بالقلوب ، لتصبح من العقائد الراسخة فيها .

(ب) التوكيد : يفيد التكرار معنى التوكيد في الحالات كلّها ، وقد يزيد عليه في المعنى ، فمن ذلك قوله تعالى : (كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُوْنَ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُوْنَ) (٣) " فالتكرار - هنا - للتأكيد ، و"ثُمَّ" للدلالة على أن الثاني أبلغ من الأول ، أو الأول عند الموت أو في القبر والثاني عند النشور " (٤) .

(جـ) الوعيد والتعظيم والتهويل : ويستفاد ذلك من بعض الآيات كقوله تعالى : (ومَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِيْنِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِيْنِ) (٥) وقوله أيضا : (القَارِعَةُ مَا القَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا القَارِعَةُ) (٦) ، فالتكرار في الآيات لتفخيم وتعظيم ذلك اليوم المشهود ، وتخويف الناس من هوله وفظاعته .

(د) التعجّب : ويستفاد من قوله تعالى : (فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ) (٧) فقد " أعيد تعجباً من تقديره واصابته الغرض " (٨)، وقيل التكرار هنا للمبالغة، و"ثمّ" للدلالة على أن الثانية أبلغ من الأولى (٩) .

---

(١) سورة طه ، الآية ١١٣

(٢) البرهان في علوم القرآن - ج ٣ - ص ١٠

(٣) سورة التكاثر ، الآية ٣ ، ٤

(٤) تفسير أبي السعود - ج ٩ - ص ١٩٥

(٥) سورة الانفطار ، الآية ١٧ ، ١٨

(٦) سورة القارعة ، الآية ١ - ٣

(٧) سورة المدّثر ، الآية ١٩ ، ٢٠

(٨) البرهان في علوم القرآن - ج ٣ - ص ١٨

(٩) تفسير أبي السعود - ج ٩ - ص ٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(هـ) تعدّدُ المتعلق : ومثال ذلك تكرارُ قوله تعالى : (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) (١) فقد قيل فيها " إنّها وإن تعددت ، فكلّ واحد منها متعلق بما قبله ، وإنّ اللّه تعالى خاطب بها الثقلين من الإنس والجن ، وعدّد عليهم نعمه التي خلقها لهم ، فكلّما ذكر فصلا من فصول النِعم طلب إقرارهم ، واقتضاهم الشكر عليه وهي أنواع مختلفة ، وصور شتى " (٢) .

(و) إذا طال الكلام وخُشي تناسي الأول أعيد ثانيا تطرية له وتجديدا لعهده ، كقوله تعالى : (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (٣) ويظهر ذلك في اعادة (إنّ ربّك) ، وهو مسوق للتوكيد أيضا .

وهكذا نستطيع أن نجد ما لا يُحصى من المعاني والأغراض التي يفيدها التّكرار القرآني (٤) ولا يتسع المقام لبسطها كلّها ، ونكتفي بما ذكرنا .

الاقناع بالتّكرار :

صورة التكرار الذى يظهر في بعض آى القرآن الكريم تتجلى في اعادة بعض الحقائق الضرورية في مجال الدعوة مع التنويع في طرق عرضها ، ويظهر ذلك بشكل واضح في قضايا العقيدة والقصص ، وأما ما يظهر من تكرار لفظي أو معنوى في سياق الجمل فيدخل ضمن الوسائل البيانية التي يقتضيها الأسلوب ، ويتطلبها الأداء البلاغي ، وهي لا تخرج عن أساليب العرب وطرق بيانهم .

والذى يهمنا هنا هو ذلك التنويع في طرق الأداء ، وأساليب العرض الذى عُدّ من سمات الاعجاز البياني في القرآن الكريم ، على غرار كونه ضرورة من ضروريات التربية والاقناع ، " لأننا حين ننظر الى القرآن الكريم على أنّه كتاب التربية لهذه الأمة ، وللبشرية كلّها التي ينبغي أن تدخل في دين اللّه ، تزول عنا غرابة هذه الظاهرة-

---

(١) سورة الرحمن ، الآية ١٣

(٢) البرهان في علوم القرآن - ج ٣ - ص ١٨

(٣) سورة النحل ، الآية ١١٠

(٤) ينظر مجلة " الأزهر " - مجلد ٢٥ - جمادى الآخرة ١٣٧٣هـ - مقال : التكرار في الكلام- عز الدين اسماعيل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أي التكرار - وتصبح بعض حكمتها على الأقل مفهومة لدينا " [١] وحين نقول إنّ التكرار من هذه الناحية هو أحد أساليب الاقناع القرآنية فلخصائص بيانية ومعنوية تناسب طبائع النفوس .

فمن هذه الخصائص أن التكرار مناسب للطبيعة الانسانية المجبولة على غرائز الغفلة والنسيان ، والانكسار والجحود وما إلى ذلك ، ولا يقمع هذا إلاّ تكرار المواعظ والقوارع [٢].

وقديما تفطن الجاحظ (-٢٥٥هـ) - رحمه اللّه - إلى هذه الخاصية فقال : " وجملة القول في الترداد [٣] أنّه ليس فيه حد ينتهي إليه ، ولا يؤتى على وصفه ، وإنّما ذلك على قدر المستمعين ، ومن يحضره من العوام والخواص ، وقد رأينا اللّه عز وجل ردّد ذكر قصة موسى وهود ، وهارون وشعيب ، وابراهيم ولوط ، وعاد وثمود ، وكذلك ذكر الجنة والنار ، وأمور كثيرة ، لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم ، وأكثرهم غبي غافل ، أو معاند مشغول الفكر ، وساهي القلب " [٤].

فالتكرار من أهم الوسائل لبث الفكرة في نفوس الناس وترسيخها في قلوبهم ، وقد قال الله تعالى في كتابه : (اللّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم) [٥] فأخبرهم تعالى " أنّه لا حديث يشبهه في حسنه ، وأخبر أنه متشابه غير مختلف فيه ، ثم أخبر أن فيه التكرار عن معاني ما قال ، إن تنحت قلوبهم عند تلاوة ما في سوره عن فهم معانيه ، تكرر في سورة أخرى ففهموه فقال " مثاني " [٦] .

وقال الزمخشري (-٥٣٨هـ) - رحمه اللّه - عند تفسيره لهذه الآية : " المثاني جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه ، وأوامره ونواهيه ، ووعده ووعيده ومواعظه ... ثم قال : فإن قلت : ما فائدة التثنية والتكرير ؟ قلت : النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة ، فما لم يكرر عليها عوداً على بدء لم يرسخ فيها ، ولم يعمل عمله ، ومن ثَمّ كانت عادة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم ، وينرسه في صدورهم " [٧].

---

(١) دراسات قرآنية - محمد قطب - ص ٢٤٥

(٢) ينظر البرهان في علوم القرآن - ج ٣ - ص ٩

(٣) الترداد هنا بمعنى التكرار .

(٤) البيان والتبيين - ج ١ - ص ١٠٥ .

(٥) سورة الزمر ، الآية ٢٣

(٦) العقل وفهم القرآن - ص ٢٧٦ ، ٢٧٧

(٧) الكشاف - ج ٤ - ص ١٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فغاية القرآن الكريم من تكرار حقائقه ليست في توجيه النظر إلى الشيء المكرر لأهميته فحسب ، بل ترسيخه في النفس واقراره فيها ، وحملها على الاقتناع به ، ذلك أن " التكرار إنّما يأتي لما أهم من الأمر لصرف العناية إليه ليثبت ويتقرر " (١) .

والتكرار في القرآن الكريم يحقق غرضين :

الأول : بيان حقائق هذا الدين ، وتثبيت المعاني في النفوس .

الثاني : هو اخراج المعنى الواحد في صور بيانية متنوعة يتحقق بها الاعجاز القرآني ، ويعجز أمامها العقل البشري (٢) .

وبهذين الغرضين يوفر القرآن الكريم شروط الاقناع والامتاع ، الاقناع بما عرض من حقائق، وبسط من أدلة ، والامتاع بما فيه من جمال فني في طرق العرض ، ومن هنا فالمتعامل مع الحقائق المكررة لا يجد تكرارا غير مفيد يبعث السآمة والملل في النفوس ، بل يجد تنويعا في الأداء البياني ، والجمال الفني الذى يكسو كل حقيقة تتردد مثلما يتنوع طعم السكر في الفواكه المختلفة ، ولكل مذاقه الخاص به .

إنّ " الهدف الأهم من وراء هذا السرد المتكرر ليس بيان الحق فقط بل هو - الى جانب ذلك - تعميق مجراه في القلوب تعميقا ينفي ما طُبع عليه الانسان من جدل وملل " (٣).

وهناك حقيقة لا بد أن يشار إليها وهي : " أن القليل جدا من الآيات أو من العبارات هي التي وردت بنصها أكثر من مرة في القرآن الكريم لأمر مقصود ... وفيما عدا هذا القليل النادر الذي يكرر لفظه لهدف مقصود ، نجد أن الظاهرة الحقيقية ليست هي التكرار ، وإنّما هي " التنويع " " (٤) .

وقال ضياء الدين بن الأثير (-٦٣٧هـ) - رحمه اللّه - : " اعلم أنّه ليس في القرآن مكرّر لا فائدة في تكريره ، فإن رأيت شيئا منه تكرر من حيث الظاهر فانعم نظرك فيه فانظر إلى سوابقه ولواحقه لتنكشف لك الفائدة منه " (٥) .

والمتأمل في موضوعات القرآن الكريم يرى مثلا أنّ موضوع الرسالة قد تناولته عدة سور " وعلى مراحل متميزة ، ولكل مرحلة خصائصها ابتداء من مرحلة الانذار ومرورا بمرحلة الأدلة وردّ الشبهات والاجابة عن الافتراءات وانتهاء بمرحلة التحدّى ، والمتأمل في هذه المراحل في الآيات الكريمة

---

(١) المثل السائر - ج ٣ - ص ١١

(٢) ينظر المشاهد في القرآن الكريم - حامد قنيبي - ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ - ط١ مكتبة المنار - الأردن - ١٩٨٤

(٣) نظرات في القرآن - محمد الغزالي - ص ١٢٨

(٤) دراسات قرآنية - محمد قطب - ص ٢٤٦

(٥) المثل السائر - ج ٣ - ص ٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي تحدثت عنها يجد أنّ كل آية عرضت لموضوع ، وعالجت قضية ذات شأن ، مما يجعل القارىء المتدبر لا يرتاب في جدّة هذه الموضوعات والقضايا ، وبالتالي يصل الى قناعات لا تحوم حولها شائبة بأنه لا تكرار في الآيات التي تتحدث عن الرسالة " (١)

يستنتج من هذا كلّه أنّ التكرار أسلوب بليغ ومعجز في القرآن الكريم ، وقد عدّه الدارسون المتخصصون من البلاغة والاعجاز ، ووجدوا فيه منهجا من مناهج التربية والاقناع والتأثير في النفوس ، ولا يمكن بأية حال أن يُبعد من التكرار الذى يمكن الاستغناء عنه ، وتبيّن كذلك أنّ ظاهرة التنويع هي الظاهرة الحقيقية في آى القرآن الكريم ، لأنّ التنويع في طرق عرض الموضوعات الهامة لأهداف تربوية واقناعية أمر لا بد في تغيير النفوس ، ومزج هذه الموضوعات المعروضة بالقلوب .

---

(١) ينظر مجلة الشريعة (الدراسات الاسلامية ـ الكويت) ـ مقال : قضية التكرار في كتاب اللّه ـ فضل حسن عباس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٤) أسلوب الحذف

الحذف في اللغة قطع الشيء من طرفه (١) .
وفي الاصطلاح " اسقاط جزء من الكلام أو كلّه لدليل (٢) "
وقد يحذف من الكلام الحرف أو المفرد أو الجملة أو أكثر من ذلك ، ولا بد من دلالة السياق وفحوى الكلام على هذا المحذوف ، فإن لم يكن هناك دلالة عليه كان لغواً في الحديث (٣) .

ويعد البلاغيون الحذف من فنون الكلام البليغة ، قال الخطّابي (ـ٣٨٨هـ) ـ رحمه الله ـ : " وحذف ما يُستغنى عنه من الكلام نوع من أنواع البلاغة " (٤) وقال الشريف المرتضى (ـ٤٣٦هـ) ـ رحمه الله ـ في أماليه : " اعلم أن من عادة العرب الايجاز والاختصار والحذف طلبا لتقصير الكلام ، واطراح فضوله ، والاستغناء بقليله عن كثيره ،يعدون ذلك فصاحة وبلاغة ، وفي القرآن من هذه الحذوف ، والاستغناء بالقليل من الكلام عن الكثير مواضع كثيرة نزلت من الحسن في أعلى منازله ، ولو أفردنا لما في القرآن من الحذوف الغريبة ، والاختصارات العجيبة كتابا لكان واجبا " (٥) .

والمقصود هنا ذلك الحذف البليغ الذى لا يُبهم الكلام ، ولا يخل بنظام ، والذى يُستغنى به عن الزوائد والفضول التي لو ذكرت لنزل قدر الكلام عن علوّ بلاغته ، ولذلك جعل البلاغيون الحذف من الايجاز البليغ الذى قالوا عنه " انّه اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل " (٦) ، ووضعوا لهذا الحذف شروطا وأدلة ، وإلاّ صار الكلام مخلا بالفهم ، وذكروا أنّه يجب أن يكون في المذكور دلالة على المحذوف وإلاّ لم يتمكن من معرفته ، وجعلوا العقل دليلا لمعرفة هذا المحذوف (٧) .

ويفيد الحذف البليغ أغراضا كثيرة ذكر الزركشي (ـ٧٩٤هـ) ـ رحمه اللّه ـ بعضا منها فقال (٨) :

أ ـ طلب الايجاز والاختصار ، وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل .

ب ـ موقعه في النفس في موقعه على الذكر ، ولهذا قال شيخ الصناعتين عبد القاهر الجرجاني ما من اسم حذف في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها إلاّ وحذفه أحسن من ذكره .

---

(١) لسان العرب ـ مادة (حذف)
(٢) البرهان في علوم القرآن ـ ج ٣ ـ ص ١٠٢
(٣) ينظر الطراز ـ ج ٢ ـ ص ٩٢
(٤) بيان اعجاز القرآن ـ ص ٩٢
(٥) أمالي المرتضى ـ ج ٢ ـ ص ٣١١
(٦) الطراز ـ ج ٢ ـ ص ٨٨
(٧) ينظر البرهان في علوم القرآن ـ ج ٣ ـ ص ١٠٨ ، ١١٥ .
(٨) نفسه ـ ج ٣ ـ ص ١٠٤ ، ١٠٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ - التفخيم والاعظام لما فيه من الابهام لذهاب الذهن فيه كل مذهب ، وتشوفه إلى ما هو المراد ، فيرجع قاصرا عن إدراكه ، فعند ذلك يعظم شأنه ، ويعلو في النفس مكانه ، ألا ترى أنّ المحذوف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يختلج في الوهم من المراد ، وخلص للمذكور .

ويفهم من كلام الزركشي - رحمه الله - أن الحذف بشروطه سمة للكلام البليغ ، غير أنّه ذكر في الغرض الآخير أن المخاطَب يُفخم ويُعظم الشيء المحذوف لكونه مبهماً ، ولقصوره عن إدراكه بعد تشوّفه لمعرفته والذي نراه أنّ هذا الغرض لا ينطبق على القرآن الكريم ، ذلك أن البيان القرآني موزون في ألفاظه ، كامل في معانيه ، محكم في نظمه ، يخاطب العامة والخاصة ، ومراده قريب من الجميع دون أي غموض أو ابهام ، لكن إذا قيل إنّ في القرآن الكريم حذفا في بعض المواضع فلأغراض بلاغية يتطلبها النظم والسياق ودقة المعنى ، وتقتضيها الحكمة البيانية .

وأمّا من ادّعى بأن في القرآن الكريم حذوفا تتصل بالحروف أو الكلمات أو الجمل دون أن يكون عليها دليل فقولهم مردود ، لأن القول بالحذف - في مثل هذه المواطن - فيه اهمال للسياق والمعنى كليهما ، بل هو تهوين لشأن النظم كذلك (١).

وحتى لا نقع في مزالق بعض الدارسين للبيان القرآني الذين قالوا بالحذف دون دليل ، نقول : إنّ الحذف في القرآن الكريم أسلوب تقتضيه حكمة البيان ، فحين يعمد إلى حذف فضول الكلام وزوائده ، والاستغناء عن الكثير بالقليل ، فلكي يساق الكلام في صورة نقية وافية تؤدي المعنى كاملا دون غموض أو ابهام .

الاقناع بالحذف :

يساهم أسلوب الحذف في عملية الاقناع القرآني مساهمة فعلية بما له من خصائص بيانية ، وبما يؤديه من أغراض بلاغية في التعبير ، فحين يحذف القرآن الكريم هذا الحرف أو تلك الكلمة فلغاية بلاغية ما كان الكلام ليصلها لو ظهر ذلك المحذوف ، هذا على غرار أن الكلام يصل إلى المخاطبين كاملا في معناه ، كافيا في دلالته ، نقيا في لفظه ، يؤدي المقصود دون غموض أو ابهام .

---

(١) ينظر مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية (الكويت) مقال : سلامة الحرف من الزيادة والحذف - فضل حسن عباس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالحذف بخصائصه البيانية هو أحد فنون القرآن الكريم البليغة (١) والبلاغة هي أداة التوصيل ، ووسيلة البيان والاقناع ، وهي تتطلب الايجاز والحذف كما تتطلب الاطناب والذكر حسبما يقتضيه المقام ، وقديما قال البلاغيون : " على البليغ في مظان الايجاز أن يوجز ، وفي مظان الاشباع أن يشبع ، وفي مظان الاجمال أن يجمل ، وفي مظان التفصيل أن يفصل " (٢) ، والايجاز والاطناب من أعظم أنواع البلاغة (٣) ومن البيان العالي نسج الكلام وفق هذين الفنين حسب حاجات السامعين ومقامات المخاطَبين .

والقرآن الكريم هو أحسن حديث عرفته البشرية ، وقد بلغ نظمه الدرجة العليا للبلاغة ، وخصّ هذا النظم بخصائص أسلوبية جليلة عدّ منها القصد في اللفظ مع الوفاء بحق المعنى (٤) .

وتتطلب هذه الخاصية أسلوب الحذف في بعض المواطن لغرض بياني ، وهدف بلاغي، دون تقصير في المعنى ، أو اخلال بالفهم ، يقول الأستاذ محمد عبد الله دراز ـ رحمه اللّه ـ في حديثه عن البيان القرآني : " انظر حيث شئت من القرآن الكريم ، تجد بيانا قد قدّر على حاجة النفس أحسن تقدير ، فلا تحس فيه بتخمة الاسراف ، ولا بمخمصة التقتير ، يؤدى لك من كل معنى صورة نقية وافية ، " نقية " لا يشوبها شيء مما هو غريب عنها ، " وافية " لا يشذ عنها شيء من عناصرها الأصلية ، ولواحقها الكمالية ، كل ذلك في أوجز لفظ وأنقاه " (٥).

فالحذف في موطنه الخاص به هو أحد العناصر التي يكمل بها المعنى ، وينسجم بها الأسلوب ، يقول عبد القاهر الجرجاني (ـ٤٧١ ـ ٤٧٤هـ) ـ رحمه اللّه ـ عن الحذف : " هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الافادة أزيد للافادة ، وتجدك أنطق ما تكون اذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانا اذا لم تبيّن " (٦) .

---

(١) ينظر البرهان في علوم القرآن ـ ج ٢ ـ ص ٣٨٢ ، ٣٨٣

(٢) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ـ ص ٢٣٤

(٣) ينظر معترك الأقران في اعجاز القرآن ـ ج ١ ـ ص ٢٩٣

(٤) ينظر النبأ العظيم ـ محمد عبد اللّه دراز ـ ص ١١٢

(٥) نفسه ـ ص ١١٢

(٦) دلائل الاعجاز ـ ص ٩٥ ، ٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وليس معنى هذا أنه يجب الحذف من الكلام دائما وفي الأحوال كلّها لتحقيق الغاية البيانية ، " وإنّما يحسن الحذف ما لم يشكل به المعنى لقوة الدلالة عليه ، أو يقصد به تعديد أشياء فيكون في تعدادها طول وسآمة ، فيحذف ويكتفى بدلالة الحال عليه ، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها على الحال ... وبهذا القصد يُؤثر في المواضع التي يراد بها التعجّب والتهويل على النفوس ، ومنه قوله تعالى : (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) (١) فحذف الجواب ، إذ كان وصفُ ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى ، فجعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه ، وتركت النفوس تقدر ما شأنه " (٢).

فحذف فضول الكلام وزوائده ، أوما يراه القرآن الكريم غير لائق بالذكر يناسب طبائع النفوس التي قد يلازمها الملل والسآمة إذا طال الكلام ، ومن هنا استغنى القرآن الكريم عن الكثير من الزوائد ، واكتفى بالدلالة عليها من السياق ، وغايته من هذا كلّه هي اخراج الكلام في أبهى صورة ، وأحسن تأليف مع الوفاء بحق المعنى ، ليتحقق له التأثير المطلوب ، يقول عبد القاهر الجرجاني (ـ٤٧١ أو ٤٧٤هـ) : " ما من اسم أو فعل تجده قد حذف ثم أصيب به موضعه ، وحذف في الحال التي ينبغي أن يُحذف فيها إلاّ وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره " (٣).

ومن الخصائص الاقناعية لأسلوب الحذف في القرآن الكريم أنه يُستعمل في مواطن الاستدلال والبرهنة التي قد تتطلب حذف ما يمكن أن يدركه المخاطب ، ويأتي معه الكلام تاما ، والحجّة واضحة ، فمثلا في قوله تعالى : (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) (٤) حُذفت احدى المقدمات الاستدلالية دون اخلال بالمعنى ، أو اضطراب في النظم البديع ، " وكان سياق الدليل لو كان في غير كلام اللّه تعالى يكون هكذا : إنّ آدم خلق من غير أب ولا أم ، وعيسى خلق من غير أب ، فلو كان عيسى الها بسبب ذلك لكان آدم أولى ، لكن آدم ليس ابنا ولا الها باعترافكم ، فعيسى أيضا ليس ابنا ولا الها " (٥).

---

(١) سورة الزمر ، الآية ٧٣

(٢) البرهان في علوم القرآن ـ ج ٣ ـ ص ١٠٥ ، ١٠٦

(٣) دلائل الاعجاز ـ ص ١٠١

(٤) سورة آل عمران ، الآية ٥٩ ، ٦٠

(٥) المعجزة الكبرى القرآن ـ محمد أبو زهرة ـ ص ٣٧٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فجاء الدليل القرآني بهذا النظم البديع يشبع العقل والقلب،وعبّر عن المعنى بدقة وشمول ، واختار لذلك خير الألفاظ دلالة ، وأدى غرضه البياني ، وهدفه الاقناعي بالاستغناء عن الكثير من الكلام بالقليل المفيد .

ويرى الأستاذ محمد عبد الله دراز - رحمه الله - أنّ القرآن الكريم قد ذهب إلى أبعد من هذا فتراه " يتعمد - بعد حذف فضول الكلام وزوائده - الى حذف شيء من أصوله وأركانه التي لا يتم الكلام في العادة بدونها ، ولا يستقيم المعنى إلّا بها ، ولقد يتناول بهذا الحذف كلمات وجملا كثيرة متلاحقة ومتفرقة في القطعة الواحدة ، ثم تراه في الوقت نفسه يستثمر تلك الباقية من اللفظ في تأدية المعنى كلّه بجلاء ووضوح وفي طلاوة وعذوبة حتى يخيّل إليك من سهولة مسلك المعنى في لفظه أنّ لفظه أوسع منه قليلا " (١) .

ومن الأمثلة التي ساقها تدعيما لرأيه هذا قوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً أَوْ نَهَاراً مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُم بِهِ الآنَ وَقَدْ كُنْتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) (٢)

" يقول الله تعالى : " نبئوني عن حالكم إن جاءكم العذاب بغتة في ليل أو نهار ماذا أنتم يومئذ صانعون ؟ إنّكم هنالك بين أمرين : فإمّا الاصرار على ما أنتم عليه الآن من تكذيب واستعجال ، وإما الايمان فأيّهما تختارون ؟ " أتستعجلون " بالعذاب يومئذ كما تستعجلون به اليوم ؟ كلا فإنّكم مجرمون . وكيف يتشوق المجرم لرؤية العذاب الذى إن جاء فهو لا محالة مُواقِعُه ؟ ثمّ نبئوني أيّ نوع منه تستعجلون ؟ فإنّه ليس نوعاً واحداً بل هو ألوان وفنون . " أم " أنتم اليوم تُكذّبون ثمّ إذا وقع بعد حين آمنتم به ؟ ألا إنّه لن ينفعكم يومئذ إيمانكم بعد أن مّا ظَلَمْتُم وسَوّقتُمْ حتى ضيّعتم الفرصة وفاتكم وقت التدارك . بل هنالك يقال لكم تنديما وتحسيرا : الآن تؤمنون وقد كنتم به تكذبون وتستعجلون .

هذا هو المعنى في ثوبه الطبيعي فانظر كم من كلمة وكم من جملة طويت في صدر الكلام وفي شقّيه ؟ وكيف أنها حين طويت لم يترك شيء منها إلّا وقد جعل في اللفظ مصباح يكشف عنه ، ومفتاح يوصل اليه ؟ فوضع استفهامين متقابلين في الكلام دل على أنّ هنالك استفهاما جامعا لهما مرددا بينهما يقال فيه : ماذا تصنعون ، وأى الطريقتين تسلكون ؟ والاستفهام عن الصنف المستعجل به من العذاب دلّ على استفهام تمهيدى قبله عن حصول أصل

---

(١) النبأ العظيم - ص ١٣٦

(٢) سورة يونس ، الآية ٥٠ ، ٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاستعجال . وكلمة " المجرمون " دلت على استحالة هذا الشق من الترديد . وكلمة " ثم " العاطفة دلت على المعطوف عليه المطوي بينهما وبين الهمزة ، ولفظ الظرف " الآن " دلّ على عامله المقدر . وقس على ذلك سائر المحذوفات ... حتّى إنّ مدّة الاستفهام الداخلة على هذا الظرف قد دلت على طول مدّة التسويق الذى منع من قبول ايمانهم ، لأنّهم عمروا ما يتذكر فيه من تذكر " (١).

ان توفر عناصر الكمال في التعبير القرآني سر من أسرار الاعجاز في القرآن الكريم، وبه حقق شروط الاقناع المناسب للنفوس في كل العصور والأزمان ، والحذف هو أحد الأساليب البلاغية التي لا يمكن الاستغناء عنها حين تدعو الفضيلة البيانية لذلك ، هذا على غرار كونه أحد صور الايجاز البليغ الذى هو خاصية البيان القرآني .

وللحذف ألوان كثيرة في القرآن الكريم (٢) نذكر منها بعض الأمثلة التوضيحية ليأتي التفصيل في الدراسة التطبيقية .

(أ) حذف المفرد : وهو الأكثر استعمالا في القرآن الكريم ، وله صور كثيرة (٣) فمن ذلك قوله تعالى : (وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا : لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ) (٤) .

ففي الآيتين " حذف في أربعة مواضع ، إذ المعنى : وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم أو مواشيهم ، وامرأتين تذودان غنمهما ، وقالتا لا نسقي غنمنا ، فسقى لهما غنمهما ، ثم لا يخفى على ذى بصر أنّه ليس في ذلك كلّه إلا أن يترك ذكره ، ويأتي بالفعل مطلقا ... فاعرفه تعلم أنك لم تجد لحذف المفعول في هذا النحو من الروعة والحسن ما وجدت الّا لأنّ في حذفه وترك ذكره فائدة جليلة ، وأن الغرض لا يصح الّا به " (٥) .

(ب) حذف الجمل : لا تكاد تجد هذا النوع إلّا في كتاب اللّه تعالى ، وإنك تجد حلاوة الايجاز في هذا الحذف ناشئة عن روعة الاعجاز (٦) .

---

(١) النبأ العظيم - ص ١٤١ ، ١٤٢

(٢) ينظر دلائل الاعجاز - ص ٩٥ - ١١٣ - وينظر البرهان في علوم القرآن - ج ٣ - ص ١١٧ - ٢١٦

(٣) ينظر من بلاغة القرآن - أحمد بدوى - ص ١١٩ - ١٢٤

(٤) سورة القصص ، الآية ٢٣ ، ٢٤

(٥) دلائل الاعجاز - ص ١٠٧

(٦) البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) - فضل حسن عباس - ص ٤٦٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى : (فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ : إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (١).

فقد حذفت جمل كثيرة من هذا المقطع القصصي ، ويمكن للقارىء أن يدركها من السياق دون عناء ، فمثلا : فذهبتا الى أبيهما فأخبرتاه الخبر ، فأرسل إحداهما تدعوه ، فجاءته وأخبرته ، فسار معها إلى أبيها ، فما جاء وقصّ عليه القصص قال : لا تخف نجوت من القوم الظالمين .

وتظهر مثل هذه الحذوف كثيرا في القصص القرآني ، ذلك أنّ القرآن الكريم يعتمد على ذكاء قارئه فيحذف بعض التفصيلات الجزئية التي تعرف من السياق ، وفي تخطيها وصولٌ الى العناصر الجوهرية في القصة ، ويمكن أن يدرك المخاطب ذلك دون حاجة الى تفصيل أو تطويل (٢) .

إنّ القرآن الكريم قد نسج خطابه على قدر حاجات النفوس ، وساق كلامه وفق ما تقتضيه حالات السامعين ، ومقامات المخاطَبين ، وقدر تعبيره أحسن تقدير من غير زيادة أونقصان ، ومن غير غموض أوابهام ، وكان يستثمر دائماً برفق أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني " (٣) ليخرج الكلام في صورته الصافية الوافية تؤدي غرضها البياني كاملا .

وإذا كان الاقناع القرآني يعتمد على توفر عناصر الكمال في التعبير من دقة في المعاني ، ووضوح وجمال في طرق العرض ، فان أسلوب الحذف هو أحد هذه العناصر البلاغية التي يحتاجها التعبير في بعض المواضع لأداء غرض بياني ، أو هدف بلاغي يساهم في وظيفته التبليغية والاقناعية .

والمتأمل في التعبير القرآني يدرك أن هذا كلّه من لطائف بيانه الذي لا يسامى ، ومن أسرار اعجازه الذي لا يجارى ، وصدق اللّه العظيم حيث يقول : (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كتاباً متشابهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) (٤) .

---

(١) سورة القصص ، الآية ٢٤ ، ٢٥

(٢) ينظر من بلاغة القرآن - أحمد بدوى - ص ١٢٧

(٣) النبأ العظيم - محمد عبد الله دراز - ص ١٢٧

(٤) سورة الزمر ، الآية ٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع :

دراسة تطبيقية لسورة الفرقان :

(١) الوحدة الموضوعية في السورة الكريمة

(٢) التطبيق على الأساليب البيانية الأصلية

(٣) التطبيق على الأساليب البلاغية الفرعية

(٤) الخصائص الفنية للتعبير في السورة الكريمة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١) الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية :

اتجهت بعض الدراسات الحديثة في التفسير والبلاغة الى دراسة سور القرآن الكريم بمنهج جديد قائم على تناول السورة القرآنية في اطارها العام ، والنظر في موضوعها الرئيسي ، وهدفها الأساسي ، وكيف تكاملت وتلاحمت فيها الأساليب المتنوعة كلُّها لتلتقي عند هدف واحد ، وتعبّر عن موضوع رئيسي في وحدة متكاملة متجانسة • وقد استخدم لهذا المنهج مصطلح " الوحدة الموضوعية " ، وهو مصطلح معروف في الدراسات النقدية والأدبية •

وغاية مثل هذه الدراسات بالدرجة الأولى هي الوصول الى فهم صحيح وكامل لجوانب السورة جميعها ، واثبات أن السورة ـ مهما كان حجمها ـ تشكل وحدة متكاملة الأجزاء ، مترابطة الموضوعات ، " وأنّ كُلَّ آية فيها مناسبة ومرتبطة تماما مع سابقتها ولاحقتها ، حتى ترى السورة في سبيل تحقيق هدفها العام قد جمعت الآيات بحكمة كاجتماع الأعضاء المكوّنة لجسم الانسان أو الحيوان بمنتهى الدقة والحكمة والربط " (١). كذلك ترمي مثل هذه الدراسات الى تقويم منهج أغلب الدارسين القدامى (٢) ، الذي يعتمد في دراسته للنصوص القرآنية غالبا على تجزئة السورة ، " وتتبع الآيات القرآنية آية بعد آية بحسب ورودها في السورة ، وتتبع جمل كل آية ، وكلمات كل آية ، وأحيانا حروف كل آية ، ليدرس كلّ ذلك على نحو من التفصيل أو الاجمال " (٣) ، وهذا كلُّهُ قد لا يعطي صورة كاملة للسورة القرآنية ، ولا يظهر ترابط الأجزاء وتلاحمها حول موضوع السورة المعالج •

وتحاول هذه الدراسات أن تُفنّد خطأ المستشرقين وبعض علماء المسلمين الذين ينظرون الى السورة القرآنية مجزأة مفتتة ، ولا يرون فيها إلاّ أشتاتا من الأفكار المتنوعة ، والموضوعات المتعددة قد عولجت بطريقة غير منظمة ، حتىّ انعدم التجانس والربط الطبيعي بين المواد التي تناولتها (٤) ، وقد ظهر بعد الدراسة والتأمل أن للسورة

---

(١) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ـ محمد حجازي ـ ص ١١٢ ـ ط دار الكتب الحديثة ١٩٧٠ ـ القاهرة •

(٢) يستثنى من هذا كتاب " بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ـ للفيروز آبادى (ـ٨١٧هـ) تحقيق محمد علي النجار ـ ط المكتبة العلمية ، بيروت و "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" ـ للبقاعي (ـ٨٨٥هـ) ـ ط١ ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ مصر ١٩٧٢م •

(٣) المجتمع الاسلامي كما تنظمه سورة النساء ـ محمد المدني ـ ص ٦ ـ مطبعة مخيمر ـ مصر

(٤) مدخل الى القرآن الكريم ـ محمد عبد اللّه دراز ـ ص ١١٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ أيـة سـورة ـ فـي القرآن الكريم موضوعـا أساسيا تعالجه ، وأغراضـا كـبرى ترمي اليها ، وأنّهـا وحـدة متصلة يصعب فصـل بعضهـا عن بعض ٠

وهـذا يقـرر جانبـا آخـر من اعجاز هـذا القرآن العظيم الذى نـزل منجمـا في مـدة ثـلاث وعشرين سنة ، وقـد ارتبطت آياتـه بأسباب ومناسبات معروفـة ، وتشكلت سـوره من هـذه الآيـات ، حتى كملت وفـق هـذا التنسيق الذى حتمتـه أمـور توقيفيـة ٠

لقـد تحقق مـا كانت تهدف إلـيـه هـذه الدراسات ، " واتّضح أنّ هناك تخطيطـا حقيقيـا واضحا ومحـددا للسورة يتكون من ديباجـة وموضوع وخاتمـة ٠٠٠ ، ولا جـدال في أنّ طريقـة القـرآن هـذه ليسـت لهـا مثيـل على الاطلاق فـي أى كـتـاب فـي الأدب ، أوفـي أى مجـال آخـر يمكـن أن يكـون قـد تـمّ تأليفـه علىهـذا النحـو ، وإذا كانـت السـور القرآنيـة مـن نتـاج ظـيـروف النزول ، تكـون وحدتهـا المنطقيـة والأدبيـة معجـزة المعجـزات " (١) .

لقـد أثبتت هـذه الدراسـات أن مثـل هـذه الطريقـة في الدراسـة القرآنيـة أجـدى على الناس مـن تتبـع الجزئيـات فـي السـورة ، ذلك أنّهـا تـبرز عظمـة السـورة ، مجتمـة الملامح ، متلاحمـة الأجـزاء (٢) ، ومـن هنـا لا يتقدم الناظـر إلى البحث في الصلات الموضعيـة بين جـزء وجزء منـه ـ وهي تلك الصلات المبثوثـة فـي مثاني الآيـات ومطالعهـا ومقاطعهـا ـ إلّا بعـد أن يُحكم النظـرَ في السـورة كلّهـا باحصاء أجـزائها وضبـط مقاصدهـا على وجـه يكون معوانـا لـه على السـير في تلك التفاصيـل عن بيّنـة ، فقديمـا قـال الأئمـة : إنّ السورة مهمـا تـعـددت قضايـاها فهي كـلام واحـد يتعلق آخـره بأولـه ، وأولـه بآخـره ، ويترامى بجملتـه الى غـرض واحـد ، كمـا تتعلق الجمـل بعضهـا ببعض في القضيـة الواحـدة ، وإنّـه لا غنى لمتفهم نظـم السـورة عن استيفاء النظـر في جميعهـا ، كمـا لا غنى عن ذلك فـي أجـزاء القضيـة " (٣) .

وسـيراً على هـذا المنهج ، سنقدم دراسة اجمالية موضوعية لسورة "الفرقان" تمهّد للدراسـة التطبيقيـة البيانية لأساليب الاقناع فيها ، والهدف من هذه الدراسة هو الجمع بين التحليل الموضوعي والتحليـل البياني لتُفهم السورة كاملة ، والوقوف عند الموضوع الرئيسـي الذى تعالجـه ، والأغراض التي ترمي إليها ، مـع النظـر في الترابط والتجانس بين موضوعاتها لتؤلف وحدتها المنطقية والأدبيـة في تكامل وانسجام ، وتأتي بعـد ذلك دراسة تطبيقية لأساليب الاقناع فيها ، ثُـمّ نقف عنـد دراسة خصائـص التعبير فيهـا ، والتي أبرزت عناصر الكمـال في طريقة القرآن الاقناعيـة ٠

---

(١) نفسـه ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(٢) ينظر المجتمع الاسلامي كما تنظمه سورة النساء ـ محمد المدني ـ ص ٦ ، ٧

(٣) النبأ العظيم ـ عبد اللّـه دراز ـ ص ١٥٨ ـ ١٥٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(أ) بين يدى السورة :

سورة "الفرقان" مكية عند جمهور العلماء ، وعدد آياتها سبع وسبعون آية (١) ، سميت سورة "الفرقان" لأنّ في فاتحتها ذكر الفرقان ، قال تعالى : (تَبَارَكَ الذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً) (٢) ، والفرقان هو القرآن الكريم ، " ووجه التسمية واضح الدلالة ، فإن الكتاب ما نزل إلاّ للتفرقة بين الملتبسات ، وتمييز الحق من الباطل ليهلك من هلك على بيّنة ، ويحي من حيي على بيّنة ، فلا يكون لأحد على اللّه حجة " (٣) .

وقد نزلت سورة "الفرقان" في أعقاب رحلة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، وكان قد سافر إليها سنة عشر من بعثته ، فيكون نزول سورة "الفرقان" في السنة العاشرة من البعثة (٤)، وهي السنة التي تضرر فيها الرسول صلى الله عليه وسلم كثيراً ، وكانت فترة قاسية في مسيرة الدعوة الاسلامية ، فقد لاقى فيها النبي محمد صلى الله عليه وسلم شتى أنواع الأذى والقسوة والانكار من كفار قريش ، خاصة بعد وفاة عمه (أبى طالب)، وزوجه خديجة - (رضى الله عنها)، وتوالت الهجمات للقضاء على الدعوة بالسبل كلّها ، قال ابن إسحاق في سيرته : " ولما هلك أبوطالب ، نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبى طالب ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف يلتمس النصرة من "ثقيف" ، والمنعة بهم من قومه ... فلقي بالطائف أذى كثيرا " (٥) .

في هذه الظروف القاسية نزلت سورة "الفرقان" فكانت حنانا ورحمة من الله لنبيّه تمسح آلامه ، وتسرى عنه ، وتهوّن عليه مشقة ما يلقى من عنت القوم ، وسوء أدبهم ، وتطاولهم على الرسول الذى اختارته السماء ليحمل رسالة اللّه إلى الناس " (٦).

---

(١) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) القرطبي (-٦٧١هـ) - ج ١٣ - ص ١ - ط١ - دار الكتب المصرية ١٩٤٥م

(٢) سورة الفرقان ، الآية ١

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - ج ١٣ - ص ٣٢٩

(٤) ينظر النظم الفني في القرآن - عبد المتعال الصعيدى - ص ٢١٧ - المطبعة النموذجية - مصر

(٥) عن السيرة النبوية لابن هشام - ج ٢ - ص ٦٠ - ط دار احياء التراث العربي ، بيروت

(٦) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم - عبد اللّه شحاته - ص ٢٦١ ط٣ الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٦م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والسورة نفسها حافلة بتلك الهجمات العدائية التي تريد أن تعترض سبيل الدعوة، وبتلك الشبهات الجدلية التي تريد دحض الحق بأية وسيلة ، فكانت سورة "الفرقان" من نتاج هذه الظروف التي نزلت فيها تجادل بالحق لتقرير الرسالة ، وتثبيت الرسول وانزال المدد والعون اللازمين لهذا الرسول كي يكمل دعوته ٠

(ب) **موضوعات السورة :**

موضوع سورة "الفرقان" الرئيسي هو موضوع السور المكية جميعها ، العقيدة الصافية المُلَخَّصَة في معانيها الأساسية الثلاثة :

(١) توحيد الله سبحانه وتعالى ، ونفي الشرك عنه ، وبيان مظاهر قدرته وتصرّفه في الخلق والتكوين والانشاء ٠

(٢) تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه رسول من اللّه سبحانه ، وأن القرآن كلام اللّه المنزل عليه ، وأنه الحق الذى لا شبهة فيه ٠

(٣) اثبات البعث والجزاء يوم القيامة ، واقامة الأدلة على حدوث ذلك ، وأنه لا ريب فيه ٠

هذه هي المحاور الاساسية التي تدور عليها السورة الكريمة ، وقد جمعت كُلَّها في ديباجة السورة قال تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً) (١) .

ففي الآيتين تقرير لوحدانية الله تعالى ، واثبات للوحي المنزّل على الرسول الصادق، وانذار للناس جميعا من يوم القيامة ، وهي المعاني الرئيسية التي اشتمل عليها القرآن المكي، أما ما يُرى في السورة من معاني أخرى فراجعة إلى المعاني الأساسية ، ودائرة في فلكها، كالترغيب والترهيب ، وذكر الجنة والنار ، وضرب الأمثال بالأمم السابقة ، وسرد بعض قصصها بقدر ما يلتئم مع الجو العام للسورة ٠

ومعظم الموضوعات التي اشتملت عليها السورة (٢) تندرج تحت عنوان العقيدة، وهي متكاملة متجانسة يصعب فصل بعضها عن بعض ، غير أنّ موضوع الرسالة والرسول قد ظهر من بينها بشكل ملفت للنظر من دون أى تقصير في الموضوعات الأساسية الأخرى، ذلك أنّ من بين الأغراض الرئيسية للسورة ـ كما سيتبيّن ـ مجادلة خصوم الدعوة في هذا الموضوع بالذات ، لأنّ جدلهم كلّه ـ تقريبا ـ يدور حول هذا الموضوع ، فكانت غاية السورة الكريمة هي اثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يدعو اليه ، وتقديم الأدلة الواضحة على أنّ القرآن هو كلام اللّه المنزّل على نبيه صلى الله عليه وسلم ٠

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ١ ، ٢

(٢) ينظر بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ـ ج ١ ـ ص ٣٤٠ ـ ٣٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمجادلـــون بالباطل في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم يعرفون أنّ محمدا صلى الله عليه كـان قبـل البعثة وبعدهـا مثلا أعلى في الكمال الخَـلقي والخُلقي بشهادة كـل الذين عاشـروه [١] ، فقـد نجح بفضائلـه الاجتماعية في كسب حـب واعجاب كـل من عرفـه ، ولم يكن العصـر الذى عـاش فيـه ليمنحـه هـذا الأدب الرفيـع ،لولا عناية اللّـه التي لـم تفارقـه أبـدا ، وكـان على غـرار هـذا أميـا ليس لديـه مـن معرفـة البشـر سـوى مـا يمكن أن يمنحـه لـه وسطـه الذى ولـد فيه [٢].

أمـا رسالتـه التي من أجلهـا تغيّر حـب أكـثر النـاس لـه إلى عداوة ، فكانت دليل صدقـه المتواصل، وكانت بمظاهرهـا الثلاثـة الدينيـة والخُلقيـة والأدبيـة فـي غايـة الكمال والتجانس [٣] ، وهـي فـوق ذلك كلّـه تخاطبهم بلسـان عربي مبين ، وبأساليب معروفـة لديهم ، لتكون دليل صدق علـى مـرّ العصـور .

(ج) أغـــراض الســـورة :

غـرض سـورة "الفرقـان" الرئيسـي ترسـيخ العقيدة السليمة في النفوس، وقـد اقيمـت السـورة على دعائم العقيدة الثلاث : [٤]

١. اثبات أنّ القرآن الكريم منزّل من عنـد اللّـه ، والتنويـه بالرسـول المنزّل عليـه صلـى الله عليـه وسلم ، ودلائـل صدقـه ، ورفعة شأنـه عن أن تكون لـه حظـوظ الدنيـا ، وأنّـه على طريقة غـيره من الرسـل .

٢. اثبات البعث والجـزاء ، والانذار بالجـزاء في الآخـرة ، والتبشـير بالثواب فيهـا للصالحـين .

٣. الاستدلال على وحدانيـة اللّـه ، وتفرده بالخلق ، وتنزيهـه عن أن يكـون لـه ولـد أو شريـك ، وابطـال الهيـة الأصنـام .

وهـذه هـي أغراض السـور المكيـة جميعهـا ، غـير أن لكل سـورة شخصيـة مميّزة ، وأغـراضاً بـارزة محـددة ، قـد تكون مرتبطـة بظروف النـزول فسـورة " الفرقـان " قـد نزلت في فـترة صعبـة مـرت بهـا الرسالـة ، وكابـد فيها الرسـول صلى الله عليـه وسلم ظروفـا قاسيـة، ومن هنـا قصـدت السورة أولا : إلى ايناس الرسـول صلى الله عليـه وسلم ، وطمأنتـه وتقويـة عزيمتـه ، وهـو يواجـه مشـركي مكـة ، ثانيـا : مجادلـة خصـوم الرسالة بالحق لدحـض شبههـم ودعاويهم ، وتقديـم الأدلـة والبراهين على صـدق الرسالة والرسـول [٥].

---

(١) ينظر مدخل الى القرآن الكريم ـ عبـد اللّـه دراز ـ ص ٢٦ ، ٢٧

(٢) ينظر "الظاهرة القرآنية" ـ مالك بن نبي ـ ص ١٥١

(٣) ينظر مدخل الى القرآن الكريم ـ عبد اللّـه دراز ـ ص ٦٩ ـ ١٢٤

(٤) ينظر تفسير التحرير والتنوير ـ محمد الطاهر بن عاشور ـ ج ١٨ ـ ص ٣١٤ ـ ٣١٥ ط الدار التونسية للنشـر ١٩٨٤

(٥) ينظر في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ ج ٥ ـ ٢٥٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمتأمّل في سورة "الفرقان" يرى بجلاء ووضوح عناية السورة بالرسول صلى الله عليه وسلم، وكأنّها تريد أن تمسح آلامه، وتثبّت قلبه، ويستشف هذا من تلك الروح التي تسري في آياتها، قال تعالى: (وقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً وكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً وقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ و رَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) (١).

والسورة الكريمة معنية كذلك بتقرير صدق القرآن الكريم، ودفع الشبه كلّها عنه، واخبار الرسول صلى الله عليه وسلم أنّه وسيلته الفعالة في الدعوة، وأنّه الحق الذي ينتصر في نهاية المعركة، قال تعالى: (فَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً) (٢)، وقال قبل ذلك: (وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً) (٣)

ومن هنا يتضح أن مدار هذه السورة على كون القرآن الكريم المنّزل من اللّه سبحانه هو الحق الذي لا ريب فيه، وأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم هو الصادق المبعوث إلى الناس كافة، ولذلك جاء في مقدمة السورة قوله تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلعَالَمِينَ نَذِيراً) (٤)

---

(١) سورة الفرقان الآية ٣٠ ـ ٣٢
(٢) سورة الفرقان الآية ٥٢
(٣) سورة الفرقان الآية ٣٣
(٤) سورة الفرقان الآية ١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(د) نظـام الوحـدة الموضوعـيـة في السـورة :

إنّ القارىء لسـورة "الفرقـان" يـرى بوضوح أنّهـا من السـور المكيـة التي لا يزيـد عدد آياتهـا على سبع وسبعين آيـة ، وهي على العموم من السـور المتوسطة من حيث الحجم والمساحة، وأنّهـا تشتمل على موضـوعات كثـيرة ، وتمتـاز بخصائص السـور المكيـة مـن حيث القضايـا المعروضـة، وأساليب العرض ، وطـرق الخطاب وغـيرها ، أمـا المتدّبـر في نظـام تكوينهـا الكلي فيـدرك أن السـورة تؤلف وحـدة كاملة متصلـة ، وأن معانيهـا جميعهـا تلتقي عنـد هدف واحد ، وأنّ هناك تخطيطـا واضحـا لها يتكون من مقدمـة ، وثلاثـة مقاصـد ، وخاتمـة على هذا الترتيـب :

١ ـ المقدمـة : في تمجيـد وتعظيـم اللّـه تعالى مـنزّل القرآن العظيم على عبـده محمـد صلى الله عليـه وسلـم ليكون رسـولا للنّاس كافـة ٠

٢ ـ المقصـد الأول : فـي بيـان مصـدر الرسالة ، وصـدق الرسـول صلى الله عليـه وسلـم، وهـو الموضـوع الرئيسـي في السـورة ٠

٣ ـ المقصـد الثاني : فـي اثبـات البعـث والجـزاء يـوم القيامـة ٠

٤ ـ القصـد الثالـث : في الاستدلال على وحدانيـة اللّـه ، وبيـان مظاهـر قدرتـه المطلقـة في الكون ٠

٥ ـ الخاتمـة : في التعريف بالذين استجابـوا لهذه الرسالة الشاملة لتلك المقاصـد ٠

وفـق هـذا التخطيـط تشكل النظام الكلي للسورة في جملتهـا ، والتفت كـلّ معانيهـا حول محورهـا الأساسي ـ تـنزيل القرآن العظيم على الرسـول الكريـم ـ وظهـرت السـورة بعـد التأمـل في اطارهـا العام محكمـة التنسيق ، مجتمعـة الملامح ، كاملـة التأليف ، وهـذا مـا سيتبين على نحو مـن التفصيـل ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ ـ المقدمة ، (في آيتين : ١ ـ ٢) : ـ

وفيها براعة استهلال بأغراض السورة جميعها ، لاشتمالها على ذكر صفات الوحدانية لمنزّل القرآن الكريم ، وعلى ذكر شرف المُنزَّل والمُنزَّل عليه ، مع بيان الغاية من التنزيل ، قال تعالى : (تَبَارَكَ الذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً الذِي لَهُ مُلْكُ السَمواتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ ولداً وَلَمْ يَكُن لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً) (١)

وفي المقدمة أيضا من عناصر التشويق التي تهيء النفوس لما سيتم عرضه من قضايا وحقائق ، فقد ابتدئت (بتَبَارَكَ) ، وهو افتتاح بديع لندرة أمثاله في كلام العرب (٢) ، ثمّ جمعت بايجاز محاور العقيدة الأساسية المُلخصة في التوحيد المطلق ، وصدق الرسالة ، والتخويف من الآخرة ، وذكر أولا تنزيل القرآن العظيم من اللّه الكريم وهو الأصل ليجعل النفوس تتشوف لمعرفة الغاية من هذا التنزيل ، ومعرفة صفات المُنزّل ، فأخبر بالغاية وهي انذار البشرية جمعاء ، وأتبع ذلك بتقرير صفات الألوهية المطلقة للاله القادر على تنزيل القرآن الكريم .

وهذه المقدمة هي بمثابة الدليل الأساسي الذي بُنِيَ عليه جدل السورة كلّها ، وما سيتم عرضه في السورة من أدلة وبراهين على حقائق الرسالة تندرج كلّها تحت هذا الدليل الأساسي ، ومن هنا ترى القرآن الكريم قد عدل في المقدمة عن لفظ " القرآن " أو غيره من الأسماء التي يُسمى بها ، وذكر لفظ " الفرقان " في هذا المقام بالذات " بالايماء أنّ ما سيذكر من الدلائل على الوحدانية ، وانزال القرآن دلائل قيّمة تُفرق بين الحق والباطل "(٣) ، وللاشارة إلى أنّ القرآن نفسه هو الذي سيحسم معركة الجدل الطويلة لصالحه ، " فما تقابل حق وباطل ، وما تعالجت حجة وشبهة إلاّ وفي هذا الكتاب الحكيم ما يفرق بينهما " (٤).

وكلمة "الفرقان" تستعمل غالبا في المواطن التي حسم فيها الصراع أيا كان نوعه ، ولذلك ترى القرآن قد استعملها للدلالة على موقعة بدر الكبرى قال تعالى : (وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٥)،

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ١ ـ ٢

(٢) تفسير التحرير والتنوير ـ محمد الطاهر بن عاشور ـ ج ١٨ ـ ص ٣١٥

(٣) نفسه ـ ج ١٨ ـ ص ٣١٧

(٤) تفسير ابن باديس ـ عبد الحميد بن باديس ـ ص ٢٤٨ ـ جمع وترتيب محمد الصالح رمضان وتوفيق شاهين ـ ط دار الفكر (بيروت) .

(٥) سورة الانفال ، الآية ٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهـذا من باب دقـة ووضوح الكلمـات القرآنيـة ودلالتهـا على معانيهـا القريبـة والبعيـدة دون تقصـير أو غموض ٠

وبهذا الاخبار الاجمالي في مقدمـة السـورة أصبح واضحا في خيـال المخاطب محـور السـورة الرئيسـي ، وهـو مستعـد أتـمّ الاستعداد لتلقي عناصـر الموضوع بشوق وتلهف ٠

(ب) **المقصـد الأول : (من الآيـة ٣ ـ ٢٠) : ـ**

فـي هـذه الآيـات جـدل مع خصوم الدعوة الجديـدة في موضوع السورة الرئيسي ـ تنزيـل القرآن الكريـم مـن اللّه سبحانـه ، وصـدق الرسـول صلى الله عليـه وسلم في دعوتـه ـ وليسـت الغايـة من هـذا الجدل هي افحـام الخصـوم والزامهم بالحجـة فحسب ، بـل تقريـر حقائق الديـن ، وتثبيتهـا بعمق في النفوس ، وكـان ابتـداءُ هـذا الشـوط بقولـه تعالى : (واتَّخَذُوا مِـنْ دُونِـهِ ءَالِهَـةً لاَ يَخْلُقُـونَ شَيْئـاً وَهُم يُخْلَـقُـوَن وَلاَ يَمْلِكُـوَن مَوْتـاً وَلاَ حَـيـوٰةً وَلاَ نُشُـوراً) (١) وهـو استطراد لوصف ضلال أهـل الشرك وسفاهـة تفكيرهم (٢) ، وأنّهم اتخذوا الآلهـة الموصوفـة بالعجـز ، وتركـوا الالـه المنعوت بصفات الكمال والجلال ، وهـذا كلّـه دليل على اعوجـاج فكـر ، وضعف بصـيرة ، ولا عجب أن تصـدر منهم تلك الدعاوى الباطلة ٠

وفي هـذه الآيـات يقابل الجـدل بالحق الجـدلَ بالباطل ، وتأتـي بعـد الدعاوى الكاذبـة الأجوبـة الصادقـة ، وذكـرُ شبـه الخصوم هـو من باب الانصاف فـي الحكم ، ليكون الاستدلال أقـوى ، والاقناع أوجـب ٠ وتتلخص شبـه الكفـار فـي نقطـتين :

(أ) الاعتراض على القرآن الكريم ، والقول بأنّـه كلام مفـترى مزور ، وأنّـه من جملـة الأساطـير والقصـص القديمـة ٠

(ب) إنّ الرسول كـاذب فيمـا يقول ، لقيامـه بعملية التزويـر والافتراء بمساعدة غـيره من العارفين ، كمـا أن صفاتـه البشرية لا تؤهلـه لمنصب الرسالة ٠

أمـا جـدل القرآن بـالحق فيتلخص فيمـا يلي :

(أ) أقاويـل الخصوم الكاذبـة ظلم وزور ، قـال تعالى : (انْظُـرْ كَيْفَ ضَـرَبُـوا لَـكَ الأَمْثَـالَ فَضَـلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُـوَن سَبِيـلاً) (٣) .

(ب) مصـدر القرآن الكريـم هـو اللّـه العالـم القادر ٠

(جـ) الرسـول صلى الله عليه وسلم ليس بدعـاً من الرسل ، وهو بشـر مرسل الى جنسـه من البشـر ٠

(د) البعث والجـزاء يـوم القيامـة حـق لا ريب فيـه ٠

---

(١) سـورة الفرقـان ، الآيـة ٣

(٢) تفسير التحرير والتنوير ، ج ١٨ ـ ص ٣١٩

(٣) سـورة الفرقـان ، الآيـة ٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجدل القرآن الكريم في هذا الشوط متلاحم الأجزاء ، وهو لاثبات صدق الرسالة والرسول ، وقد جاء متجانسا مع مقدمة السورة التي اشتملت في جملتها على تقرير تنزيل القرآن من اللّه تعالى ليكون نذيرا للناس كافة .

(ج) **المقصد الثاني : (من الآية : ٢١ ـ ٢٩) :**

في اثبات البعث والجزاء ، وتخويف الكفار بالآخرة وبسوء عاقبتهم فيها بعدما أعرضوا في هذه الدنيا عن الحق ، وانكروا رسالة اللّه ، وجاء هذا الحديث رداً على شبهة جدلية من شبهات الكفار طالبين فيها نزول الملائكة ، أو رؤية اللّه لكي يصدّقوا الرسول صلى اللّه عليه وسلم ، قال تعالى : (وقَالَ الذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْنَا المَلاَئِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا في أَنْفُسِهِم وَعَتَوا عُتُوّاً كَبِيراً) (١) " لقد اقترحوا في دعواهم أن ينزّل اللّه عليهم الملائكة ، فتخبرهم بأن محمداً صادق حتى يصدقوه ، أو يروا اللّه جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه " (٢)

وحَسُنَ الوصفُ في قوله تعالى (الذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) (٣) لمناسبته مقام الحديث ، وهو عرض بعض المشاهد ليوم القيامة تبيّن سوء العاقبة التي تنتظر الكفار في ذلك اليوم الرهيب ، قال تعالى : (يَوْمَ يَرَوْنَ المَلاَئِكَةَ لاَ بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ويقولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً) (٤).

وفي هذا اليوم يتمنى هؤلاء المجادلون لو أنّهم صدّقوا رسولهم ، واتبعوه ، قال تعالى : (ويَوْمَ يَعَضُ الظَالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً) (٥) .

ولا تخرج هذه المشاهد ليوم القيامة عن موضوع السورة الرئيسي ، لأن انكار البعث وللجزاء هو من جملة الأسباب في انكار الرسالة ، وتكذيب الرسول ، ولذلك قرّر القرآن الكريم هنا البعث والجزاء ، وأثبت أنّه محور أساسي من محاور الرسالة . وكانت له طريقته الخاصة في عرض تلك المشاهد ، واتبع أسلوبا تصويريا جميلا ، لبعث الحركة والحياة في المشاهد ، وحين يضيف إليها الحوار تكتمل الصورة وتنسجم .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٢١
(٢) الكشاف ، ج ٣ ـ ص ٢٧٢
(٣) سورة الفرقان ، الآية ٢١
(٤) سورة الفرقان ، الآية ٢٢
(٥) سورة الفرقان ، الآية ٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عـــوء على بـــدء (من الآيـــة ٣٠ ـ ٤٤) :

عـــاد الكلام إلى المقصـــد الأول ، ليجادل عن القرآن الكريم ، ويُثبّت قلب الرسول صلى اللـــه عليـــه وسلم ، بعدمـــا نطق الكفار بشبهة خامسة وهي قولهم (لَوْلَا نُـــزِّلَ عَلَيْـــهِ الْقُرآنُ جُمْلَـــــــةً وَاحِـــدَةً) (١)

وجاءت هـــذه العودة لبيـــان مقصديـــن :

١ ـ بيـــان الغايـــة من انـــزال القرآن الكريـــم منجمـــا ، وهي في قولـــه تعالى : (كَذَلِـــكَ لِنُثَبِّتَ بِـــهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْـــنَـــاهُ تَرْتِيلاً) (٢)

٢ ـ تسلية قلب الرسول صلى الله عليه وسلم وطمأنتـــه بأنّ جـــدل القرآن الكريـــم هـــو الحـــق الذي سيدحـــض أباطيـــل الخصوم جميعـــا ، قال تعالى : (وَلَا يَأْتُونَـــكَ بِمَثَـــلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِـــيراً) (٣) ، وأنه انما يلاقي من متاعب يســـير على سنن اخوانـــه من الرســـل الذيـــن كُذِّبـــوا وأوذوا حتى جاءهـــم نصـــر اللّـــه ، قال تعالى : (وكَـــذَلِكَ جَعَلْـــنَـــا لِكُلِّ نَـــبِيٍّ عَـــدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِـــينَ وكَفَى بِرَبِّـــكَ هَادِيـــاً وَنَصِـــيراً) (٤)

(د) **المقصـــد الثالـــث (من الآيـــة ٤٥ ـ ٦٢) :**

وهـــو في الاستدلال على وحدانيـــة اللّـــه المتصف بصفات العظمـــة والكبريـــاء ، وعـــــرض مظاهـــر قدرتـــه المطلقة في نظـــام هـــذا الكون ، وابـــداع صنعتـــه ، ودقـــة ناموســـه (٥) . ويبـــدأ بقولـــه تعالى : (أَلَـــمْ تَـــرَ إِلَى رَبِّـــكَ كَيْفَ مَـــدَّ الظِّـــلَّ وَلَوْ شَـــاءَ لَجَعَلَـــهُ سَاكِناً ثُـــمَّ جَعَلْنَا الشَّمْـــسَ عَلَيْـــهِ دَلِـــيلاً) (٦)

ثم عرضت مظاهر القدرة الالهيـــة في مـــدّ الظـــل ، وتعاقب الليـــل والنهـــار ، وفي ارســـال الريـــاح المبشـــرة بنزول المطـــر ، وفي ارسال البحريـــن في مجاريهمـــا وجعل ذلك الحاجـــز بينهمـــا ، وفي خلـــق الانســـان من المـــاء ، وفي خلق هـــذا الكون البديـــع بكاملـــه ، ومع هذا يعبـــدون من دون اللـــه مـــالا ينفـــع ولا يضـــر ، وينكـــرون رســـالات اللّـــه ويُكذّبون أنبيـــاءه .

---

(١) ســـورة الفرقان ، الآيـــة ٣٢

(٢) ســـورة الفرقان ، الآيـــة ٣٢

(٣) ســـورة الفرقان ، الآيـــة ٣٣

(٤) ســـورة الفرقان ، الآيـــة ٣١

(٥) ينظر أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم ـ عبد الله شحاته ـ ص ٢٦٤

(٦) ســـورة الفرقان ، الآيـــة ٤٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتخلل هذا العرض لمظاهر القدرة الالهية اشارات الى موضوع السورة الرئيسي- تنزيل القرآن الكريم - ويُلمس ذلك في قوله تعالى : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً) (١)، وجاءت الآية عقب الحديث عن انزال المطر المُحيي ، وكأنّ القرآن قد نزل أيضا لاحياء القلوب . وفي معرض تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم يقول تعالى : (فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً) (٢)

وتقرير الوحدانية لله تعالى ببيان مظاهر القدرة والعظمة في الكون هو من المحاور الأساسية في القضية التي تعالجها السورة الكريمة ، لأن معرفة الاله المتفرّد القادر حق المعرفة ، تقتضي التصديق برسالته ، والاذعان لمنهجه .

(هـ) الخاتمة (من الآية ٦٣ - ٧٧) :

وهي في التعريف بالذين استجابوا لهذه الرسالة ، وطبقوا تلك المقاصد ، وتبدأ بقوله تعالى : (وعِبَادُ الرَّحْمَنِ الذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وإِذَا خَاطَبَهُم الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَماً (٣) . ثم تحدثت الآيات عن صفات عباد الرحمن المتميّزة ، ومقوماتهم الخاصة ، وقيمهم الدينية والخلقية التي أفرزتها عقيدتهم السليمة المرتبطة بمنهج الرسالة ، وكأنّ هؤلاء العباد الذين نسبهم الله لنفسه " هم خلاصةُ البشرية في نهاية المعركة الطويلة بين الهدى والظلال ... وكأنّما هم الثمرة الجنية لذلك الجهاد الشاق الطويل " (٤).

والمتأمّل في هذه الخاتمة التي قد تبدو أن لا علاقة لها بموضوع السورة المتناسق يدرك أنّها من صميم الموضوع ، وأنّها متماسكة ومتناسقة تماما مع الجو العام للسورة ، ذلك أنّ صفات عباد الرحمن المذكورة هي في جملتها نتاج هذه الرسالة ، وثمرتها المرجوة ، ومن هنا جاء في صفاتهم قوله تعالى : (والذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِم لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً) (٥)، وكان قد ذكر قبل ذلك في جدل السورة وصفا لخصوم الرسالة ، فقال تعالى : (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً) (٦)

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٥٠
(٢) سورة الفرقان ، الآية ٥٢
(٣) سورة الفرقان ، الآية ٦٣
(٤) ينظر في ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٥ - ص ٢٥٧٧
(٥) سورة الفرقان ، الآية ٧٣
(٦) سورة الفرقان ، الآية ٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتغريق بين الطائفتين هو ما تهدف إليه السورة في نهاية المطاف ، ولهذا ختمت الآيات بكلمة جامعة لأغراض الدين ، قال تعالى : (قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً) (١)

والخطاب في الآية الى الناس جميعا ، للتأكيد على أنّ العبادة هي أساس الرسالة، وأن التكذيب بها يقود الى العذاب الأليم في النار (٢).

" إنّ نظم سورة الفرقان صنعته لبناته المتسقة ، فبدا مُحكم النسج ، قوى النسق، وقد قام نظم السورة على هذه اللبنات المتلائمة التي صنعت بناءها ، وصاغت وحدتها ، وقد تكونت من مقدمة ، وثلاثة مقاصد وخاتمة " (٣) ، وقد شملت المقدمة بايجاز تنزيل الفرقان من اللّه المنّان ، وكانت مقاصد السورة تقريرا لمصداقية الفرقان ، وتثبيتا لقلب صاحب القرآن ، وجاءت الخاتمة بثمار هذا الفرقان ، وليبقى منهجاً للناس كافة ، ومُصدّقاً لقوله تعالى : (تَبَارَكَ الذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً) (٤)

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٧٧

(٢) ينظر الكشاف : ج ٣ ـ ص ٢٩٧

(٣) مع بلاغة القرآن (تفسير بياني لسورتي الأنفال والفرقان) ـ عبد الحميد العبيسي ـ القسم الثاني ـ ص٥ ط١ عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ١٩٧٤

(٤) سورة الفرقان ، الآية ١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢) التطبيق على الأساليب (أ)
(أسلوب الجدل)

تضمنت سورة "الفرقان" جدلا عنيفا بين الحق والباطل ، وأهل هذا وذاك ، وقد بدا واضحا من دلالة اسمها أنّها فرقان بين هذين المتنازعين ، وقول فصل فيما اختلفت فيه عقائد المتجادلّين ٠

وقد عرضت السورة الكريمة في جانب منها جدلا لخصوم الدعوة ، تضمن خصومة ونقداً شديدين لرسالة اللّه المنزّلة على محمد صلى الله عليه وسلم بلغا إلى حد اللّدد في المعارضة ، وقد ذكر اللّه سبحانه ذلك بقوله : (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً) (١)

وساقت في الجانب الآخر جدلا بالحق ، قوى البرهان ، واضح الحجة ، غايته أولا : الرد على أية شبهة ، ودحض أية دعوى ، بغية افحام الخصوم والزامهم بالحق ٠ ثانيا : تقرير الحقائق الالهية فياضة بالأدلة ، عامرة بالاقناع ،كي تجد سبيلها الى عقول وقلوب الناس جميعا، وقد سمى اللّه سبحانه هذا الجدل حقا ، فقال : (ولاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاّ جِئْنَاكَ بِالحَقّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً) (٢)

وهذا الجدل يلبي حاجة الدعوة الجديدة إلى اقناع الناس جميعا وعلى اختلاف مشاربهم، وتعاقب أجيالهم ،بأسس العقائد ، ودعائم الشرائع ، ولذلك جاء جدل السورة متميّزاً في بلاغة معانيه ، وطرق عرضه ، وهو ما سيتبين في التطبيق على الآيات الكريمة ٠

قال تعالى : (وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاّ افْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُا ظُلْماً وَزُوراً ، وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً قُلْ أَنْزَلَهُ الذِي يَعْلَمُ السِرَّ فِي السَمَواتِ والأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً) (٣)

موضوع الجدل في هذه الآيات هو مصدر القرآن الكريم المُنزّل على محمد صلى الله عليه وسلم ، والمتجادلان هما خصوم الدعوة من قريش وقد وُصفوا في الآيات بالذين كفروا ، والقرآن نفسه الذي يُوجّه خطابه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كي يقوم بمهمة الرد ، وغاية الجدل اقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين ٠

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٩
(٢) سورة الفرقان ، الآية ٣٣
(٣) سورة الفرقان ، الآية ٤ ـ ٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن باب التأدب في المجادلة ، والانصاف في الحكم ، أوردت الآيات أقاويل الكفار وأثبتتها ، على الرغم من أنّها تُنكر المُنزّل والمنزّل عليه ، فقد قال الكفار عن القرآن الكريم إنّه كذب وافك ، وإنّه أساطير قديمة قد افتراها الذى ادعى النبوة ثم نسبها إلى اللّه سبحانه ، وقد تلقى الاعانة ممن لهم علم بالكتب السماوية السابقة ، وبهذه الحجة لا يمكن التصديق بأنّه كلام اللّه المنزّل .

يسوق القرآن الكريم جوابه بايجاز بليغ ، دون الاكثار من النقاش فيرد عليهم أولا : بأنّ أقاويلهم كلّها ظلم وزور ، وثانيا : بأنّ القرآن الكريم يمليه على محمد صلى الله عليه وسلم الذى يعلم الأسرار جميعا . لكن هل يكفى هذا اللفظ القليل أن يكون دالا على المعنى كاملا ، وأن يكون دليلا قويا على صدق القرآن الكريم ، وصدق محمد صلى الله عليه وسلم ، يقول الفخر الرازى (ـ٦٠٦هـ) : " إنّ هذا القدر يكفي جوابا عن الشبهه المذكورة ، لأنّه قد علم كل عاقل أنّه عليه السلام تحداهم بالقرآن ، وهم النهاية في الفصاحة ، وقد بلغوا في الحرص على ابطال أمره كلّ غاية ، حتى أخرجهم ذلك الى ما وصفوه به في هذه الآيات ، ولو أمكنهم أن يعارضوه لفعلوا ... ولو استعان محمد عليه السلام ـ في ذلك بغيره لأمكنهم أيضا أن يستعينوا بغيرهم " (١).

هذا من حيث المعنى بعامة ، أما من حيث طريقة العرض ، وبلاغة الأسلوب فيمكن أن نستنتج أولا : أن القرآن الكريم يصوغ جدله في أسلوب متميّز ، لا يجرى على ما تعارف عليه الناس في جدلهم ، وأساليب اقناعهم ، وأدلته تخاطب العقل والوجدان ، وهي أقرب الى البداهة والحس ، وتأتي على قدر ملكات النفوس جميعها . فمثلا في قوله تعالى : (فَقَدْ جَاؤُا ظُلْماً وَزُوراً)(٢) ، وقوله أيضا : (قُلْ أَنْزَلَهُ الذِى يَعْلَمُ السِّرَ فِي السَّمواتِ والأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً) (٣) دليلان واضحان من غير تعقيد كلامي ، أو جدل عقلي ، وهما أقرب إلى البداهة منها إلى العقل ، لأن الخطاب موّجه إلى كل منافذ النفس كي تأخذ نصيبها من الاقناع والتأثير ، فللعقل نصيبه ما دام أنّ الكفار أنفسهم يعرفون اللّه بصفاته ، ويعرفون محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بخصاله ، ويعرفون القرآن الكريم بسحره واعجازه ، ومن هنا ناسب خطاب العقل بأن يُرد الظلم العقائدى على أهله ، وأن يُقرر تنزيل القرآن الكريم من اللّه العليم .

أما جانب الوجدان فيتجلى في الجمال الفني للتعبير ، الذى يحرك العواطف ويستميل القلوب ، كما أنّ دلالة بعض العبارات على معاني الرهبة والرغبة ، أو التهويل والتعظيم من شأنها أن تهز الوجدان ، مثل قوله تعالى في الفاصلتين (فَقَدْ جَاؤُا ظُلْماً وَزُوراً) (٢) بالتأكيد والتنكير لافادة معنى التهويل والتفظيع (٤) ، وقوله أيضا : (إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً) (٣) بالتأكيد على معنى الترغيب الذى من شأنه أن يعيد النفس الى فطرتها السليمة .

---

(١) تفسير الفخر الرازى ـ ج ٢٤ ـ ص ٥٠

(٢) سورة الفرقان ، الآية ٤

(٣) سورة الفرقان ، الآية ٦

(٤) مع بلاغة القرآن ـ عبد الحميد العبسي ـ القسم ٢ ـ ص ٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا : تختار الآيات الكريمة أسلوبا أدبيا للتعبير عن المعاني الذهنية حتّى في مواطن الجدل والبرهنة ، والجدل في عرف علماء الكلام والمناطقة وغيرهم يعتمد على التقسيمات العقلية ، والأدلة البرهانية والجدلية وغيرها ، والمقدمات والنتائج ، وما إلى ذلك من طرق البرهان ، لكنّ الجدل القرآني له طابعه الخاص في اختيار الأسلوب البديع ، والألفاظ المعبّرة ، والعبارات المصوّرة للحالات النفسية ، والتي تُبرز الكلام في ثوب جميل ليكون أقرب الى امتاع واقناع النفوس .

فمثلا للتعبير عن معنى انكار الكفار الشديد للقرآن الكريم تستعمل الآيات كلمة (هذا) وهي كلمة مشحونة بالاحتقار والازدراء ، وتحط من رتبة المشار إليه ، أي ما هذا إلّا كذب مصروف عن وجهه [١] ، وفي التعبير عن كيفية الاعانة التي تلقاها الرسول صلى الله عليه وسلم استعملت عبارة (اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وأَصِيلاً) [٢] ففي هذه الكلمات القلائل ، تعبير قوى مصور لحالة محمد صلى الله عليه وسلم - وهو يكابد عناء كتابة الآيات وحفظها ، مختارٌ له أفضل الألفاظ المعبرة ، مثل (اكْتَتَبَها) ، وَ (تُمْلَى) ، و (بُكْرَةً وأصيلا)، وكلها تدل على المجاهدة مع الدوام والاستمرار .

وذكر القرطبي - رحمه الله - (-٦٧١هـ) نكتة في استعمال كلمة (السر) في الدليل القرآني (قُلْ أَنْزَلَهُ الذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) [٣] فقال : " ذكر السر دون الجهر لأنّه من علم السر فهو في الجهر أعلم ، ولو كان القرآن مأخوذا من أهل الكتاب وغيرهم لما زاد عليها ، وقد جاء بفنون تخرج عنها ، فليس مأخوذا منها ، وأيضاً لو كان مأخوذا من هؤلاء لتمكن المشركون منه أيضاً كما تمكّن محمد صلى الله عليه وسلم "[٤] .

وقال تعالى : (وقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فيكونَ مَعَهُ نَذِيراً أَوْيُلقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْتَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يأكُلُ مِنْهَا وقَالَ الظالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاّ رَجُلاً مَسْحُوراً أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لك الأمثَالَ فضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً تبارَكَ الذى إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذَلِكَ جَنَاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَكَ قُصُوراً) [٥]

---

(١) ينظر مع بلاغة القرآن (تفسير بياني لسورتي الأنفال والفرقان) - عبد الحميد العبيسي - ص ٢٢
(٢) سورة الفرقان ، الآية ٥
(٣) سورة الفرقان ، الآية ٦
(٤) تفسير القرطبي - ج ١٣ - ص ٤
(٥) سورة الفرقان ، الآية ٧ - ١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يدور الجدل في هذه الآيات الكريمة حول شخصية الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - فقد أنكر خصوم الرسالة بشرية رسولهم ، " وعيّروه بأكل الطعام ، لأنّهم أرادوا أن يكون الرسول ملكا ، وعيّروه بالمشي في الأسواق حين رأوا الأكاسرة والقياصرة والملوك الجبابرة يترفعون عن الأسواق ، وكان عليه السلام يخالطهم في أسواقهم ، ويأمرهم وينهاهم " (١) ، واقترحوا بعض الأمور الحسية مثل انزال المَلَك ، أو القاء الكنز ، أوكسب الجنّة ، لتكون دليلا على صدق رسالته • ثم عادوا إلى القول بأنّه رجل مسحور •

وجاء جواب القرآن الكريم عن هذا الجدل ليُركز أولاً على دحض شبه الكفار ، وهدم أقاويلهم المتناقضة غير المستقرة على رأى ، فقال تعالى : (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً) (٢) ، إنّهم " لا يستطيعون سبيلا إلى حجة أو برهان على ما يقولون ، فمرة يقولون بليغ فصيح يتقول القرآن من نفسه ويفتريه ، ومرة مجنون ، ومرة ساحر ، ومرة مسحور " (٣) ، وعدم الاستقرار على رأى أو دليل ، يدل على اعوجاج في الفكر ، واضطراب في البصيرة ، كما يدل على التكلّف في المُحَاجة ، والتناقض في الجدل • ومن هنا سعت الآيات اولا الى هدم أقاويل الخصوم لبناء صرح الحق على أنقاضها • وثانيا : تقرير النعيم الالهي الذى ينتظر رسوله يوم القيامة ، في هذا رد على مقترحات الكفار الباطلة ، قال تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً) (٤) وثالثا : الاحتكام الى التاريخ للاستدلال على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، فعادة الرسل أن يكونوا بشرا وليس محمد بدعا في هذا ، قال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ) (٥) ، فمقصد الآية تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتقوية عزيمته أمام ما يلاقيه من انكار وجحود ، وقد تأخر هذا الدليل بعد مجموعة من الآيات التي سيقت للوعيد والترهيب ، وذلك أن سبب انكار الرسالة والرسول هو التكذيب بالآخرة ، وقد قال تعالى : (بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً) (٦) .

هذا من حيث المعاني التي اشتمل عليها الجدل بعامة ، أما من حيث طريقة العرض ، وبلاغة التعبير فيلاحظ أولا : أنّ الآيات قد سيقت لاقناع الناس جميعا ، وجاءت لتشبع العقل والعاطفة ، ولهذه الغاية يُختار الدليل المناسب ، وطريقة التعبير عنه ، حتى يأتي على قدر حاجة النفوس للاقناع والامتاع ، ومن هنا سيقت أدلة القرآن الكريم بدقة ووضوح ، بعيدة عن أى تعقيد

---

(١) تفسير القرطبي - ج ١٣ - ص ٥
(٢) سورة الفرقان ، الآية ٩
(٣) تفسير البحر المحيط - ج ٦ - ص ٤٨٣
(٤) سورة الفرقان ، الآية ١٠
(٥) سورة الفرقان ، الآية ٢٠
(٦) سورة الفرقان ، الآية ١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو غموض ، ولم تكن مادتها تلك التقسيمات المنطقية الجافة ، بل كانت الحقائق البديهية الخالدة التي تتفتح لها القلوب السليمة ، وتدركها البصائر المستقيمة ، فمثلا في قوله تعالى : (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لك الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً) (١) رَدٌّ بديع يدحض الدعاوى والشبة كلّها ، لأنّ مثل هذه الأقاويل المتناقضة تدل على ضلال الفكر ، وقصور النظر ، وأصحابها لا يعرفون للاحتجاج سبيلا ، " ذلك أنّ تميّز الرسل عمن عداهم ليس بأمور جسمانية ، وإنّما هو بأمور نفسانية " (٢)

وفي قوله (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُم لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ) (٣) دليل واضح يحمل حقيقة بديهية لا تختلف في صحتها العقول السليمة، والبصائر المستنيرة .

ثانيا : إنّ الجمال الفني سمة للأسلوب القرآني في تعبيره عن أيّة قضية ، وهذا ما يظهر في الآيات الكريمة التي تسوق معانيها في تسلسل منطقي محكم النظم ، وتختار للتعبير عنها كلمات مصورة، وعبارات موجزة . فمثلا في التعبير عن مقولة الكفار المتعلقة بالرسول صلى الله عليه وسلم الذى أنزل عليه القرآن الكريم ـ قال تعالى : (وقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ) (٤)

فهذه الكلمات القلائل مصوّرة لحالة نفوس الكفار المشحونة بكره وازدراء الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالتعبير بالاستفهام مفيد لمعاني الانكار والتعجب والاستبعاد ، والتعبير بـ " هذا " التي يشار بها للقريب دون التصريح باسمه (صلى الله عليه وسلم) دلالة على فرط كراهتهم له ، حتى إنّهم لا ينطقون باسمه (صلى الله عليه وسلم) مشيرين إليه بـ " هذا " لقصد تحقير المشار إليه بالقرب ، والتعبير بـ " الرسول " تعبير عن مدى استهانتهم ، واستخفافهم ، ومنتهى تهكمهم به (صلى الله عليه وسلم) (٥) .

ثالثا : سمة التعبير في الآيات الايجاز البديع ، وبه يحسن الكلام البليغ وبه تندرج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل ، وبهذا يتميز الجدل القرآني بايجازه وبلاغته وتفرد طريقة تعبيره .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٩

(٢) تفسير أبى السعود ـ ج ٦ ـ ص ٢٠٤

(٣) سورة الفرقان ، الآية ٢٠

(٤) سورة الفرقان ، الآية ٧

(٥) ينظر مع بلاغة القرآن ـ عبد الحميد العبيسي ـ ق ٢ ـ ص ٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلاَئِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا ، لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً ، يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلاَئِكَةَ لاَ بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً) (١) .

تورد هذه الآيات شبهة أخرى لأعداء الرسالة ، " اقترحوا فيها من الآيات أن يُنزّل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بأنّ محمدا صادق حتى يصدّقوه ، أو يروا اللّه جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه " (٢) . وكأنّهم لم يجدوا فيما اقترحوه من قبل مقنعاً لهم للتصديق والايمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، فطلبوا رؤية اللّه أو الملائكة تعنتا وتعجيزا .

وقد رد القرآن الكريم على هذا الجدل الذى لا يقوم على حجة أو برهان ، والذى أريد به المماراة والغلبة ، فكشف ما في داخل نفوس المجادلين من تكبر وجحود ، " وسجل عليهم مطلبهم الأول ، وهو نزول الملائكة ، وأضرب عن المطلب الثاني ، إذ لا سبيل اليه وهو رؤية الله " (٣)، وبيّن أنّ الذى سألوه سيوجد ، ولكنّهم يلقون منه ما يكرهون (٤) .

لكن هل يكفي هذا جوابا عن تلك الشبهة ؟ عن ذلك يقول الفخر الرازى (ـ٦٠٦هـ) : " إنّ هذا هو الجواب عن تلك الشبهة ... ، ففي تقرير كونه جوابا أنّ القرآن لما ظهر كونه معجزا فقد ثبتت دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فبعد ذلك يكون اقتراح أمثال هذه الآيات لا يكون إلاّ محض الاستكبار والتعنّت " (٥)،

أما عن بلاغة الأسلوب ، وطريقة العرض ، فيلاحظ أن الآيات الكريمة قد تناولت قضيتها الجدلية ببساطة ويسر ، وعبّرت عنها بأسلوب جميل أخّاذ يخاطب البداهة والعقل والوجدان ، حتى تصل الى غايتها من الاقناع والتأثير بأوضح السبل ، وأسهل المناهج .

ففي طريقة عرض الشبهة تساق العبارة الموجزة ، لتعبر عن قوة انكار الكفار وتكذيبهم برسالة اللّه ، ففي هذا التعبير (لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلاَئِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا) استعملت (لولا) التي للتحضيض ، وجاءت (الملائكة) بصيغة الجمع اشارة إلى أنّهم بلغوا في التكذيب مبلغا ، لا ينفع معه تصديق مَلَكٍ واحد ، وفي التعبير بالمضارع في قوله (أَوْ نَرَى رَبَّنَا) لافادة الاستمرار التجددى ، وفيه اشارة إلى قوة تكذيبهم كذلك ، كأنّهم لم يكتفوا برؤيته تعالى ، واخباره سبحانه بصدق رسوله صلى الله عليه وسلم حتى يروه سبحانه ويخبرهم مرارا بذلك (٦) .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٢١ ، ٢٢

(٢) الكشاف ـ ج ٣ ـ ص ٢٧٢

(٣) ينظر التفسير القرآني للقرآن ـ عبد الكريم الخطيب ـ ج ٤ ـ ص ٥

(٤) ينظر تفسير الفخر الرازى ـ ج ٢٤ ـ ص ٧٠

(٥) نفسه ـ ج ٢٤ ـ ص ٦٨

(٦) ينظر مع بلاغة القرآن ـ عبد الحميد العبيسي ـ ق ٢ ـ ص ٧٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويأتي أسلوب الحجة بالتعقيب على باطل أولئك المجادلين بالجملة القسمية (لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً) [١] ، " وفيه من الدلالة على غاية قبح ما هم عليه ، والاشعار بالتعجيب من استكبارهم وعتوهم " [٢]، وفي التعبير بـ (فِي أَنْفُسِهِمْ) " اشارة إلى أن هذا الكبر الذى أراهم في أنفسهم هذا الرأى هو داء سكن في كيانهم، فأشاع فيهم مشاعر كاذبة من ضلالات واوهام " [٣]، " وفي الاستئناف بقوله (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ) تمليح وتهكم لأن ابتداءه مُطمع بالاستجابة ، وآخره مؤيس بالوعيد " [٤] .

ومن هنا يتضح أن ردود القرآن الكريم واضحة الحجة ، وأسلوب الحجة معا ، فهي تعبر عن الحقائق البديهية بقوة في المعنى ، وجمال في التعبير ، حتى تصل الى غايتها من الاقناع .

وقال تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً) [٥]

لا زال موضوع الجدل يدور حول نزول القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد اقترح أعداء الرسالة في شبهتهم هذه نزول القرآن جملة واحدة ليكون دليلا لهم على صدق نسبته إلى اللّه تعالى .

وقد ردّت الآيات عليهم ببيان الحكمة من نزوله مفرقا على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي أن تُقوى بتفريقه فؤاده حتى يَعِيَهُ ويحفظه ، لأنّ المتلقن إنّما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء ، وجزأ عقب جزء ، ولو ألقي عليه جملة واحدة لبعل به وتعيا [٦]. وعقبت الآيات على هذا بعبارة شاملة تبيّن غاية القرآن في جدله مع خصومه ، وهي لتقرير الحق ، ودحض الباطل ، وليست مجرد الانتصار في الجدل ، ولا الغلبة في المحاجة [٧].

ويمتاز أسلوب التعبير في هذه الآيات بالايجاز البليغ القائم على حذف الزوائد والفضول من الكلام ، الدال على المعنى كاملا دون تكلف أو تقصير .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٢١
(٢) تفسير أبى السعود ، ج ٦ ـ ص ٢١١
(٣) التفسير القرآني للقرآن ـ ج ٤ ـ ص ٤
(٤) تفسير التحرير والتنوير ـ ج ١٩ ـ ص ٦
(٥) سورة الفرقان ، الآية ٣٢ ـ ٣٣
(٦) الكشاف ـ ج ٣ ـ ص ٢٧٨
(٧) ينظر في ظلال القرآن ـ ج ٥ ـ ص ٢٥٦٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكن أن يلاحظ ذلك في قوله تعالى : (لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقرآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً) (١) وتقدير الكلام لولا نُزّل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم تنزيلا مثل تنزيل الكتب السابقة، وفي التعبير بـ (كذلك) حذف ، والتقدير كذلك أُنزل مفرقا .

ويمتاز التعبير كذلك بقوة المعنى ، ووضوح الحجة ، فيلاحظ في رَدّ القرآن تقرير للحقيقة بوضوح وجلاء ، وتأكيد على الغاية التي يريد أن يثبتها ، ومن خلال هذا الدليل يُستنتج " أن تنزيل القرآن الكريم مفرقا وتحديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلّما نزل شيء منها ، أدخل في الاعجاز ، وأنور للحجة من أن يُنزل كلّه جملة "(٢) .

ومن دقائق التعبير قوله (جِئْنَاكَ بِالحَقِّ) بدلا من (أَتَيْنَاكَ) " للدلالة على التفنن في الأسلوب ، وكراهة أن يتحد ما يُنسب إليه عزّ وجل ، وما يُنسب إليهم لفظا مع كون ما أتوا به في غاية القبح والبطلان ، وما جاء به سبحانه وتعالى في غاية الحقيّة والحسن " (٣).

وفي التعبير بـ (أَحْسَن) " أنّه أحق في الاستدلال ، والتفضيل للمبالغة ، إذ ليس في حجتهم حسن أو يراد بالحسن ما يبدو من بهرجة سفسطتهم وشبههم ، فيجيء الكشف عن الحق أحسن وقعا في نفوس السامعين من مغالطاتهم ، فيكون التفضيل بهذا الوجه على حقيقته " (٤)

وقال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً وَهُوَ الذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً وَهُوَ الذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً طَهُوراً لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَ كَثِيراً وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً) (٥).

تتناول الآيات الكريمة مظاهر قدرة اللّه في الكون ، وبديع صنعه في الوجود ، وفيها استدلال على وحدانية الله بطريقة التلقين ، ودون حجاج أو مجادلة مع الخصوم والمنكرين .

وهذا نوع من الجدل يعتمد على التلقين في سرد القضايا وتقرير الحقائق ، وبسط الأدلة ، وبيانها بيانا شافيا تطمئن له العقول والقلوب معا .

---

(١) سورة الفرقان ـ الآية ٣٢

(٢) الكشاف ـ ج ٣ ـ ص ٢٧٩

(٣) مع بلاغة القرآن ـ عبد الحميد العبيسي ـ ق ٢ ـ ص ١٠٠

(٤) تفسير التحرير والتنوير ـ ج ١٩ ـ ص ٢٣

(٥) سورة الفرقان ـ الآية ٤٥ ، ٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففي الآيات استدلال بدقيق صنع الله تعالى في الكون والذى يتجلى في مدّ الظل ، وتعاقب الليل والنهار ، وتكوين الرياح ، وتنزيل المطر ، ولإحياء الارض الميّتة ، وتصريف الآيات والنِعم بين الخلق ، وقد سخّر الله هذا كلّه للخلق انعاماً منه وكرماً ، حتى يعرفوا تفرده تعالى بالخلق ، وعظمته المطلقة في الوجوه .

وهذا التوجيه إلى تلك الظواهر التي يراها الناس كلّ يوم ، ويمرون بها غافلين هو طرف من منهج القرآن في استحياء الكون دائما في ضمائرهم ... وطرف من ربط العقول والقلوب بهذا الكون الهائل العجيب (١).

وتعتمد طريقة العرض في الآيات على تصوير المشاهد المحسوسة ، والحوادث المنظورة، وابرازها في صور جميلة ، ومشاهد حيّة توقظ القلب ، وتحرك العقل إلى تدبر صنع الله فيها ، وتهيء النفس للاقتناع بالحق والاذعان له ، ففي التعبير مثلا عن ظاهرة الليل والنهار بقوله تعالى : (وَهُوَ الذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِباساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورا)(٢) تصوير " لمشهد الليل الساتر ، والنوم الساكن ، والنهار وما فيه من حركة ونشور ، فالليل يستر الأشياء والأحياء ، فتبدو هذه الدنيا وكأنّها تلبس الليل وتتشح بظلامه فهو لباس ، .... النوم انقطاع عن الحس والوعي والشعور فهو سبات ، ثمّ يتنفس الصبح وتنبعث الحركة ، وتدب الحياة في النهار ، فهو نشور من ذلك الموت الصغير " (٣) ويظهر هذا الأسلوب التصويرى في المشاهد المعروضة كلّها .

ومن بلاغة الأسلوب في الاستدلال استعمال الاستفهام التقريرى في قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِلَّ) ، واستعمال الالتفات لتلوين الخطاب في قوله (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُم لِيَذَّكَّرُوا) اشارة إلى القرآن النازل لاحياء القلوب كما يحي المطر النازل الأرض الميتة (٤) .

وفي قوله تعالى : (وأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِنُحْيِي بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا) (٥) قياس كذلك على اعادة احياء الأجسام بعد الموت ، مثلما تحيا الأرض بعد موتها بالمطر ، وهذا القياس هو في كل موضع ذكر فيه انزال المطر غالبا " (٦).

---

(١) ينظر في ظلال القرآن - ج ٥ - ص ٢٥٦٩

(٢) سورة الفرقان - الآية ٤٧

(٣) في ظلال القرآن - ج ٥ - ص ٢٥٦٩

(٤) ينظر التفسير القرآني للقرآن - ج ٤ - ص ٣٨

(٥) سورة الفرقان - الآية ٤٨ - ٤٩

(٦) البرهان في علوم القرآن - ج ٢ - ص ٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(أسلوب التصوير)

أسلوب التصوير قاعدة أساسية ، وأداة مفضلة في التعبير القرآني ، وهو أحد عناصر الكمال في التعبير التي يعتمد عليها القرآن الكريم في عرض قضاياه المختلفة ، وذلك لما يتميّز به من خصائص فنية تفي بحاجات النفوس إلى الاقناع والامتاع ٠

وسورة " الفرقان " أ نموذج واضح للطريقة التصويرية المتبعة في التعبير عن المعاني المتنوعة ، وعرض الحقائق المختلفة ، حتى في تلك التي تساق للجدل والبرهنة ، ويظهر هذا كلّه في التطبيق على هذه الآيات الكريمة :

قال تعالى : (بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَاعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا اذا رأتهم من مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا) (١).

تعرض هذه الآيات الكريمة مشهدا من مشاهد يوم القيامة بأسلوب تصويري يعتمد على التجسيم والتشخيص ، (٢) فقد رسّمت صورة حية لجهنّم بعدما خُلِعت عليها الحياة، وأصبحت وكأنّها كائن حي يعبر عن غيظه وغضبه ، " فنحن هنا أمام مشهد السعير المتسعرة ، وقد دبّت فيها الحياة ، فإذا هي تنظر فترى أولئك المكذّبين بالساعة ، تراهم من بعيد ، فإذا هي تتغيظ وتزفر فيسمعون زفيرها وتغيظها ، وهي تتحرّق عليهم ، وتُصعد الزفرات غيظا منهم ، وهي تتميّز من النقمة ، وهم إليها في الطريق ٠٠٠ مشهد رعيب يزلزل الأقدام والقلوب ٠ ثمّ ها هم أولاء قد وصلوا ، فلم يتركوا لهذا الغول طلقاء ، يصارعونها فتصرعهم ويتحاموها فتغلبهم ، بل ألقوا إليها القاء ، ألقوا مقرنين قد قرنت أيديهم إلى أرجلهم في السلاسل ، وألقوا في مكان ضيق ، يزيدهم كربة وضيقا ، ويعجزهم عن التفلت والتململ ، ٠٠ ثم ها هم أولاء يائسون من الخلاص ، مكروبون في السعير ، فراحوا يدعون الهلاك أن ينقذهم من هذا البلاء ٠٠ ثم هَا هم أولاء يسمعون جواب الدعاء يسمعون تهكما ساخرا مريرا : (لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا) فهلاك واحد لا يجدى شيئا ولا يكفى شيئا ، وفي هذا الموقف المكروب الرعيب يُعرض ما أُعِد للمتقين ، الذين يخشون ربّهم ويرجون لقاءه ، ويؤمنون بالساعة " (٣).

هذه صورة نابضة بالحياة لمشهد من مشاهد القيامة ، وقيمة الأسلوب التصويري في العرض لا تقف عند حدّ تقريب المعاني إلى الأذهان فحسب ، بل فيما تضفيه من جمال

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ١١ ، ١٥

(٢) ينظر " التصوير الفني في القرآن " ـ سيد قطب ـ ص ٧١ ـ ٧٣

(٣) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ ج ٥ ـ ص ٢٥٥٤ ، ٢٥٥٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فني على التعبير ، يجد له المخاطَبُ في نفسه رضا واستحسانا ، ذلك أنّه حين تضاف الحياة والحركة والحوار إلى الصورة المُجسّدة للمعنى المعقول المجرّد تُصبح حاضرة شاخصة أمام الأعين ، وتكتمل لها عناصر التأثير المطلوب .

ومن هنا تتجلى طريقة القرآن الكريم في اختيار الوسائل القادرة على مخاطبة العقل والوجدان معا ، والايفاء بحاجة الغرائز النفسية إلى الاقناع والامتاع ، دون تعطيل لأية واحدة منها .

وفي مشهد آخر من مشاهد ذلك اليوم المخيف يقول تعالى : (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ اتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً) (١).

ذكر الزمخشري (-٥٣٨هـ) - رحمه الله تعالى - في تفسيره لهذه الآيات أنّ السامع لهذا الكلام يجد في نفسه روعة استحسانيا ، والفضل في ذلك يعود الى استخدام الكِنَايَةِ في التعبير ، فعَضُ اليدين كناية عن الغيظ والحسرة ، وبها ارتفع الكلام الى طبقة الفصاحة " (٢).

وهذه هي الوسيلة القريبة عند البلاغيين لتحقيق البلاغة في الكلام ، غير أن منبع الجمال الفني في التعبير لا يعود إلى استخدام الكناية فحسب ، لأنّ طريقة العرض الفنية التي تعتمد على التصوير هي التي أبرزت هذا التعبير الجميل ، ومن هنا رسمت الآيات صورة حيّة لمشهد متحرك يظهر فيه انسان يقف موقفا صعبا يوم القيامة ، فتنبعث منه صرخات الندم والغيظ والأسف ، وهو يعبّر بالكلمات المشحونة بمشاعر الحسرة والألم ، وبالحركات المعهودة في مثل هذه المواقف ،إنّه يعض يديه ، " ولا تكفيه يد واحدة ، وإنّما هو يداول بين هذه وتلك ، أو يجمع بينهما لشدّة ما يعانيه " (٣) ، ثم يُعلّل سبب جنايته ، وينسبها إلى الغير ، ويتمنى لو أنّه اختار طريق النجاة في دنياه .

وغاية القرآن الكريم من عرض هذا الموقف الحيّ من مواقف ذلك اليوم المشهود هي لهزّ النفوس ، وتحريك القلوب ، لأنّ مثل هذا المصير ينتظر كلّ ظالم وجاحد لرسالة الله سبحانه وتعالى .

وفي مشهد آخر يقول تعالى : (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) (٤) .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٢٧ - ٢٩ .

(٢) ينظر الكشاف - ج ٣ - ص ٢٧٦

(٣) في ظلال القرآن - ج ٥ - ص ٢٥٦٠

(٤) سورة الفرقان ، الآية ٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومقصود الآية هو بيان أنّ اللّه سبحانه سيضيع أعمال الذين كفروا يوم القيامة ، فعبّر عن هذا المعنى بأسلوب تصويري يعتمد على التجسيم والتخييل ، ففي لحظة قصيرة، والخيال يتتبع حركة القدوم المجسمة المتخيلة ، وعملية الاثارة للأعمال ، وارتفاع الهباء ، فإذا كل ما عملوا هباء منثورا " (١).

ويظهر التصوير أيضا في قوله تعالى : (الذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِم إِلَىَ جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وأَضَلُّ سَبِيلاً) (٢) فصورة الحشر على الوجوه في الآية فيها الاهانه والتحقير والانقلاب (٣) ، فهي صورة حسية بشعة لموقف الكفار المهين يوم القيامة .

وأسلوب العرض التصويري قد جعل المشاهد الحية حاضرة شاخصة يراها الناس وكأنّها واقع مشهود ، فتترك في نفوسهم أثرا قد يُزيل رواسب الضلال التي علقت بالقلوب ، ويهدم عقائد الباطل التي لصقت بالعقول ، ويعيد النفوس إلى فطرتها المستقيمة .

وتعرض الآيات في أسلوب تصويري ساخر لبعض النماذج الانسانية في هذه الحياة، فقال تعالى : (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً) (٤).

مقصد هذه الآية هو تحقير الكافرين الذين لا يلقون الى استماع الحق أذنا ، ولا إلى تدبره عقلا ، فشُبهوا بالأنعام التي هي مَثَلٌ في الغفلة والضلال ، بل أنزلوا إلى مكانة أضل منها) (٥).

وقد رسمت الآية بهذا التشبيه صورة دقيقة ساخرة لهؤلاء الذين لا ينتفعون بالهدى، وجسّمت الحالة التي تمنعهم من ذلك ، فقد عطّلوا حاسة السمع وغريزة العقل ، فنزلوا بذلك الى مستوى الحيوانات الغافلة ، بل إلى مكانة أحط منها ، لأنّ مثل هذه الحيوانات " تنقاد لأربابها التي تعلفها وتتعهدها ، وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها ، وتطلب ما ينفعها ، وتجتنب ما يضرها ... ، وهؤلاء لا ينقادون لربّهم ، ولا يعرفون احسانه إليهم ... " (٦).

---

(١) مشاهد القيامة في القرآن - سيد قطب - ص ٩٨ - ط دار الشروق
(٢) سورة الفرقان ، الآية ٣٤
(٣) ينظر مشاهد القيامة في القرآن - ص ٩٩ - وفي ظلال القرآن - ج ٥ - ص ٢٥٦٣
(٤) سورة الفرقان ، الآية ٤٤
(٥) ينظر الكشاف ، ج ٣ - ص ٢٨٢
(٦) نفسه - ج ٣ - ص ٢٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتبرز طريقة القرآن الكريم التصويرية بجلاء ووضوح في عرض مشاهد الكون الفسيح قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً وَهُوَ الذِي جَعَلَ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً وَهُوَ الذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً) (١) .

فهذه مشاهد من الطبيعة الصامتة يسوقها القرآن الكريم للاستدلال على قدرة اللّه المطلقة في الكون ، فيبدؤها بمشهد الظل الممدود ، الذي يرى ساكنا ، وهو في حقيقته متحرك ببطء ولطف ، " فيد اللّه الخفية التدبير تمدّه في رفق ، وتقبضه في لطف ... والشمس تدل عليه بضوئها وحرارتها ، وتميّز مساحته وامتداده وارتداده " (٢) .

وهذه الصورة الحية المتحركة توقظ العقل والوجدان معا ، وتدفعها الى التدبير في بديع صنعه تعالى .

وتعرض الآيات بعد ذلك لمشهد الليل الساتر ، والنوم الساكن ، والنهار وما فيه من حركة ونشور بأسلوب تصويري تظهر فيه هذه الحقائق الظاهرة وكأنّها أمور محسوسة حية ، " فالليل يستر الأشياء والأحياء فتبدو هذه الدنيا وكأنّها تلبس الليل وتتشح بظلامه فهو لباس ، وفي الليل تنقطع الحركة ويسكن الدبيب ، وينام الناس وكثير من الحيوان والطيور والهوام ، والنوم انقطاع عن الحس والوعي والشعور فهو سبات ، ثم يتنفس الصبح ، وتنبعث الحركة ، وتدب الحياة في النهار " (٣) .

ثم يأتي مشهد الرياح المرسلة المبشرة بنزول المطر ، وقد عبرت كلمة " بُشْراً " عن الحالة النفسية التي يستقبل بها الناس رحمة اللّه النازلة من السمآء ، فهذه الرياح معالم بشرى لنزول المطر الطاهر الذى يسقى الناس والأنعام ، ويحي الأرض الميتة .

وبهذه الطريقة التصويرية في التعبير القرآني تتجه القلوب والعقول دائما إلى مشاهد الكون لتدرك عن اقتناع احكام الصنعة وعظمة الصانع - عزّ وجل -

وتختار السورة الكريمة ألفاظها بدقة وعناية ، ويؤدى كلّ لفظ وظيفته في المكان الذى وجد فيه ، يضاف الى ذلك أنه قد يستقل لفظ واحد في رسم صورة شاخصة في السياق الذى ورد فيه ، فمن ذلك قوله تعالى : (وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلاً) (٤)

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٤٥ ، ٤٩

(٢) في ظلال القرآن - ج ٥ - ص ٢٥٦٩

(٣) نفسه ، ص ٢٥٦٩

(٤) سورة الفرقان ، الآية ٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد رسمت كلمة " تَشَقَّقُ " بجرسها الخاص صورة شاخصة متحركة لذلك التشقق المروّع الذي سيصيب السماء يوم القيامة ، ولهذه الكلمة وقع خاص على الآذان ، ومن هنا سيقت في مقام الوعيد والتخويف .

ويقول تعالى أيضاً : (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) (١).

ترسم الآية بكاملها صورة شاخصة للكيفية التي افترى بها محمد صلى الله عليه وسلم القرآن كما يقول المنكرون ، واستعملت لفظة " اكتتب " وهي بمعنى كُتِبَت له لأنّه أمي لا يعرف الكتابة (٢). وهي أيضا لفظة مصوّرة بظلها لحالة الافتعال في الكتابة ، والمجاهدة في طلب ذلك ، وقد عبّرت بدقة كبيرة عن هذا المعنى المراد .

ويقول تعالى ايضا : (وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) (٣)

سيقت كلمة " نثبّت " للدلالة على معنى الثبات بقوة ، ومادة " ثبت " تدل في أصلها على الاستقرار والسكون في المكان(٤) ، وبزيادة التضعيف تزداد قوة الثبات ، ومن هنا جاءت هذه الكلمة في مكانها المناسب لتلقي بظلالها على التعبير ، وكأنّ هناك قوة الهية خفية تمدّ فؤاد الرسول المُنزل بآيات التعْون والتثبيت لتكون معيناً له على مواصلة مسيرة الدعوة .

ويقول تعالى أيضا : (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُم الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً) (٥).

فقد جاءت كلمة (هَوْناً) صفة للمشي ، وهي تدل على اللين والرفق ، وعلى غرار ذلك تصوّر حركة المشي التي يتسم بها عباد الرحمن ، " فالنفس السوية المطمئنة الجادة القاصدة ، تخلع صفاتها هذه على مشية صاحبها ، فيمشي مشية سوية مطمئنة جادة قاصدة ، فيها وقار وسكينة ، وفيها جدّ وقوة " (٦) .

---

(١) سورة الفرقان - الآية ٥

(٢) ينظر تفسير الفخر الرازي - ج ٢٤ - ص ٥١

(٣) سورة الفرقان ، الآية ٣٢

(٤) لسان العرب ، مادة (ثبت)

(٥) سورة الفرقان ، الآية ٦٣

(٦) في ظلال القرآن - ج ٥ - ص ٢٥٧٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يستخلص من هذا أنّ سلطان الألفاظ القرآنية على النفوس مرتبط بما تثيرها من صور وظلال ، لأنّ مثل هذه الألفاظ في الاستعمال البشرى تبقى جامدة معبّرة عن معناها الذهني ولا تتعداه ، أمما في الاستعمال القرآني فتدب فيها الحياة الشاخصة ، والحركة المتجددة ، وهذا كلّه من بعض صور الاعجاز القرآني في اختيار الكلمات الدالة والمصوّرة .

إنّ الأسلوب التصويرى هو أداة التعبير الفعالة في القرآن الكريم ، وقد بدا واضحا في سورة " الفرقان " أنّ الكثير من القضايا قد عرض بهذه الطريقة حتى في تلك التي يغلب عليها طابع الجدل والبرهنة . ذلك أنّ قيمة التصوير في عرض الحقائق لا تقف عند حدّ التعبير عن المعاني العقلية المجرّدة ، وتقريبها للنفوس في قوالب فنية حسية نابضة بالحركة والحياة والحوار فحسب بل بما يضفيه التصوير من جمال فني على التعبير يناسب غرائز النفوس ، ويفي بحاجاتها الى الاقناع العقلي والتأثير الوجداني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(أســـــــلوب القـــصـــص)

القصة في القرآن الكريم وسيلة بيان وتبليغ ، وأداة تأثير واقناع ، وهي تساق في مكانها المناسب ضمن السور لأداء غرض معين يتناسق مع الجو العام لكل سورة .

وقد عرضت سورة " الفرقان " عرضا موجزا لأربع قصص مختصرة هي قصة موسى عليه السلام ، وقصة نوح ـ عليه السلام ـ ، وقصة عاد وثمود وأصحاب الرس ، وقصة لوط عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، وجاءت هذه القصص متناسبة مع مقاصد السورة الكريمة .

قال تعالى : (ولَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيراً فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُم تَدْمِيراً وقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ اغْرَقْنَاهُم وَجَعَلْنَاهُم لِلنَّاسِ ءَايَةً واعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً وَعَاداً وَثَمُودَ وأَصْحَٰبَ الرَّسِ وقُرُوناً بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيراً وكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيراً ولَقَدْ أَتَوْا عَلَى القَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ نُشُوراً) (١).

لقد ذكر ـ في السابق ـ أنّ موضوع السورة الرئيسي هو الرسالة المنزّلة من الله على نبيّه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانت مقاصد السورة هي اثبات صدق هذه الرسالة ، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومجادلة المنكرين لدحض الشبه الباطلة ، وترسيخ العقائد السليمة ، كما أنّها تهدف إلى تسلية الرسول الكريم وتقوية عزائمه ليواصل مهمته العظيمة .

وتشكل السورة الكريمة وحدة متصلة تتكامل فيها القضايا المعروضة جميعها ، والتي منها هذا السرد القصصي الموجز المتناسب مع أهداف السياق ، ومقاصد السورة .

والغرض الديني لهذه القصص المختصرة هو ضرب الأمثال ، واقامة الحجة على المكذّبين لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم بسِياقة هذه الاشارات الوعظية التّي تذكرهم بمصير الأمم السابقة التي كذبت الرسل ، وأعرضت عن الحق ، فكانت نهايتها الدمار والهلاك ؛ وفي هذا تمكين للعبرة في النفوس ؛ والغرض الآخر هو تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم وتقوية أمره ، وطمأنته بالنصر الذى ينتظره .

وكان من آثار خضوع هذه القِصص للغرض الديني أن عرضت بالقدر الذى يكفي لأداء هذا الغرض ، ويتسق مع الموضوع الرئيسي للسورة (٢) فسيقت أولا قصة " موسى عليه السلام وقومه لأنّه أقرب زمنا من الذين ذكروا بعده ، ولأنّ بقايا شرعه وأمته لم تزل معروفة عند العرب "(٣) وذكر من القصة أولها وآخرها لأنّهما المقصود من هذه القصة (٤)، ذلك أنّ استحقاق التدمير

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٣٥ ـ ٤٠

(٢) ينظر "التصوير الفني في القرآن" ـ سيد قطب ـ ص ١٦٢

(٣) تفسير التحرير والتنوير ـ ج ١٩ ـ ص ٢٥

(٤) ينظر الكشاف ـ ج ٣ ـ ص ٢٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والهلاك هو النتيجة الحتمية للتكذيب والانكار اللذين لقيهما موسى عليه السلام من قومه ٠ وعُرضت ثانياً قصة نوح عليه السلام مع قومه بالايجاز نفسه ، وكان تكذيب الرسول هو سبب ما حلّ بالقوم المكذّبين من هلاك ودمار ، وسيقت ثالثا اشارات خاطفة لقصص أقوام لاقوا المصير نفسه بعد التكذيب والاعراض عن الحق،وعُرضت في النهاية قصة القرية الظالمة التي كذبت رسولها لوط عليه السلام ،فاستحقت عذاب اللّه ٠

فهذه القصص متناهية في القصر لكنّها تفي بالغرض الذى سيقت من أجله في هذه السورة ، لأنّ مثل هذا التكذيب الذى يلاقيه محمد صلى الله عليه وسلم من قومه هو من جنس التكذيب الذى عرفته الدعوات الالهية جميعها ، ومن هنا يدرك المكذّبون أن سنة اللّه المتكررة عبر التاريخ لن تتغير ، وسوف يلاقوا المصير نفسه إن هم استمروا في تكذيبهم ، وحجة الله عليهم دائما هي قوله تعالى : (وكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأمْثَالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيراً) (١)

يقول الزمخشرى (ـ٥٣٨هـ) ـ رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية : "(ضَرَبْنَا لَهُ الأمْثَالَ) بيّنا له القصص العجيبة من قصص الأولين ، ووصفنا لهم ما أجروا إليه من تكذيب الأنبياء وما جرى عليهم من عذاب اللّه وتدميره " (٢).

هذا من حيث الغرض الديني للقصص ، أما من حيث تناسبه مع البناء الفني العام للسورة فيظهر أنّ هذا القدر الموجز من القصص منسجم تماما مع السياق الذى ورد ، ولا يشعر المخاطب بأيةِ فجوات في التعبير ، ذلك أنّ لسورة الفرقان شخصية متميّزة ، وهذه الآيات القصصية متلائمة مع اطارها العام ، وقد عرضت مثل هذه القصص في مواطن أخرى من القرآن الكريم لكن في قوالب مختلفة حسب ما يقتضيه السياق وأهداف كل سورة ، ومن هنا بدأ ذلك الانسجام بين الموضوعات ، والربط الطبيعي بين القضايا المعروضة في السورة الكريمة ٠

وهذا السرد القصصي الموجز هو من وسائل الاستدلال والبرهنة على صدق الرسالة، وهو الدليل التاريخي على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا تأتي أهميته في عملية الاقناع ، خصوصا أنّ السورة الكريمة تجادل قوما لُدّاً ، وتهدف إلى دحض الباطل ببسط الأدلة الواضحة والمناسبة ٠

وطريقة العرض في هذه القصص تعتمد على تصوير الحوادث ، وتجسيدها في لحظات ، وتُمثل هذه الحوادث مسيرة طويلة للدعوات الالهية السابقة ، وكان لبعض الألفاظ صور وظلال تتناسب مع موقف الوعيد والتخويف مثل (دمرناهم) و (أغرقناهم) و (تبرنا تتبيرا)، و (مطر السّوء) ، وكلّها ألفاظ شاخصة ومناسبة لمقام الترهيب والوعيد ٠

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٣٩

(٢) الكشاف ـ ج ٣ ـ ص ٢٨٠ ـ ٢٨١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(أسـلوب التمثيـل)

أسلوب التمثيل في القرآن الكريم أداة بيان ووسيلة اقناع ، لذلك كثر استخدامه ، وتنوّعت فنونه ، وكان له طابعه الخاص به ، وتظهر وظيفته البيانية والاقناعية في قدرته على تقرير المعاني ، وكشف الحقائق ، وبيانها في عبارات موجزة ، فيها المعنى الدقيق ، والتشبيه البليغ ، والصورة الجميلة .

وقد لجأت سورة "الفرقان" إلى الأسلوب التمثيلي في بعض مواضعها ، وهي باستخدامه تهدف الى بيان المبادىء والأصول ، وتقصد الى افحام والزام الخصوم ، وقد قيل " بالأمثلة لا بالدلالة تقاد الجماعات " (١) ، قال تعالى : (وكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا) (٢) ، والمقصود هنا بضرب الأمثال " بيان الأشباه والنظائر في الخير والشر ليعرضوا حال أنفسهم عليها " (٣).

ولا تذكر السورة الكريمة نماذج من التمثيل المقصود الذى يُصرّح فيه بلفظ المثل والذى كَثُر في سور القرآن الكريم ، وما ورد فيها هو من الأمثال الكامنة التي لا يُصرّح فيها بلفظ المثل ، وإنما تستفاد من الآيات لما تتميّز به من دقة المعنى ، وايجاز اللفظ ، وبراعة التصوير ، وهي الخصائص الفنية العامة للتمثيل القرآني .

قال تعالى : (وقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) (٤).

وفي الآية الكريمة مثل كامن " استعير لحال الكفار وأعمالهم ، وسيق للبيان والتوضيح ، وتقريب الخَفِيّ في صورة الجلي ، قال الزمخشري (-٥٣٨هـ) -رحمه الله- : " مثلت -الآية- حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم ، واغاثة ملهوف ، وقرى ضيف ، ومنّ على أسير ، وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه ، فقدم إلى أشيائهم ، وقَصَدَ إلى ما تحت أيديهم فأفسدها ومزّقها كلّ ممزّق ، ولم يترك لها أثرا ولا عَثِيراً (٥) ، والهباء : ما يخرج من الكوّة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار . وفي أمثالهم : أقلُّ من الهباء " (٦).

---

(١) روح الجماعات -جوستاف لوبون- ص ١١٧

(٢) سورة الفرقان ، الآية ٣٩

(٣) تفسير التحرير والتنوير -ج ١٩- ص ٢٩

(٤) سورة الفرقان ، الآية ٢٣

(٥) العثير : الغبار

(٦) الكشاف -ج ٣- ص ٢٧٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتكتمل لهذا التركيب الوجيز عناصر التمثيل البياني من اصابة للمعنى ، ونقاء في اللفظ وجمال في التصوير ، وتقريب للمعقولات الخفية في صورة المحسوسات الجلية ، والتي لها وقعها على النفوس .

وقال تعالى أيضا : (ولقد صرّفناه بينهم ليذّكّروا فأبى أكثر الناس إلاّ كفورًا) (١)

فسيقت هذه الجملة الوجيزة وهي قوله تعالى (فأبى أكثر الناس إلاّ كفورًا) مثلاً لبيان حال البشرية الضالة التي تكفر بالنعمة بعد نزولها . " وهذا التركيب يجرى بمادته وهيئته مجرى المثل في الاخبار على تصميم المخبَر عنه على ما بعد حرف الاستثناء ، وذلك يقتضي وجود الصارف عن المستثنى ، أي فصمموا على الكفور لا يرجعون عنه " (٢).

وغاية هذا التمثيل هي تقرير الحقيقة الالهية ، وبسطها للتذكر والاعتبار والحث على الايمان بمنزّل النِعم .

وقال تعالى أيضا : (الّذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثمّ استوى على العرش الرّحمٰن فسئل به خبيرًا) (٣)

في هذه الآية الكريمة مثل مُرْسَل هو في قوله تعالى : (فسئل به خبيرًا)، " وهذا التركيب من مبتكرات القرآن نظير قول العرب: عَلَى الخَبِيرِ سَقَطْتَ " ، يقولها العارف بالشيء إذا سُئِل عنه . والمثلان وإن تساويا في عدد الحروف المنطوق بها فالمثل القرآني أفصح لسلامته من ثقل تلاقي القاف والطاء والتاء في (سقطت) . وهو أيضا أشرف لسلامته من معنى السقوط ، وهو أبلغ معنى لما فيه من عموم كلّ خبير ، بخلاف قولهم : على الخبير سقطت ، لأنها إنّما يقولها الواحد المعيّن " (٤).

والمثل القرآني له طابعه الخاص به ، سواء في اصابة المعنى بدقة ، أو في ايجاز اللفظ مع فصاحته ، أو في أداء الغرض الذى سيق من أجله في الآية ، فهذا المثل مستعمل في سياقه للدلالة على شمول وعظمة الرحمة الالهية التي لا يعرف قدرها الاّ العليم الخبير .

وقال تعالى ايضا : (أم تحسب أنّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً) (٥) .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٥٠

(٢) تفسير التحرير والتنوير ، ج١٩ ـ ص ٥٠

(٣) سورة الفرقان ، الآية ٥٩

(٤) تفسير التحرير والتنوير ـ ج ١٩ ـ ص ٦١

(٥) سورة الفرقان ، الآية ٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مثلت هذه الآية لحال المنكرين والمعرضين عن الرسالة ، وقوله تعالى : ﴿إِنْ هُمْ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ تشبيه غرضه التحقير والتوبيخ ، ومقصده انزال هؤلاء إلى أدنى مرتبة من البهائم .

وهذا التركيب الوجيز يجرى مجرى المثل ، ويُضرب لمن كان الضلال والغفلة عن الحق سبيليه ، ويمتاز ببراعة التصوير ، ودقة المعنى مع جمال التعبير .

يستنتج من هذه النماذج المعروضة أن سياقة السورة الكريمة للأمثال هو لغايات بيانية ، وأغراض اقناعية ، ذلك أنّ ضرب المثل هو من الوسائل القادرة على بيان المعاني في صور رائعة جميلة لها وقعها في النفوس .

ويلتقى الأسلوب التمثيلي مع التصوير الذى يُعد الأداة المفضلة في التعبير القرآني ، كما أنّه يتكامل مع بقية الأساليب البلاغية المعنوية والتصويرية التي تشكل العناصر البارزة ، والوسائل الهامة التي يعتمد عليها القرآن الكريم في عرض قضاياه ، وبسط حقائقه .

(٢) التطبيق على الاساليب (ب) :

(أسلوب الاستفهام)

تعتمد سورة " الفرقان " على أسلوب الاستفهام في التعبير عن قضاياها المختلفة ، وهي توقه في جدلها وحوارها مع المشككين ، ذلك لما يتميّز به هذا الأسلوب من بلاغة في التعبير ، وقدرة على مخاطبة جوانب النفس الانسانية ، فهو يحرك القلوب والعقول معا ، ويأخذ بالأسباب التي تؤدى إلى الاقناع والتأثير .

والاستفهام يناسب الجو الجدلي للسورة الكريمة ، لأنّه دعامة الحوار ، والحوار قاعدة أساسية لدعوة الناس إلى منهج اللّه تعالى ، كما أنّ التعبير بالاستفهام أبلغ من الاخبار الصريح ، أو السرد المباشر ، وهو ما سيتبيّن في التطبيق على هذه الآيات :

قال تعالى : ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً﴾ (١) .

الاستفهام في الآية الكريمة مجازى خرج الى معنى : الانكار ، والتعجّب ، والاستبعاد (٢) ، وليس مراد المشكرين بهذا الاستفهام انكار ما وقع من الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٧

(٢) مع بلاغة القرآن (تفسير بياني لسورتي الأنفال والفرقان) عبد الحميد العبيسي - ق٢ - ص ٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من الأكل والمشي في الأسواق ، وإنّما الذى ينكرونه هو وقوع الرسالة المنافية لهما في زعمهم (١).

وانكار الوقوع هو المعنى الأصلي للاستفهام ، وهو أبلغ من الانكار الصريح ، لتنويعه في المعاني ، وتعبيره عن الحالات النفسية لخصوم الرسالة .

وقال تعالى : (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) (٢)

يفيد الاستفهام بـ (كيف) التعجّب والاستعظام من الأقاويل العجيبة التي تفوّه بها المشركون (٣)، وهو مستعمل في الرد عليهم ، وابطال حجتهم ، والتعجّب من اللّه انكار الشيء وتعظيمه (٤)، والمراد تعجيب العباد ليتنبّهوا إلى عظمته تعالى وقدرته، وينكروا تلك الأباطيل التي تصدر عن منكرى الرسالة لمخالفتها للفطرة السليمة .

والتعجب من جنس الانكار ، وغاية الانكار أن يعود المخاطب إلى صوابه، ويبتعد عن افكه وضلاله .

وقال تعالى : (قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا) (٥)

الاستفهام بالهمزة في قوله تعالى (أَذَٰلِكَ) للتهكم والتقريع بالمشركين (٦) ، والمشار إليه هو " السعير " و (خير) للدلالة على الأفضلية ، و " التفضيل بها على المحمل الأول في موقع الآية مستعمل للتهكم بالمشركين ، وعلى المحمل الثاني مستعمل للتمليح في خطاب المؤمنين ، واظهار المنّة عليهم " (٧).

والترديد والتفضيل في (خير) : ابراز لمعنى التهكم ، والتقريع إذ لا شك في أنّه لا خيرية في السعير (٨) .

---

(١) ينظر تفسير أبى السعود - ج ٦ - ص ٢٠٤

(٢) سورة الفرقان ، الآية ٩

(٣) ينظر تفسير أبى السعود - ج ٦ - ص ٢٠٤

(٤) معترك الأقران في اعجاز القرآن - ج ١ - ص ١٥٤

(٥) سورة الفرقان ، الآية ١٥

(٦) تفسير أبى السعود - ج ٦ - ص ٢٠٧

(٧) تفسير التحرير والتنوير - ج ١٨ - ص ٣٣٥

(٨) مع بلاغة القرآن (تفسير بياني لسورتي الأنفال والفرقان) - عبد الحميد العبيسي - ق ٢ - ص ٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال تعالى : (ويَوْمَ يَحْشُرُهم وَمَا يَعْبُدُوَن مِنْ دُونِ اللّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُم أَضْلَلْتُم عِبَادِي هَؤُلاَءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السبيل) (١)

" الاستفهام تقريري للاستنطاق والاستشهاد ، والمعنى : أأنتم أضللتموهم ، أم ضَلُّوا من تلقاء أنفسهم دون تضليل منكم " (٢).

يقول الزمخشري (ـ٥٣٨هـ) عن فائدة هذا السؤال التقريري :

" فائدته أن يجيبوا بما أجابوا به حتّى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم ، فيبهتوا وينخذلوا وتزيد حسرتهم ، ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه " (٣) .

والاستفهام التقريري في المعنى البلاغي " هو حملك المخاطب على الاقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده "(٤) ، وهو بهذا أسلوب أقوى في الطلب ، وأبعد في الاقناع والالزام ، لأنّه يقود المخاطب إلى الاعتراف بالحقيقة الثابتة ، ويحاصره بالدليل المناسب ، ولا يترك له مجالا للتكذيب والانكار . ومن هنا التقطت الآية الكريمة اعتراف المعبودين لتنكر على عبدتهم سوء أفعالهم .

وقال تعالى : (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُم لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُوَن وكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً) (٥) .

الاستفهام في (أَتَصْبِرُوَن) مرادٌ به الأمر ، أي : " اصبروا ، فاني ابتليت بعضكم ببعض ، بدلالة السياق ، وقرائن الأحوال " (٦)ويفيد أيضا معنى الترغيب في الصبر ، وهو مستعمل في سياق تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، واستخدام أساليب الترغيب والترهيب في الخطاب من أهم عناصر التأثير والاقناع .

وقال تعالى : (وإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا أَهَذَا الذِى بَعَثَ اللّهُ رَسُولاً ، إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلاَ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وسَوْفَ يعلمون حِينَ يَرَوْنَ العَذَابَ مَن أَضَلُّ سَبِيلاً) (٧).

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ١٧

(٢) تفسير التحرير والتنوير ، ج ١٨ ـ ص ٣٣٧

(٣) الكشاف ـ ج ٣ ـ ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩

(٤) البرهان في علوم القرآن ـ ج ٢ ـ ص ٣٣١

(٥) سورة الفرقان ، الآية ٢٠

(٦) مع بلاغة القرآن ـ عبد الحميد العبيسي ـ (ق٢) ـ ص ٥٤

(٧) سورة الفرقان ، الآية ٤١ ـ ٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاستفهام بالهمزة في (أَهَـٰذَا) للانكار والتحقير والاستهزاء[١] والمعنى انكار أن يكون المشار اليه - وهو محمد صلى الله عليه وسلم - رسولا ، وفي (أَهَـٰذَا الذي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً) دلالة على تهكمهم ، واستصغارهم وسخريتهم بالرسول صلى الله عليه وسلم .

والاستفهام في (من أَضَلُّ سَبِيلاً ؟) للوعيد والتهديد والتنبيه على أنّه تعالى لا يهملهم وان أمهلهم [٢] . " وهذا رد " على أبلغ وجه ، لقولهم (إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا) ، فإنّهم جعلوا دعوته (صلى الله عليه وسلم) إلى التوحيد اضلالا ، والمضل لغيره لا بُد أن يكون ضالا في نفسه ، ومن أجل هذا جاءت الجملة بطريق السؤال لتبيّن أنه عليه الصلاة والسلام هاد لا مضل على أبلغ وجه "[٣] .

واستخدام معاني الوعيد والتهديد والتنبيه في هذا المقام مناسب للاقناع والتأثير، لأنّ النفوس مجبولة على غرائز الرغبة والرهبة ، وخطابها من هذه الجوانب من شأنه أن يعيدها الى الفطرة السليمة ..والطبيعة المستقيمة .

وقال تعالى : (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً) [٤] .

الاستفهام بالهمزة في (أرأيت) للتعجّب من جهل مَنْ هذه حاله ، [٥] " فمن كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر لا يتبصر دليلا ، ولا يصغي إلى برهان ، فهو عابد هواه وجاعله الهه " [٦]. والاستفهام بالهمزة في (أفأنت) للانكار، بمعنى : إنّك لا تستطيع قلعه عن ضلاله [٧].

و"أم" منقطعة للاضراب الانتقالي من انكار إلى انكار[٨] والمعنى " إنّهم لا يلقون إلى استماع الحق أذنا ، ولا إلى تدبره عقلا ، ومشبهين الأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلال " [٩].

---

(١) مع بلاغة القرآن - عبد الحميد العبيسي - ق ٢ - ص ١٠٥

(٢) ينظر تفسير أبي السعود - ج ٦ - ص ٢٢٠

(٣) مع بلاغة القرآن - عبد الحميد العبيسي - ص ١٠٦

(٤) سورة الفرقان - الآية ٤٣ ، ٤٤

(٥) تفسير البحر المحيط - ج ٦ - ص ٥٠١

(٦) الكشاف - ج ٣ - ص ٢٨٢

(٧) ينظر التحرير والتنوير - ج ١٩ - ص ٣٦

(٨) نفسه - ص ٣٧

(٩) الكشاف - ج ٣ - ص ٢٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وغاية التعجيب والانكار " أن يتنبه السامع حتى يرجع الى نفسه فيخجل ويرتدع ويعي بالجواب " (١).

كما أنّ الاستفهام الانكاري أبلغ من النفي ، " لأنّه في أصل وضعه يتطلب جوابا يحتاج الى تفكير يقع به هذا الجواب في موضعه ، ولما كان المسؤول يجيب بعد تفكير وروية عن هذه الأسئلة بالنفي ، كان في توجيه السؤال إليه حملا له على الاقرار بهذا النفي ، وهو أفضل من النفي ابتداء " (٢).

ومن هنا يكسب الاستفهام الانكاري جمالا في التعبير ، وقوة في التأثير ، لكونه يحاصر النفس من الجوانب كلّها ، ليكون اقرارها منبعثا عن يقين واقتناع ، كما أنّ تواليه في الآيات القرآنية ـ كما هو ظاهر ـ هو لتقوية المعنى وتأكيده في النفوس .

وقال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً) (٣).

الاستفهام بالهمزة في (أَلَمْ تَرَ) للتقرير ، (٤) وهو مستعمل لبيان قدرته تعالى في كونه ، وبديع صنعه في خلقه كمدّ الظل وتسخيره للناس ليعرفوا تفرده تعالى بالألوهية والربوبية .

" وهذا الاستفهام التقريري صالح لطبقات السامعين : ، من غافل يُسأل عن غفلته ليقر بها تحريضا على النظر ، ومن جاحد يُنكر عليه اهماله النظر ، ومن مُوفّق يُحثّ على زيادة النظر " (٥) ، وهو بهذا أبلغ في التعبير ، وأبعد في الاقناع والتأثير .

وقال تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا) (٦).

" الاستفهام بـ " ما " مستعمل في الاستغراب ، يعنون تجاهل هذا الاسم ، ولذلك استفهموا عنه " بما " دون " من " باعتبار السؤال عن معنى هذا الاسم " (٧).

والاستفهام بالهمزة في (أَنَسْجُدُ) للانكار والاستبعاد (٨) ، وفيه معنى الامتناع ، أي لا نسجد لما تأمرنا بالسجود له .

---

(١) دلائل الاعجاز ـ ص ١٢٠

(٢) من بلاغة القرآن ـ أحمد بدوي ـ ص ١٦٣

(٣) سورة الفرقان ـ الآية ٤٥

(٤) ينظر تفسير أبي السعود ـ ج ٦ ـ ص ٢٢٢

(٥) تفسير التحرير والتنوير ـ ج ١٩ ـ ص ٣٩

(٦) سورة الفرقان ـ الآية ٦٠

(٧) تفسير التحرير والتنوير ـ ج ١٩ ـ ص ٦٢

(٨) مع بلاغة القرآن ـ عبد الحميد العبيسي ـ القسم الثاني ـ ص ١٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويكشف هذا الاستفهام الانكارى عن مدى الجحود والتعنّت والاعراض الذى ترسب في قلوب المشركين ، وعلق بنفوسهم ، وكانت غايتهم من ذلك كلّه عدم الاعتراف بوحدانية الله تعالى ٠

يستنتج من هذه المعاني المستفادة من أسلوب الاستفهام في سورة " الفرقان " أنّها تدل دلالة واضحة على بلاغة الاستفهام القرآني في التعبير ، وقدرته على الاقناع والتأثير ، فهو أسلوب قادر على استيعاب المعاني المتنوعة ، واحتوائها والتصرف في دلالاتها المختلفة حسب ما تقتضيه حالات المخاطَبين ٠ كما أنّه يتميّز بخصائص لها علاقة مباشرة بالنفس الانسانية من حيث تحريك الغرائز العقلية والوجدانية واثارة اهتمامها بصورة أقوى وأشد ٠

ومن هنا ساقت السورة الكريمة وهي تجادل عن قضيتها ، الأسلوب الاستفهامي للتعبير عن معانيها المختلفة ، خاصة أن المواقف الجدلية تتطلب حوارا بين اثنين ، والحوار يتطلب الأساليب الاستفهامية الأكثر تصرفا في البلاغة ، والأقوى تأثيرا واقناعا ٠

وكانت أكثر المعاني ورودا في السورة هي الانكار والتعجّب والتقرير والتهكم ، لأنّ السورة تسوق أقوالا للطرف المُجادِل في الرسالة الالهية ، وهي مشحونة بانفعالات الانكار والتعجب والتحقير والسخرية ، وتسوق للطرف الآخر فيضا من الردود القرآنية ملاقيا به فيضهم ، ويشمل على الانكار والتعجّب والتقرير والتهكم ، وغاية هذا كلّه الزام المعاندين بالحجة والبرهان ، واقناع المخاطبين جميعا بمقاصد الرسالة وحقائقها ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(أسلوب التوكيد)

استخدمت سورة "الفرقان" الكريمة أسلوب التوكيد في التعبير عن قضاياها المختلفة ، واستعملته لتقوية معانيها ، وتثبيت حقائقها في النفوس حتى تصبح عقيدة راسخة .

والتوكيد من أهم الوسائل التي تستخدم في الخطاب لتقوية المعاني ، وتقرير الحقائق، ومن هنا تبرز وظيفته الاقناعية التي تتجلى في بلاغة تعبيره ، وقدرته على مراعاة المواقف النفسية للمخاطبين ، فهو أسلوب تقتضيه مقامات السامعين وحالاتهم المختلفة، كما أنّ له استعمالات دقيقة لا يمكن أن يَستغني عنها أي تعبير بليغ . وستتبين بلاغة التعبير به في التطبيق على الآيات الكريمة .

تعرض السورة الكريمة في جانب منها مواقف متعددة لمنكري رسالة السماء ، وتسوق في الجانب الآخر ردودا مناسبة على هذا الانكار ، ويأتي التوكيد فيها مراعيا ما تقتضيه الحالات والمواقف المختلفة ، فنجد في قوله تعالى : (الذي لَهُ مُلْكُ السَّمَواتِ والأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ) (١) توكيدا للخبر بأسلوب القصر البلاغي في التعبير بـ (لَهُ مُلْك) بطريقة تقديم الجار والمجرور " لَه " على " مُلْك " ، أي قصر صفة الملك ، وغاية هذا القصر تأكيد الكلام ليتمكن في نفوس المخاطبين ، رداً على المنكرين وردا لجحودهم ، إذ المخاطبون هنا كفرة منكرون (٢) .

ومن جملة الردود على انكار المنكرين نجد قوله تعالى : (قُلْ أَنْزَلَهُ الذي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَواتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً) (٣) .

فقد سيقت هذه الآية في الرد على منكري الرسالة الالهية ، وأُلقِيَ الخبر فيها من غير توكيد ، ووُكِيدت فاصلتها بحرف التوكيد " إنّ " ، والملاحظ أنّ الكلام هنا قد خرج عن مقتضى الظاهر ، لأنّ الظاهر أن يؤكد الخبر للمنكرين ، وفي ذلك بيان أنّ قضية تنزيل القرآن من اللّه سبحانه وتعالى هي أمر واضح الدلالة ، يدركه كلّ ذي بصيرة ، ويعلمه من كان له أدنى تمييز ، فجاء هذا الخبر غير مؤكد لوضوح القضية ، خصوصا أنّ الحديث عن انزال القرآن الكريم قد سبق في مقدمة السورة ، قال تعالى : (تَبَارَكَ الذي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلعَالَمِينَ نَذِيراً) (٤).

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٢

(٢) ينظر مع بلاغة القرآن ـ عبد الحميد العبيسي ـ (القسم ٢) ـ ص ١٧

(٣) سورة الفرقان ، الآية ٦

(٤) سورة الفرقان ، الآية ١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد وكدت الفاصلة بـ " إنّ " لقصد الترغيب ، وهي مناسبة هنا لمقتضى حالات المخاطبين، وفيها " من التنبيه على أنّهم استوجبوا بمكابرتهم هذه أن يُصب عليهم العذاب صبا، ولكن صرف ذلك عنهم إنّه غفور رحيم يُمهل ولا يعاجل " (١).

ويقول تعالى أيضا في الرد على المنكرين : (وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ الاّ انّهم لَيَأْكُلون الطَعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ) (٢).

ففي الآية أولا : توكيد بالقصر البلاغي ، وطريقته النفي والاستثناء من قصر الموصوف على الصفة ، وفي اختيار أسلوب القصر بـ " ما " و " إلاّ " ، مراعاة لانكار المشركين الذين حجدوا رسالة اللّه ، وزعموا أنّ النبي لا يكون من البشر (٣) .

وثانيا : توكيد بـ " إنّ " و " اللام " في قوله (إِنَّهُم لَيَأْكُلُونَ) وهو لتحقيق الصفة التي يُنكرها المشركون ، وفي زيادة التوكيد مراعاة لمقتضى حالات المنكرين ، فعلى قدر الانكار يزاد التوكيد لتقوية المعنى ، وتثبيته في النفوس ، وحملها على الاقتناع به ، خصوصا أنّ الآية الكريمة قد سيقت للرد على المنكرين ، والزامهم بالحجة الواضحة، والدليل المناسب .

وتلجأ الآيات الكريمة إلى القسم لتوكيد أخبارها ، وتقرير حقائقها ، فمن ذلك قوله تعالى : (وقَالَ الذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلاَئِكَةُ أَوْنَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِم وَعَتَوا عُتُوّاً كَبِيرًا) (٤) .

ففي الآية توكيد بأسلوب القسم في قوله (لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا) ، وقد دلّت عليه اللام الواقعة في جوابه (٥) ، وتقدير الكلام : واللّه لقد استكبروا ، والقسم هنا لافادة التعجّب (٦) ، وزيد في توكيد الخبر بحرف التحقيق (قد) ، وبصيغة المبالغة التي تستفاد من قوله (استكبروا) ، و (عتوا عتوا كبيرا) .

والتوكيد بالقسم من شأنه أن يساهم في تقرير الخبر عند المخاطب ، ذلك أنّ أسلوب القسم يقوم بوظيفة التهيئة النفسية وجذب الانتباه لما سيخبر به ، على غرار تقويته للمعنى ، ودلالته على التقرير ، وقد زيد التوكيد في الآية لمراعاة أحوال المنكرين الذين تجاوزوا الحد في الانكار والاستكبار .

---

(١) الكشاف - ج ٣ - ص ٢٦٥

(٢) سورة الفرقان ، الآية ٢٠

(٣) ينظر مع بلاغة القرآن - عبد الحميد العبيسي (ق ٢) - ص ٥٤

(٤) سورة الفرقان ، الآية ٢١

(٥) ينظر الكشاف - ج ٣ - ص ٢٧٣

(٦) ينظر تفسير أبي السعود - ج ٦ - ص ٢١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أساليب التوكيد بالقسم قوله تعالى : (ولَقَد ءَاتَينَا مُوسَى الكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وزيرا) (١).

سيقت هذه الآية مؤكدة لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ووعده بالهداية والنصر، وفيها جملة مؤكدات : القسم المحذوف الذى دلت عليه اللام ، واللام ، وقد ، لتراعي مقامات المخاطبين ، ذلك أنّ المشركين غافلون عن الهلاك الذى أصاب الأمم السابقة بسبب التكذيب والاعراض ، فناسب أن يُلقى الخطاب إليهم مؤكدا (٢)، ليستقر في نفوسهم أن المصير نفسه ينتظرهم إن هم استمروا على انكارهم واستكبارهم .

ويظهر هذا أيضا في قوله تعالى : (ولَقَد أَتَوا عَلَى القَريَةِ الَتِي أُمطِرَتْ مَطَرَ السَّوءِ أَفَلَم يَكُونُوا يَرَونَهَا بَل كَانُوا لاَ يَرجُونَ نُشُورًا) (٣).

تصدر الآية توكيد بالقسم الذى دلت عليه اللام ، وحرف التحقيق (قد) و " اقتران الخبر بلام القسم لافادة معنى التعجيب من عدم اعتبارهم بآثار العذاب الذى نزل بقرية قوم لوط عليه السلام " (٤)

والتوكيد هنا مناسب لتقرير الخبر واثباته ، وقد جاء وفق ما تقتضيه حالات المخاطبين ، ومقامات السامعين .

وقد جاء التوكيد بالقسم أيضا في قوله تعالى : (ولَقَد صَرَّفنَاهُ بَينَهُم لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكثَرُ النَّاسِ إلاَّ كُفُورًا) (٥)

لجأت الآية إلى التوكيد بالقسم المحذوف ، وحرف التحقيق (قد) لتقرير الخبر، " وتصريف المطر مُحقق لا يحتاج إلى التأكيد ، وإنّما الشيء الذى لم يكن لهم علم به هو أنّ من حكمة تصريفه بين الناس أن يذكروا نعمة اللّه تعالى عليهم مع نزوله عليهم وفي حالة امساكه عنهم ، لأنّ كثيرا من الناس لا يُقدر قدر النعمة إلاّ عند فقدها فيعلموا أنّ اللّه هو الربّ الواحد المختار في خلق الأسباب والمسببات " (٦).

ويرى بعض العلماء أنّ الضمير في (صَرَّفنَاهُ) يعود إلى القرآن الكريم وسائر الكتب والصحف التي أنزلت (٧) ، وقد يعود إلى القرآن الكريم الذى صُرفت آياته أمام الناس ليذكروا بها ،كما أنّ حديث السورة العام هو عن تنزيل القرآن ،مما يجعل توكيد التصريف هنا مناسب لمواقف الانكار والجحود التي تعرض لها ، ولهذا قال تعالى بعد ذلك : (فأَبَى أَكثَرُ النَّاسِ إلاّ كُفُورًا) (٥).

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٣٥

(٢) ينظر مع بلاغة القرآن - عبد الحميد العبيسي - ق ٢ - ١٠١

(٣) سورة الفرقان ، الآية ٤٠

(٤) تفسير التحرير والتنوير - ج ١٩ - ص ٢٩

(٥) سورة الفرقان ، الآية ٥٠

(٦) تفسير التحرير والتنوير - ج ١٩ - ص ٥٠

(٧) ينظر تفسير الفخر الرازى - ج ٢٤ - ص ٩٨ - ٩٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أساليب التوكيد المتنوّعة في السورة قوله تعالى : (قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا) (١)

ففي الآية توكيد بحرف من حروف الزيادة في قوله (من أولياء) والأصل : أَنْ نَتَّخِذَ أولِيَاء ، فزيدت (من) لتأكيد معنى النفي (٢) وجاء بعد هذه الآية قوله تعالى : (فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا) (٣) ، وهو في الرد والاحتجاج لالزام المعاندين والمنكرين ، فوُكِد الخبر بحرف التحقيق (قد) لتقرير التكذيب الواقع من المنكرين .

وأُعجب الزمخشري - رحمه الله تعالى - (ـ٥٣٨هـ) ببلاغة التعبير في هذه الآية فقال : " هذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة إذا انضم إليها الالتفات وحذف القول " (٤).

وقال تعالى في خاتمة السورة : (قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا) (٥).

في الآية توكيد للخبر بحرف التحقيق (قد) وهو لبيان حال الكفرة ، وتقرير التكذيب الملازم لهم ، وتوكيد بـ (سوف) لافادة معنى الوعيد والتهديد ، والخطاب بالتوكيد في الآية مناسب لمقام المخاطَبين المكذّبين ، وقال الزمخشري (ـ٥٣٨هـ) : " الخطاب في الآية موجه إلى الناس على الاطلاق ، ومنهم مؤمنون عابدون ، ومكذّبون عاصون ، فخوطبوا بما وُجد في جنسهم من العبادة والتكذيب " (٦) .

هذه بعض أساليب التوكيد التي ساقتها السورة الكريمة في تعبيرها عن قضاياها المختلفة . وهي ضمن الأساليب الضرورية التي يعتمد عليها الخطاب ، ويتطلبها التعبير .

ووسائل التوكيد التي لجأت إليها السورة الكريمة سواء أكانت بالقسم أو القصر ، أو بأدوات التوكيد الأخرى ، لها وظيفتها في العملية الاقناعية التي تهدف إليها السورة ، فبها يقوى الخطاب وتصح معانيه ، وبها تُراعى مقامات السامعين ، وحالات المخاطَبين ، وبها تُزال الشكوك ، وتتقرر الحقائق . ومن هنا يمكننا القول أنّ التوكيد هو أحد فنون الخطاب البليغة التي لا يمكن أن يستغني عنها أيّ تعبير بليغ يهدف إلى الاقناع والتأثير .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ١٨
(٢) الكشاف - ج ٣ - ص ٢٧٠
(٣) سورة الفرقان ، الآية ١٩
(٤) الكشاف - ج ٣ - ص ٢٧١
(٥) سورة الفرقان ، الآية ٧٧
(٦) الكشاف - ج ٣ - ص ٢٩٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(أسلوب التكرار)

التّكرار ظاهرة بارزة في سور القرآن الكريم ، وقد قرر أغلب الدارسين للبيان القرآني قديما وحديثا أنّه من الاساليب البليغة في الخطاب القرآني ، وأنّه من الوسائل الهامة التي تأتي لغايات تربوية واقناعية .

وقد لجأت سورة " الفرقان "في مواطن قليلة إلى أسلوب التّكرار ، وهو في الغالب تكرار لفظي يتطلبه المقام لتوكيد المعاني وتقريرها في النفوس ، وهو ما يظهر في هذه الآيات .

قال تعالى : (وقَالُوا مَالِ هَـٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا) (١)، وقال أيضا بعد ذلك : (وقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا) (٢) فقد قيل : إن في ذكر انزال الملائكة في الآية الثانية بعد الآية الأولى ضرب من التكرار ، وليس بتكرار ، لظهور الفرق الواضح بين المطلوبين فيهما (٣) .

ففي الآية الأولى طلب المشركون انزال ملك واحد يؤيد رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وورد هذا المطلب مع جملة من المطالب ، وسيقت الآية الثانية لحكاية نوع آخر من المطالب ، وهو رؤية الملائكة أو رؤية اللّه سبحانه ، وكأنّهم أرادوا تلقي الرسالة مباشرة منهم أو من اللّه سبحانه وتعالى ، ومن هنا يختلف المطلب الأول عن الثاني من حيث المعنى .

وإذا كان ظاهر الآيتين يفيد تكرار المعنى ، فهو للدلالة على المبالغة في انكار المنكرين ، ولذلك جاء لفظ (الملائكة) في الآية الثانية بالجمع ، " للاشارة إلى أنّهم بلغوا في التكذيب مبلغا ، ولا ينفع معه تصديق ملك واحد " (٤).

والملاحظ كذلك أنّ أسلوب العرض في الآية الأولى يختلف عن الآية الثانية ، وهذه طريقة القرآن في تصريف المعاني ، وتنويع الأساليب .

ومن التكرار اللفظي ورود لفظة (تبارك) ثلاث مرات في السورة ، في قوله تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ) (٥)، وفي قوله أيضا : (تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) (٦) .

وقوله أيضا : (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) (٧) .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٧

(٢) سورة الفرقان ، الآية ٢١

(٣) مع بلاغة القرآن - عبد الحميد العبيسي - (ق٢) - ص ٧٤

(٤) نفسه - ص ٧٤

(٥) سورة الفرقان ، الآية ١

(٦) سورة الفرقان ، الآية ١٠

(٧) سورة الفرقان ، الآية ٦١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعن ورود هذه اللفظة في السورة يقول الكرماني (ـ توفي بعد ٥٠٠هـ) : " هذه لفظة لا تستعمل إلاّ لله تعالى ، ولا تستعمل إلاّ بلفظ الماضي ، وجآءت في هذه السورة في ثلاثة مواضع تعظيما لذكر الله ، وخصت هذه المواضع بالذكر لأنّ ما بعدها عظائم ، الأول : ذكر الفرقان ، وهو القرآن المشتمل على معاني جميع كتب اللّه ، والثاني : ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ... والثالث : ذكر البروج والسيارات ، والشمس والقمر ، والليل والنّهار ، ولولاه ما وُجد في الأرض حيوان ولا نبات " (١) .

وقال تعالى : (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلاَئِكَةَ لاَ بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً) (٢) .

في الآية تكرار للفظة (يوم) ، وهو مستعمل لتوكيد نفي البشرى . والمعنى : "يوم يرون الملائكة يُمنعون البشرى أو يعدمونها " (٣) وتكرار (يومئذ) هنا والذى يشير إلى يوم القيامة مناسب لمقام الوعيد والتهديد الذى تهدف إليه الآية الكريمة .

وقال تعالى : (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ اتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً) (٤).

وفي الآية تكرار للفظة (ليتني) ، وهو مستعمل في معنى التحسّر والندم، وهذا التمني المكرّر وإن كان مسوقا لابراز ندم وحسرته الظالم يوم القيامة ، فإنّه يدل كذلك على بلوغ الغاية في التعاسة والشقاء ، (٥) ومن هنا حسن هذا التكرار اللفظي في التعبير ، لدلالته على قوة المعنى ، وبلاغة التركيب من غير تطويل أو زيادة .

وقال تعالى : (إِلاَّ مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِم حسنات وكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً ، وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابَا) (٦) .

في ذكر قوله تعالى : (مَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً) بعد قوله (إِلاَّ مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً) تكرار لفائدة . فإنّ في الآية الأولى بيان لحال من تاب من أمهات المعاصي، وفي الثانية بيان لحال من تاب من جميع المعاصي فهو تعميم بعد تخصيص (٧) .

---

(١) أسرار التكرار في القرآن ـ ص ١٥٢ ـ ١٥٣ ـ تحقيق عبد القادر عطا ط٣ دار الاعتصام ١٩٧٨ .
(٢) سورة الفرقان ، الآية ٢٢
(٣) الكشاف ـ ج ٣ ـ ص ٢٧٣
(٤) سورة الفرقان ، الآية ٢٨
(٥) ينظر مع بلاغة القرآن ـ عبد الحميد العبيسي ـ (ق٢) ص ٧٩
(٦) سورة الفرقان ، الآية ٧٠ ـ ٧١
(٧) ينظر تفسير روح المعاني ـ ج ١٩ ـ ص ٥١ ـ الألوسي (ـ١٢٧٠هـ) ـ ط دار احياء التراث العربي بيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال الفخر الرازي (ـ٦٠٦هـ) : " إنّ هذا ليس بتكرير لأنّ الأول لما كان في تلك الخصال بيّن تعالى أنّ جميع الذنوب بمنزلتها في صحة التوبة منها ، وأنّ التوبة الأولى رجوع عن الشرك والمعاصي ، والتوبة الثانية رجوع إلى اللّه تعالى للجزاء والمكافأة كقوله تعالى : (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وإِلَيْهِ مَتَابِ) أي مرجعي " (١).

وليس في الآية تكرار كما يفهم من لفظ التكرار ، وإنّما هو تكرار لفائدة ، كما أنّ القالب الأدبي للمعنى مختلف في الآيتين ، وإن تكرّر معنى التوبة في سياق الحديث عن أمهات المعاصي فهو للتأكيد على هذا المعنى ، والترغيب في العمل به بعد الاقلاع عن الذنوب والمعاصي .

يستنتج من هذا أنّ ما ورد في السورة الكريمة من تكرار قليل لا يُعْدُ كونه ضرورة من ضروريات الخطاب البليغ الذي قد يتطلب الاطناب والتوكيد في مواطن ، كما يتطلب الايجاز والحذف في مواطن آخرى .

والتكرار بما له من خصائص معنوية وبيانية له وظيفته المهمة في عملية الاقناع والتأثير ، والهدف منه في القرآن الكريم بعامة هو بيان الحقائق ، وترسيخ الأصول في النفوس ، على غرار اخراج المعاني المتنوعة في صور بيانية مختلفة لتكون سمة من سمات الاعجاز في هذا الكتاب العظيم .

---

(١) تفسير الفخر الرازي ـ ج ٢٤ ـ ص ١١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(أســـــلوب الحـــــذف)

نسج القرآن الكريم خطابه على قدر حاجات النفوس جميعها تحقيقا لغايات الابلاغ والاقناع ، وقد قدّر بيانه أحسن تقدير معتمدا على قاعدة هي القصد في اللفظ مع الوفاء بحق المعنى ، ليخرج كلامه كاملا في معناه ، حسنا في نظمه ، لا يشوبه تطويل أو تقصير في أداء الأغراض المختلفة ، وبيان الحقائق المتنوّعة .

وسورة " الفرقان " نموذج متكامل لبلاغة القرآن العالية ، فهي لأداء أغراضها البيانية تستخدم الحذف في مواضع ، والذكر في مواضع أخرى على حسب ما يقتضيه المقام ، ويتطلبه الحال ، وهدفها البلاغي هو اخراج الخطاب في أبهى صورة .

وتستعمل السورة الكريمة الحذف للاستغناء عن فضول الكلام وزوائده من غير اخلال بنظام ، أو ابهام في الكلام ، وتكتفي بالدلالة عليه من السياق ، ويظهر ذلك في هذه الآيات الكريمة التالية :

قال تعالى : (فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلاَ نَصْرًا) [١] ففي الآية حذف لأداة الشرط وفعله لدلالة المقام عليهما ، والتقدير : إن قلتم هؤلاء آلهتنا فقد كذّبوكم [٢] . " وفي حذف فعل القول في هذه الآية استحضار لصورة المقام كأنّه مشاهد غير محكي ، وكأنّ السامع لآخر الآية قد سمع لهذه المحاورة مباشرة دون حكاية فقرع سمعه شهادة الأصنام عليهم ثم قرع سمعه توجُّه خطاب التكذيب إلى المشهود عليهم ، وهو تفنّن بديع في الحكاية يعتمد على تخييل المحكي واقعا " [٣] ، والغرض البياني للحذف في الآية هو الايجاز في التعبير ، والاستغناء عن الزوائد التي تُفهم من سياق الآيات .

وقال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ)[٤] .

الآية الكريمة مسوقة للرد على منكري الرسالة ، وهي قائمة على الايجاز والحذف ، " فالجملة الواقعة بعد (إلاّ) صفة لموصوف قد حذف ثقة بدلالة الجار والمجرور عليه ، وأقيمت هي مقامه ، والمعنى : ما أرسلنا أحدا قبلك من المرسلين إلاّ آكلين وماشين " [٥] .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ١٩

(٢) ينظر الكشاف - ج ٣ - ص ٢٧١

(٣) التحرير والتنوير - ج ١٨ - ص ٣٤١ - ٣٤٢

(٤) سورة الفرقان ، الآية ٢٠

(٥) تفسير أبي السعود - ج ٦ - ص ٢١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والغرض البلاغي للحذف في الآية هو تأدية المعنى كاملا بأوجز لفظ وأنقاه ، واقامة الدليل الواضح بأقل الألفاظ دلالة على الغرض المقصود ، كما أنّ المحذوف معلوم لدى المخاطب بدلالة السياق .

وقال تعالى أيضا في احتجاجه : (وقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرآنُ جُمْلَةً وَاحِدَة كذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) (١).

الرد القرآني على شبهة المنكرين في الآية قائم على الايجاز البليغ ، ولم يُقم القرآن الكريم في هذا المقام مجادلة مستفيضة مع المشركين حول قضية تنزيل القرآن منجما ، وإنّما اكتفى بالقول : (كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) وكأن الأمر لا يحتاج إلاّ إلى هذه الكلمات القلائل الدالة على أغراضها المقصودة .

وقد زاد ايجاز العبارة أن حُذف من الجواب بعد (كذلك) الجملة التوضيحية لمصدر (نُزِّل) ، والمعنى : كذلك نزّلناه تنزيلا لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا (٢).

وقد يفهم من هذا أنّ المنكرين طلبوا أن ينزل القرآن الكريم جملة مثلما نزّلت الكتب السماوية السابقة ولكن أنزل اللّه القرآن مفرقا لغاية هي تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم .

والفائدة البلاغية للحذف هنا هي اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ الواضح النفي ، على غرار الاستغناء عن الزوائد والفضول لسياق الكلام في أبهى صورة مؤدية غرضه المراد دون اسراف أو تقتير .

ومن صور الايجاز في بعض الآيات حذف القسم مع اقامة الدلائل على ذلك المحذوف كما في قوله تعالى : (لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً) (٣)

وتقدير الكلام : واللّه لقد أضلني فلان عن ذكر اللّه تعالى أو عن موعظة الرسول عليه الصلاة والسلام ، أو عن كلمة الشهادة أو عن القرآن (٤) ، وقد دلت " اللام " وسياق الآية على هذا القسم المحذوف الذى يفيد المبالغة في بيان ندم وحسرة الظالم يوم القيامة .

ومثل هذا الحذف نجده في قوله تعالى : (ولَقَد ءَاتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا) (٥).

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٣٢

(٢) ينظر الكشاف - ج ٣ - ص ٢٧٨

(٣) سورة الفرقان ، الآية ٢٩

(٤) تفسير روح المعاني - ج ١٩ - ص ١٣

(٥) سورة الفرقان ، الآية ٣٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فحُذِفَ القسم الذى دلت عليه (اللام) والمعنى : وباللّه تعالى لقد آتينا موسى الكتاب ، وقال تعالى ايضا : (ولَقَد أَتَوا عَلَى القَرْيَةِ التِي أُمْطِرَت مَطَرَ السوء) (١) فحذف القسم أيضا فكان المعنى : وباللّه تعالى لقد أتوا على القرية .

وتبقى دلالة الحذف في هذه الآيات على المعنى الكامل الوافر في اللفظ القليل النقي .

وفي سياق السرد القصصي يُحذف من الكلام قدر من الجمل التي يمكن للمخاطب أن يدركها من السياق كما في قوله تعالى : (فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى القَوْمِ الذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُم تَدْمِيرًا) (٢)

فهذه قصة مختصرة ذكرت الآية أولها وآخرها ، لانهما المقصود من القصة ، وهو : الزام الحجة ببعثة الرسل ، واستحقاق التدمير بتكذيبهم (٣) ، وحذف منها بعض الأجزاء التي يمكن للمخاطب أو السامع أن يدركها مع هذا الايجاز ، والاصل في المعنى : فقلنا : اذهبا إلى القوم فذهبا إليهم ، ودعوهم إلى الايمان ، فكذبوهما ، واستمروا على ذلك ، فدمرناهم تدميرا (٤) .

والغرض البلاغي للحذف في هذا المقام ، هو أن تُعرض القصة المختصرة بايجاز ، وقد حذفت منها تفصيلات جزئية يمكن للمخاطب أن يعرفها من السياق ، وبقيت العناصر الجوهرية المقصودة من القصة في هذا المقام ، والتي تتلاءم مع الموضوع الأساسي للسورة الكريمة .

وفي مقام الاستدلال يقول تعالى : (الذِى خَلَقَ السَموات وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ الرَّحْمَـنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا) (٥) .

فقد حُذفت من الآية جملة الشرط قبل قوله (فاسأل به خبيرا) ، " والمعنى إن شئت تحقيق ما ذُكر ، أو تفصيل ما ذكر فاسأل معنيًّا به خبيرا عظيم الشأن ، محيطا بظواهر الأمور وبواطنها ، وهو اللّه عزّ وجل ، يطلعك على جلية الأمر " (٦) .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٤٠
(٢) سورة الفرقان ، الآية ٣٦
(٣) ينظر الكشاف ـ ج ٣ ـ ص ٢٨٠
(٤) نفسه ـ ج ٣ ـ ص ٢٨
(٥) سورة الفرقان ، الآية ٥٩
(٦) تفسير البحر المحيط ـ ج ١٩ ـ ص ٣٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاستغناء عن المحذوف في هذا التعبير القرآني ، مع وجود ما يدل عليه من الحال ، هو من الايجاز البلاغي ، ولو ظهر هذا المحذوف في الكلام لأختل النظم ، ولذهب رونق التعبير .

وقد يحذف من الآيات بعض المفردات لأغراض بلاغية ، وفوائد معنوية ، مثل قوله تعالى : (وعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وإِذَا خَاطَبَهُم الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) (١).

حذف الموصوف في قوله (هونا) إذ التقدير : مشيا هونا . والغرض البلاغي هو المبالغة في الوصف مع الدلالة على معاني التواضع والتأدب بالآداب العالية التي يتصف بها عباد الرحمن .

وحذف الفعل في قوله (سلامًا) والتقدير : سلمنا سلامًا . والفائدة المعنوية للحذف هنا هي الدلالات المعنوية التي تستفاد من المصدر (سلاما) ، فقد تكون بمعنى التَسَلُم منكم ولا نجاهلكم ، أي نترككم ولا خير بيننا ولا شر ، وقد تكون بمعنى السداد، أي قالوا قولا سديدا يسلمون فيه من الايذاء والاثم (٢) . وقد تكون لفظة للتحية .

وهذه المعاني كلّها مناسبة في مقام الرد على الجاهلين . ومثل هذا الحذف نجده أيضا في قوله تعالى : (قُل مَا يَعْبَؤُا بِكُم رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُم فَقَدْ كَذَّبْتُم فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا) (٣).

فحذف اسم (يكون) من قوله (يكون لزاما) ، فقيل " إن الضمير عائد إلى التكذيب ، أي : سوف يكون تكذيبهم لزاما لكم ، أي لازما لكم لا انفكاك لكم منه ، والغرض البلاغي هنا هو التهديد بعواقب التكذيب تهديدا مُهولا بما فيه من الابهام كما تقول للجاني : قد فعلت كذا فسوف تتحمل ما فعلت " (٤).

وقيل هو عائد إلى العذاب ، أي يكون العذاب لزاما (٥) ودخل هنا معنى الوعيد لما سوف يحل بهم من العذاب في الآخرة ، وما قد حل بهم في الدنيا من قتل وهزيمة .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٦٣
(٢) ينظر الكشاف - ج ٣ - ص ٢٩١
(٣) سورة الفرقان ، الآية ٧٧
(٤) تفسير التحرير والتنوير - ج ١٩ - ص ٨٦
(٥) الكشاف - ج ٣ - ص ٢٩٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يستنتج من هذا كلّه أنّ الحذف الذى قد يلحق بالجمل والمفردات يأتي لغايات بلاغية ، وفوائد معنوية متى قامت الدلائل الوفيرة على ذلك المحذوف ، فهو أسلوب بلاغي ، ووسيلة تعبيرية يمكن بها الاستغناء بالقليل من الكلام عن الكثير ، وبها يُعتبر اللفظ القليل الوجيز عن المعنى الغني الوفير .

والقرآن الكريم قد نسج خطاباته على قدر حاجات النفوس تحقيقا لرغباتها المختلفة ، فاستخدم أسلوب الحذف في تعبيره ، لأنّه من فنون الكلام البليغة وأحد عناصر الكمال في التعبير التي تساهم في الوظيفة البلاغية والاقناعية التي يهدف إليها القرآن الكريم . وكان أحد الخصائص الأسلوبية التي تجلت في بناء السورة الكلي وهو القصد في اللفظ مع الوفاء بحق المعنى ، فجاء تعبيره كاملا في معناه نقيا في لفظه ، محكما في نظمه وتأليفه ، وهذا سمة من سمات اعجاز هذا الكتاب العظيم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٤) الخصائص الفنية للتعبير في السورة الكريمة :

إنّ التنويع في أساليب البيان ووسائل الاقناع ظاهرة بارزة في سورة " الفرقان "، فقد تبيّن بعد الدراسة التطبيقية أنّ التعبير القرآني يبلغ غايته من الإقناع والامتاع بتوافر وتكامل هذه الاساليب التي هي كفاء المعاني والأغراض التي تهدف إليها السورة ، كما ظهر أنّ هذا التنويع في الأساليب يفي بحاجات النفس الانسانية ، فيضرب على أوتارها المتعددة ، ويخاطب القوى العقلية والوجدانية فيها ، ويحملها على الاقتناع والاذعان للحقائق التي يسوقها ، وتحقيق هذه الغاية يعود أساسا إلى الخصائص الفنية للتعبير ، والتي بها بلغ الكلام ذروة البلاغة ، وحقق التأثير المطلوب، وهي الدلالة المعنوية للألفاظ والعبارات ، وطريقة العرض ، والتناسق الفني والايقاع الموسيقي للكلمات والعبارات .

(أ) الدلالة المعنوية للألفاظ والعبارات :

يقوم الكلام البليغ على جودة الربط ، وحسن النظم ، بين اللفظ الفصيح ، والمعنى الصحيح ، ولا يمكن أن يُفصل في عملية التوصيل بين اللفظ الدال والمعنى الذى هو به قائم ، ولا أن يُعطى لأحدهما أهمية على الآخر ، لأنّ لكل واحد منهما خصوصيته ، وخير الكلام ما تسابق لفظه ومعناه ، لفظه الى السمع ، ومعناه إلى القلب .

والقرآن الكريم هو المثل الأعلى في سموّ البلاغة ، وبراعة التأليف ، " وقد صار معجزا لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصحّ المعاني ... واضعا كلّ شيء - منها - موضعه الذى لا يُرى شيء أولى منه ، ولا يُرى في صورة العقل أمر أليق منه " (١) .

ومن هنا فإن القرآن الكريم مثلما يختار الألفاظ المعبّرة يختار المعاني الصحيحة المناسبة للغرائز الانسانية ، والعواطف البشرية ليكون لها من السلطان على النفوس ، ذلك أنّ انتقاء عناصر الموضوع له قيمته في التأثير ، وليس رونق اللفظ وحده هو الذى له ذلك السلطان الخفي (٢) ، وهذا ما يفسّر اقتناع بعض الأعاجم بالحقائق القرآنية بعد قراءة القرآن الكريم بغير اللغة العربية ، وما كان يشدّهم هو صحة المعنى وسلامته ومناسبته للفطرة الانسانية المستقيمة .

---

(١) بيان اعجاز القرآن - ص ٢٧ - ٢٨

(٢) ينظر من بلاغة القرآن - أحمد بدوى - ص ٢٥٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت المعاني التي أوردتها سورة " الفرقان " المكية تدور حول قضايا العقيدة الأساسية ، وهي الوحدانية والرسالة واليوم الآخر ، وهي الدعائم الرئيسية في الرسالات السماوية كلّها ، وكان غرض السورة ترسيخ هذه الأسس ، ومزج تعاليمها بالقلوب .

وامتازت هذه المعاني القرآنية بالحجّة والوضوح ، والدقة والشمول ، وجاءت مناسبة للقوى العقلية والوجدانية في النفس البشرية ، حتّى في مواطن جدلها العنيف كانت تسوق المعاني البديهية القريبة إلى الفطرة السليمة دون الدخول في المجادلات الذهنية العقيمة ، كما تبيّن في الاستدلال على تنزيل القرآن الكريم من اللّه العظيم ـ وهو المحور الأساسي في السورة ـ بقوله تعالى : (قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا)[١] ان الأمر لا يحتاج الى أكثر من هذا ، فهذه حقيقة بديهية واضحة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

والخصوصية في اللفظ أصل الدقة في التعبير ، والوضوح في المعنى ، والصدق في الدلالة [٢]، لهذا كان القرآن الكريم يختار ألفاظه بعناية فائقة ، ويستخدمها في مكانها المناسب بحيث تدل دلالة تامة على معانيها بدقة ووضوح وصدق .

ولا تقف وظيفة اللفظ في القرآن الكريم عند حدّ التعبير عن المعنى المراد فحسب بل تتعداه إلى ما يوحيه من صور ، وما يتركه من آثار في النفس الانسانية ، ومن هنا تأنقت السورة في اختيار الألفاظ الدالة والمصوّرة للمعنى أكمل تصوير ، خذ لذلك مثلا كلمة (الفرقان) التي ذكرت في بداية السورة بدلا من (القرآن) أو (الكتاب) أو غير ذلك من أسماء القرآن الكريم ، تجد أنّها استُعملت في قوله تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ)[٣] لتناسب السياق الجدلي للسورة ، ولتشير إلى أنّ هذه الآيات المنزلة ستُفرق بين الحق والباطل ، ولتبيّن وظيفة القرآن وحقيقته ، فهو كتاب ينطق بالحق ليبطل الباطل ولو كره المجرمون[٤] ، ثم تعدل الآيات عن استعمال هذه الكلمة في موضع آخر ، وتستعمل كلمة (القرآن) في قوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً)[٥] لورودها في شبهة المنكرين ، ولدلالتها على المعنى الحقيقي والأصلي ، ولا يمكن بأية حال استعمال كلمة (الفرقان) أو غيرها في هذا المقام .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٦

(٢) دفاع عن البلاغة ـ أحمد حسن الزيّات ـ ص ٩٦

(٣) سورة الفرقان ، الآية ١

(٤) ينظر مع بلاغة القرآن ـ عبد الحميد العبيسي ـ ق ٢ ـ ص ١٦

(٥) سورة الفرقان ، الآية ٣٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الامثلة على دقة اختيار السورة لألفاظها قوله تعالى : (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا) (١) فقد قيل الخلق هو التقدير ، وكأنّه تعالى قال : وقدّر كل شيء فقدره تقديرا ، والصواب أنّ كلمة الخلق هي بمعنى الايجاد من العدم ، وكلمة التقدير هي أن يُهيأ المخلوق الهيئة المناسبة لأداء المصلحة التي خُلق من أجلها ، ولذلك قال الزمخشري رحمه الله - (ـ٥٣٨هـ) : " المعنى أنّه أحدث كلّ شيء إحداثًا مُراعًى فيه التقدير والتسوية ، فقدره وهيأه لما يصلح له ، مثاله أنّه خلق الانسان على هذا الشكل المقدّر المسوى الذى تراه ، فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا ، كذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بأمثلة الحكمة والتدبير " (٢).

فالسورة الكريمة تنتقي اللفظ الدال على معناه بدقة ، وتضع كلّ كلمة في موضعها المناسب الذى هي أحق به ، وتفضل في الغالب من الألفاظ ما كان له قدرة على تصوير المعنى أتمّ تصوير (٣) .

وامتازت ألفاظ السورة بالجزالة والعذوبة ، والرقة والفخامة ، وهي مميّزات الألفاظ القرآنية بعامة .

أما عبارات السورة التي كونتها هذه الكلمات المختارة ، فقد جاءت في تركيبها على نسق معين يشكل البناء المنسجم والكامل للسورة ، ولا تجد في هذا البناء ضعفا في التأليف ، ولا اختلالا في النظم ، ولا تنافرا بين الأجزاء ، ولكن دقة ترتيب ، وحسن تنسيق ، وهذا هو الذى يوفر التجانس والربط الطبيعي بين المواد التي تناولتها السورة الكريمة .

ومن الأمثلة على تناسق العبارات وانسجامها قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) (٤) .

فالناظر الى هذه الآيات نظرة تأمل وتدبر يلاحظ ما يلي :-

(١) يعتمد التعبير على اختيار الكلمات الدالة والمصوّرة لمعانيها بدقة ووضوح ، مثل (بُشْرًا) و (طَهُورًا)و (نُحْيِيَ) و (مَيْتًا) و (صَرَّفْنَاه) و (أَبَى) وغيرها من الألفاظ الموضوعة في مواضعها المناسبة لها (٥) .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٢

(٢) الكشاف - ج ٣ - ص ٢٦٣

(٣) ينظر أسلوب التصوير في الجانب التطبيقي من هذا البحث .

(٤) سورة الفرقان ، الآية ٤٨ - ٥٠

(٥) ينظر ما كتبه الزمخشري (ـ٥٣٨هـ) رحمه الله في كشافه عن دقة الاستعمال القرآني للالفاظ في هذه الآيات - ج ٣ - ص ٢٨٤ ، ٢٨٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢) تمتاز العبارات بجودة النظم ، وحسن التركيب ، بحيث لا تجد تعقيدا ولا تنافرا بين الكلمات ، وكأن كل كلمة وضعت في المكان الذى خُلقت له ، ولو حذفتها أو قدمتها أو أخرتها لأختل النظام ، وتزعزع البناء ، والآيات بتناسقها تعرض مشهدا كونيا شاخصا متكامل الأجزاء ، متناسق الظلال .

(٣) وتتسلسل هذه العبارات تسلسلا منطقيا في عرض الحقائق الكونية وربطها بالحقائق الدينية في تناسب عجيب ، والتفات بديع ، فالرياح المرسلة التي تثير السحب وتبعث البشرى في قلوب الناس بنزول المطر المحي للأرض وما عليها من دواب وبشر ، هي ظاهرة كونية مشابهة للظاهرة الدينية المتمثلة في نزول الوحي الالهي المحي القلوب الميتة ، والمطهر للنفوس السقيمة ، ولذلك قال تعالى : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) .

(٤) تمتاز العبارات بالقصر والايجاز ، وهي خاصية التراكيب في السورة كلّها ، وفي أغلب السور المكية .

من ذلك يخلص إلى أنّ السورة الكريمة تختار ألفاظها بدقة وعناية فائقة ، وتركب عباراتها من هذه الألفاظ المنتقاة في نظم دقيق ، وتناسق بديع ، وترتبط بين عباراتها باحكام وتلاؤم لتشكل البناء الكامل الذى يحقق السحر المنشود ، والتأثير المطلوب .

" والحق أن الألفاظ والصيغ إذا ما استخدمت بحذق ، اتفق لها من السلطان الخفي ما عزاه إليها المؤمنون بالسحر فيما مضى ، والحق أنّها تثير في روح الجماعات أشدّ العواصف هولاً كما أنّها توجب سكونها " (١) .

(ب) طريقة العرض :

اشتملت سورة " الفرقان " على معاني كثيرة ، وقصدت تحقيق أغراض سامية ، فاختارت للتعبير عن **هذه المعاني وتلك الأغراض طرق** العرض المناسبة التي تجمع بين البيان والتوضيح ، وتحقق الاقناع والتأثير ، ذلك " أنّ طريقة الأداء حاسمة في تصوير المعنى ، وأنّه حيثما اختلفت طريقتان للتعبير عن المعنى الواحد اختلفت صورتا هذا المعنى في النفس والذهن ، وبذلك ترتبط المعاني وطرق الأداء ربطا لا يجوز الحديث بعده عن المعاني والألفاظ كلّ على انفراد " (٢).

---

(١) روح الجماعات - جوستان لوبون - ص ٩٦

(٢) التصوير الفني في القرآن - سيد قطب - ص ٢٤٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تبيّن بعد الدراسة التطبيقية للأساليب الاقناعية في السورة أن التنويع في هذه الأساليب البيانية والتصويرية ظاهرة بارزة لها أهدافها البلاغية ومقاصدها النفسية ، كما ظهر أن لطريقة العرض بالأسلوب التصويري حضور واضح في أغلب آي السورة ، حتّى في تلك المواضيع التي يكثر فيها الجدل والاستدلال .

والحق أنّ لهذه الطريقة المتبعة في العرض الفضل في ابراز المعاني في صورتها الجميلة ، وتحقيق الأغراض الدينية والبيانية التي يريد أن يصل إليها الخطاب القرآني بمخاطبة منافذ النفس المتعددة ، ومن هنا كان الجمال الفني الذى اتسم به التعبير هو نتاج هذه الطريقة المتبعة في عرض الحقائق .

(جـ) التناسق الفني :

إنّ الناظر في سور القرآن الكريم يرى بجلاء ووضوح أنّ لكل سورة فيه نسقا **خاصا وايقاعا موسيقيا متميّزا** له وقعه على الأسماع . وقد انشغل الدارسون قديما وحديثا بايجاد النكت البلاغية والمعنوية ، والتعليلات النفسية والفنية لهذا التناسق البديع ، وكانت لهم آراء كثيرة منها أنّ هذا التناسق هو في تأليف العبارات بتخيّر الألفاظ ونظمها في نسق خاص ، وهو أيضا في اختيار الفواصل المتقاربة والمتفقة مع السياق ،وهو أيضا في التسلسل المنطقي والمعنوى للموضوعات المعروضة ، وهو أيضا في ذلك التصوير الذى يضفي جمالا فنيا ، وايقاعا موسيقيا في الكلمات والعبارات على السواء (١) .

وسيكون التركيز في دراسة خصائص التعبير في سورة الفرقان على التناسق الفني في التصوير الذى تعتمد عليه السورة في عرض قضاياها المختلفة .

(١) التناسق في الألفاظ والعبارات المصوّرة :

ذُكر في السابق أن بعض الألفاظ لها قدرة كبيرة على التصوير ، يضاف إلى ذلك أنّ الكلمة الواحدة المصوّرة تأتي منسجمة متناسبة مع الجو العام للمشهد المعروض ، وهذا من التناسق الفني الناتج عن كلمة واحدة ، خذ لذلك مثلا كلمة (يَخِرُّوا) في قوله تعالى : (وَالذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِم لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا) (٢) .

فهي ترسم صورة شاخصة يتصور فيها الخيال هؤلاء الذين أعرضوا عن آيات الله أجساما منكبة على وجوهها لا تبصر ولا تسمع شيئا ، وبذلك تصور حركة الغفلة والانطماس والتعصب الأعمى ، وتنفيها عن الذين ذكروا بالآيات فسمعوا وتدبروا (٣) .

---

(١) ينظر التصوير الفني ـ سيد طقب ـ ص ٨٧ ـ ٩٠

(٢) سورة الفرقان ، الآية ٧٣

(٣) ينظر في ظلال القرآن ـ ج ٥ ـ ص ٢٥٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما التناسق في العبارات المصورة فواضح في المشاهد المعروضة كلّها ، بحيث تجد انسجاما كاملا وربطا محكما بين أجزاء الصورة سواء كان المشهد المعروض طويلا أو قصيرا ، ومثال ذلك قوله تعالى : (وقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) (١).

فقد رسمت العبارة في لحظة قصيرة صورة متناسقة للهباء المنثور الذى بددته السيد الالهية الخفية ، فلم يعبد صالحا لأن ينتفع به ، وهذا هو الضياع المؤكد الذى يلحق بالكافرين يوم القيامة .

(٢) التناسق بالتقابل :

التقابل طريقة من طرق التصوير ، ومظهر من مظاهر التناسق الفني فيه (٢) ، وقد حفلت السورة الكريمة بالكثير من المقابلات بين الحق والباطل وأهل هذا وذاك ، وبدا ذلك واضحا في مشاهد القيامة التي ساقتها ، فمن ذلك قوله تعالى : (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) (٣).

فقد عرضت الآيات مشهدين متقابلين بين أحوال الكافرين والمؤمنين يوم الحشر ، ففي الصورة الأولى جو كئيب كلّه هول واضطراب ، يُرى فيه الكافرون في موقف حرج بعدما حلّت بهم النازلة الكبرى ، وهم لا يجدون سبيلا للنجاة إلّا التلفظ بتلك الكلمات التي كانوا يستعيذون بها في دنياهم من شر عدو يريدون لقاءه ؛ وفي الصورة الثانية جو هادىء كلّه طمأنينة واستقرار ، ويرى فيه المؤمنون متمتعين بالنعيم المقيم .

وهذه المقابلة بين صورتي العذاب والنعيم لها قيمتها الفنية كما لها قيمتها الدينية أيضا .

ونجد مثل هذا التقابل بين جو العذاب وجو النعيم أيضا في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) (٤) وقوله تعالى : (أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) (٥).

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٢٣

(٢) ينظر التصوير الفني في القرآن - سيد قطب - ص ٩٦ - ١٠١

(٣) سورة الفرقان ، الآية ٢٢ - ٢٤

(٤) سورة الفرقان ، الآية ٦٦

(٥) سورة الفرقان ، الآية ٧٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣) الايقاع الموسيقي :

" إنّ في القرآن ايقاعا موسيقيا متعدّد الأنواع ، يتناسق مع الجو ويؤدى وظيفة أساسية في البيان ... فقد جمع النسق القرآني بين مزايا النثر والشعر جميعا ، وأُعفي في التعبير من قيود القافية الموّحدة والتفعيلات التامة ، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة ، وأخذ في الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية ، والفواصل المتقاربة في الوزن التي تُغني عن التفاعيل ، والتقفية المتقاربة التي تغني عن القوافي "(١).

وسورة الفرقان كغيرها من سور القرآن تمتاز بجمال التعبير ، وبراعة التصوير يضاف إلى ذلك الايقاع الموسيقي المتميّز الذى يشد الأسماع ، ويسحر النفوس ، وهو لون من ألوان التناسق الفني في البناء الكلّي للسورة ، ولا يعتمد هذا الايقاع الموسيقي على وزن أو تفعيلة أو قافية موّحدة كما هو الشأن في موسيقى الشعر العربي ، ولكنّه ينبعث من النظم الخاص في كلّ موضع من مواضع السورة ، ومن تقارب الفواصل وانسجامها ، ومن تلك الموسيقى الداخلية الخفية الناتجة عن تركيب الحروف في الكلمات ، وتركيب الكلمات في الآيات .

ويلاحظ أولا أن فواصل السورة متقاربة في الوزن ، مختلفة في حروف الروّى ، لكن تنتهي كلها بحرف الألف ، ما عدا فاصلة واحدة في قوله تعالى : (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ) (٢) ، وكلمة (السَّبِيلَ) منسجمة تماما مع التقفية الموحدة ، أما حروف الروّى فهي الراء ، والميم ، واللام ، وهي من الحروف المستعملة كثيرا في القرآن الكريم لانسجامها وتلاؤمها ، ومن هذه المعطيات كانت الفواصل أحد عناصر الايقاع الموسيقى في السورة .

ويلاحظ ثانيا أنّ الموسيقى الداخلية التي تنبعث من تآلف الحروف في الكلمات ، ومن انتظام الكلمات في العبارات هي عنصر آخر للايقاع الموسيقى ، ودليل ذلك هذا المقطع من السورة ، قال تعالى : (وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا) (٣).

---

(١) التصوير الفني في القرآن ـ سيد قطب ـ ص ١٠١ ، ١٠٢

(٢) سورة الفرقان ، الآية ١٧

(٣) سورة الفرقان ، الآية ٦٣ ـ ٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذه الفواصل متساوية في الوزن ، ومتّحدة في حرف الروّي تماما ، على غرار ذلك يعتمد ايقاعها الوسيقى على تلك الموسيقى الداخلية التي تشد الأسماع ، فالحروف التي تألفت منها الكلمات لها ايقاع خاص ، فقد رُددت بعض الحروف مثل النون (١٨ مرة) ، والميم (١٢ مرة) ، والباء (٧ مرات) ، والسين (٥ مرات) في هذا المقطع لبعث موسيقى داخلية لها وقعها على الأسماع ، كما أنّ انسجام الكلمات في العبارات وانتظامها بشكل دقيق مظهر آخر لهذه الموسيقى الداخلية ، فمثلا في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ أُخرت كلمة (قِيَامًا) عن (سُجَّدًا) مراعاة للفاصلة ولتناسق الأسلوب ، مع الاشارة إلى الاهتمام بالسجود [١] وتفي العبارة إذن بالغرض **الديني والبياني معا** .

وكذلك كلمة (هَوْنًا) في قوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ قد استعملت للدلالة على الموصوف المحذوف وهو (مشيًا هَوْنًا) ، **ولو** استعملت كلمة (مشيا) في التعبير فقلت : يمشون مشيا هونا ، لاختل الايقاع الموسيقى ، ولذلك حسن الحذف في هذا المقام ، ودلّت الكلمة على المعنى المراد .

ونجد أنّ كلمة (مُقاما) في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ قد استعملت بعد كلمة (مستقرا) ، والكلمتان بمعنى واحد مع بعض الاختلاف في دقة المعنى ، فقد قيل : المستقر : مكان الاستقرار ، والمقام : اسم مكان الاقامة ، [٢] وقيل المستقر للعصاة ، والمُقام للكفرة [٣] ، وهذا من حيث الغرض البلاغي ، لكن لو حذفت كلمة (مقاما) من الجملة لاختل الايقاع الموسيقى للتعبير ، ولذلك زيدت هذه الكلمة ، وبزيادتها جاء المعنى دقيقا ، والتعبير جميلا .

---

(١) ينظر تفسير التحرير والتنوير - ج ١٩ - ص ٧٠

(٢) نفسه - ج ١٩ - ص ٧١

(٣) تفسير روح المعاني - ج ١٩ - ص ٤٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتـــمـــة :

وبعـــد : فهذه خلاصة مجملة لأهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث :

(أ) إنّ مفهوم الاقناع عند البشر هو أن تحمل بكلامك إنسانا ما أو جماعة على اعتقاد رأى للعمل به أو التخلي عن اعتقاده ، وشرطه ألّا تستعمل فيه طرق الاكراه والقسر ، أما حين تستعمل مثل هذه الطرق كالتعذيب مثلا - لاذعان النفس على الايمان بعقيدة أو التخلي عنها - كما يحدث في بعض الديانات الباطلة والمحرّفة - فليس هذا اقناعا ما دام أنّه حدث بغير رضا النفس ، ومن هنا فالاقناع هو رضا النفس بكامل جوانبها بالشيء المعتقد بعيدًا عن أي عامل خارجي ، ويأتي الاتباع نتيجة لهذا الاقناع .

(ب) إنّ القرآن الكريم - وهو كتاب الانسانية الخالد - قد اجتمعت له عناصر الاعجاز، وتحققت فيه شروط الاقناع ، وتمثلت فيه جميع خصائص البيان العالي، والتي بها أثر في القلوب وأمتع ، وهزّ النفوس وأقنع ، وحملها على الاذعان للحق واتباع سبيله . ولا نعلم كتابا آخر كان له من التأثير وفي كلّ العصور مثلما كان للقرآن الكريم وذلك راجع لخصائصه التالية :

(١) توافقه الفطرى مع أسلوب الناس في التفكير والشعور .

(٢) اعتماده على المناهج الواضحة ، والأدلة الظاهرة التي تشبع العقل والقلب .

(٣) استجابته لما تتطلع إليه النفس الانسانية في قضايا العقيدة والسلوك ، وتقديمه التفسيرات المناسبة للوجود الانساني .

(٤) اشباعه لحاجات النفس البشرية ، وتلبيته لرغباتها بما يتناسب مع الفطرة السليمة .

(ج) إنّ البلاغة القرآنية هي سر الاعجاز ، وأداة التوصيل والاقناع ، وهي الوسيلة التي تتحقق بها شروط الاقناع والامتاع ، وقد حرص القرآن الكريم ببلاغته العالية على أن يلتقي بالنفس البشرية في جوانبها كلّها ، فخاطب العقل ، وهزّ الوجدان ، وحرّك غريزة حبّ الاستطلاع ، ودخل من منافذ النفس جميعها دون الاعتماد على جانب وتعطيل آخر ، ولم يعتمد في اقناعه بالوسائل البلاغية على الاستدلال العقلي المجرّد ، ولا على الخطاب الوجداني المؤثر على نحو ما نجد عند البشر ، وإنّما أخذ بالأسباب التي تُراعي ملكات النفس جميعها ، ليقنع الناس على تباين أصنافهم واختلاف مستوياتهم الثقافية والفكرية ؛ وأكبر قدر من الاعجاز القرآني يرجع إلى هذا الجانب لأنّه لا يقدر على هذا الصنيع إلّا العليم بخبايا النفوس وأسرارها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(د) إذا كانت البلاغة القرآنية قد استطاعت أن تملك على الانسان نفسه بتحقيقها شروط الاقناع والامتاع ، فذلك راجع كذلك إلى توفيرها لعناصر الكمال في التعبير ، والتي بواسطتها يبلغ الكلام موضع الاقناع من العقل والقلب معا ، وتتمثل هذه العناصر اجمالا في صحة المعنى ودقته ، وجمال طريقة العرض وتنوّعها ، وتفرد الايقاع الموسيقي وتميّزه ، ومثل هذه العناصر لا مثيل لها ، ولا يلحق بشأوها أيّ كلام .

(هـ) تعدد الوسائل البيانية ، والأساليب الاقناعية في القرآن الكريم مناسب للفطرة الانسانية ، فالوظيفة الأولى للخطاب القرآني هي تغيير النفوس ، وبناؤها من جديد على عقائد سليمة ، وهذا التغيير يستوجب تنويعا في الوسائل والأدوات لتباين النفوس في تفكيرها وطبائعها وسلوكها ،كما أنّ الكلام البليغ يقتضي هذا التنويع المناسب لمقامات المخاطَبين ، وحالات السامعين ، ومن هنا جاءت هذه الأساليب التي عرضت لها في الجانب النظري من الدراسة دليلا على هذا التنويع ، وقد تبيّن لي أنّ لها من الخصائص البلاغية والفنية والمعنوية ما يجعلها من أبرز الأساليب في مجال الاقناع ، ومن جملة هذه الخصائص ما يلي :

(١) إنّ هذه الأساليب قادرة على مخاطبة قوى النفس جميعها من تحريك عقل ، وهز عاطفة ، واشباع رغبة .

(٢) وإنّها تملك من القدرة على أداء المعاني المتنوعة بدقة وشمول بما يفي بحاجات النفوس في العصور كلّها .

(٣) وإنّها من الفنون البليغة التي تخاطب البداهة والحس باعتمادها على طرق التصوير ، ومثال ذلك أسلوب الجدل في الاستعمال القرآني وكيف أنّه ابتعد عن جفاف المنطق ، وتعقيدات الفكر ، وقيود الفلسفة ، وسيق بطريقة بيانية تشبع العقل والقلب معا .

وأشير إلى أنّ هذه الأساليب هي بعض الوسائل القرآنية الكثيرة ، وهي متكاملة متجانسة في أداء الوظيفة الاقناعية .

(و) سورة " الفرقان " المكية هي أنموذج متكامل للاقناع القرآني ، وقد اتضح بعد الدراسة التطبيقية عليها أنّها سورة تشكل وحدة متكاملة الجوانب ، متناسقة الأجزاء ، يصعب فصل بعضها عن بعض ، وأنّها تهدف إلى غرض واحد ، وتدور حول موضوع رئيسي ، وظهر أنّها تنوع في أساليب البيان ووسائل الاقناع ، وقد بلغ التعبير فيها ذروة البلاغة بتوافر وتكامل هذه الاساليب جميعها ، وبعد دراسة الخصائص الفنية للتعبير في السورة تبيّن أنّ المعاني قد امتازت بالصحة والوضوح ، والدقة والشمول ، وأنّ الألفاظ قد اختيرت بعناية فائقة وجمعت بين الجزالة والعذوبة ، والرقة والفخامة ،كما اتضح أنّ السورة الكريمة قد اختارت طريقة العرض التصويرية للتعبير عن معانيها ، وأداء أغراضها ،كما تبيّن أنّ التناسق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفني فيها قد ظهر في انسجام الكلمات في العبارات ، وفي التسلسل المنطقي والمعنوى للموضوعات المعروضة ، وفي الايقاع الموسيقى المتميّز الذى انبعث من النظم الخاص في كل موضع من مواضع السورة ، ومن تقارب الفواصل وانسجامها ، ومن الموسيقى الداخلية الخفية الناتجة عن ترتيب الحروف في الكلمات ، وتركيب الكلمات في الآيات ٠

وأنهي هذه الخاتمة بهذه التوصية وأتوّجه إلى الباحثين المتخصصين إلى ضرورة دراسة الأساليب القرآنية بالطريقة التي تقرب مقاصد القرآن إلى أفهام الناس ، وذلك بالتركيز على الخصائص الاقناعية والبيانية التي يتميّزبها الأسلوب ، وكيف ساهم في الوظيفة البيانية التي يرمى إليها التعبير القرآني ، ودراسة السور القرآنية دراسة متكاملة تجمع بين التحليل البياني والموضوعي للوقوف عند الغرض الأساسي لكل سورة ، وكيف تتلاحم العناصر جميعها لأداء هذا الغرض ، وذلك أجدى على الناس من تتبع الجزئيات في كل سورة ٠

وأخيرا : اللّه تعالى أسأل أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن يتقبله مني ويجعله في ميزان الحسنات يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ٠

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصـــادر :

١ ـ الاتقان في علوم القرآن ـ (السيوطـــي) ـ عـبـد الرحمن بن أبى بكـر (ـ٩١١هـ) ط دار المعرفة ـ بـــيروت ٠

٢ ـ ارشـاد العقـل السليم الى مزايـا الـقـرآن الكريـم ٠
(أبو السعود) ـ محمـد بن محمـد بن مصطفى الطحاوى (ـ٩٥٢هـ) ط دار احياء التراث العربـي ـ بـيروت ٠

٣ ـ أسـرار البلاغـة ـ (الجرجانـي) عـبـد القاهـر (ـ٤٧١ أو ٤٧٤هـ) تحقيق هـ٠ ريـتر ـ ط ٢ مطبعـة وزارة المـعـارف ١٩٧٩م

٤ ـ أسرار التكرار في القرآن ـ (الكرمانـي) محمـود بن حـمـزة (ت بعـد ٥٠٠هـ) تحقيـق عـبـد القادر عـطـا ـ ط ٣ دار الاعتصام ١٩٧٨م ٠ القاهـرة ٠

٥ ـ اعجـاز الـقـرآن ـ (الباقـلاني) أبـو بكـر محمـد بن الطيّـب (ـ٤٠٣هـ) تحقيـق أحمـد صقـر ، ط ٤ دار المـعـارف ، مصـر ٠

٦ ـ الجـام العـوام عن علم الكلام ـ (الغزالي) ـ أبو حامـد (ـ٥٠٥هـ) تصحيـح وتعليـق محمـد المعتصم باللّـه البغدادى ـ ط ١ دار الكتـاب العربي ، بـيروت ١٩٨٥م

٧ ـ أمالي المرتضى (غرر الفوائـد ودرر القلائـد) ـ (المرتضى) الشريف على بن أحمـد (ـ٤٣٦هـ) تحقيق أبـو الفضـل ابراهيـم ـ ط دار احياء الكتب العربيـة القاهـرة ١٩٥٤

٨ ـ الأمـثـال من الكتاب والسـنة ـ (الحكيم الترمذى) (ـ٣٢٠هـ) تحقيق السيـد الجميلـي ـ ط دار ابن زيـدون بيروت ـ دار أسامـة دمشـق ٠

٩ ـ أنـوار التنزيـل وأسـرار التأويـل (تفسير البيضاوى) ـ (البيضاوى) عـبـد اللّـه بن محمـد بـن علي (ـ٧٩١هـ) ٠ ط دار الجيـل بـيروت ١٩٨٠ ٠

١٠ ـ البحر المحيط ـ أبـو حـيـان الأندلسـي ، ـ محمـد بن يوسـف (ـ٧٥٤هـ) ط ٢ ـ دار الفكـر بيروت ١٩٨٣ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١ ـ بديع القرآن ـ ابن أبى الاصبع المصرى (ـ٦٥٤هـ) تحقيق حفني شرف ـ ط ٢ ـ دار نهضة مصر القاهرة ٠

١٢ ـ البرهان في علوم القرآن ـ (الزركشي) بدر الدين محمد بن عبد اللّه (ـ٧٩٤هـ) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ ط ١ ـ دار احياء الكتب العربية القاهرة ١٩٥٧ ٠

١٣ ـ البرهان في وجوه البيان (ابن وهب الكاتب) ، أبو الحسين اسحاق (غير معروف الوفاة) تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ـ ط ١ بغداد ١٩٦٧ ٠

١٤ ـ البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ـ (الزملكاني) كمال الدين عبد الواحد (ـ٦٥١هـ) تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ـ ط ١ مطبعة العاني بغداد ١٩٧٤م ٠

١٥ ـ بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ـ (القيروز آبادى) مجد الدين محمد بن يعقوب (ـ٨١٧هـ) ـ تحقيق محمد علي النجار ـ ط المكتبة العلمية ، بيروت ٠

١٦ ـ بيان اعجاز القرآن ـ (الخطّابي) ـ حمد بن محمد (ـ٣٨٨هـ) ٠ ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف اللّه أحمد ومحمد زغلول سلام ، ط٢ دار المعارف القاهرة ١٩٦٨ ٠

١٧ ـ البيان والتبين ـ (الجاحظ) أبو عثمان عمرو بن بحر (ـ٢٥٥هـ) تحقيق عبد السلام هارون ـ ط دار الجيل بيروت ٠

١٨ ـ الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ـ (القرطبي) ـ أبو عبد اللّه محمد بم أحمد (ـ٦٧١هـ) ط مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٥ ٠

١٩ ـ دلائل الاعجاز ـ (الجرجاني) عبد القاهر (ـ٤٧١ أو ٤٧٤هـ) تحقيق محمد رشيد رضا ـ ط شركة الطباعة الفنية المتحدة القاهرة ١٩٦١م ٠

٢٠ ـ رسائل الجاحظ ـ (الجاحظ) أبو عثمان عمرو بن بحر (ـ٢٥٥هـ) تحقيق عبد السلام هارون ـ ط مكتبة الخانجي القاهرة ٠

٢١ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الألوسي) ـ (الألوسي) أبو الفضل شهاب الدين (ـ١٢٧٠هـ) ط دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ ١٩٨٠ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٠ ـ السيرة النبوية لابن هشام ، (ابن هشام) أبو محمد عبد الملك المعافرى (ـ٢١٣هـ) تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبي • ط دار احياء التراث العربي ـ بيروت •

٢١ ـ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ـ (العلوى) يحي بن حمزة (ـ٧٤٩هـ) ـ ط مطبعة المقتطف ١٩١٤ مصر •

٢٢ ـ العقل وفهم القرآن ـ الحارث المحاسبي (ـ٢٤٣هـ) ـ تحقيق حسين القوتلي ـ ط٢ ـ دار الفكر للطباعة بيروت ١٩٧٨ •

٢٣ ـ فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ـ (ابن رشد) أبو الوليد (ـ٥٩٥هـ)ـ تحقيق محمد عمارة • ط٣المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٦م •

٢٤ ـ الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ـإبن القيم الجوزية (ـ٧٥١هـ) تحقيق محمد بدر الدين النعساني ـط مطبعة السعادة القاهرة ١٣٢٧هـ •

٢٥ ـ كتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم ـ (ابن الحنبلي) ـناصح الدين (ـ٦٣٤هـ) تحقيق زاهر عواض الألمعي ـط ١ مؤسسة الرسالة ١٩٨٥ بيروت •

٢٦ ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ (الزمخشرى) محمود بن عمر (ـ٥٣٨هـ) ط دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٦ •

٢٧ ـ لسان العرب المحيط ـ ابن منظور (ـ٧١١هـ) ـط دار صادر بيروت •

٢٨ ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ـ (ابن الأثير) ضياء الدين (ـ٦٣٧هـ) تحقيق أحمد الحوفي وبدوى طبانه ـط ٢ دار نهضة مصر •

٢٩ ـ معترك الأقران في اعجاز القرآن ـ (السيوطي) عبد الرحمن ابن أبى بكر (ـ٩١١هـ) تحقيق على محمد البجاوى ـط دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٦٩ •

٣٠ ـ المغنى في أبواب التوحيد والعدل ـ القاضي عبد الجبار (ـ٤١٥هـ) ط ١ مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٦٠ •

٣١ ـ مفاتيح الغيب (تفسير الفخر الرازى) ـ (الرازى) محمد بن عمر بن الحسن (ـ٦٠٦هـ) ط دار احياء التراث العربي ـبيروت •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٤ ـ المقدمة ـ ابن خلدون ـ عبد الرحمن (ـ٨٠٨هـ) ـ تحقيق علي عبد الواحد وافي ط ٣ دار نهضة مصر ٠

٢٥ ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء ـ حازم القرطاجنّي (ـ٦٨٤هـ) تحقيق محمد بن الخوجة ـ ط ١ الشركة الوطنية للنشر تونس ١٩٦٦ ٠

٢٦ ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ـ (البقاعي) برهان الدين أبو الحسن ابراهيم (ـ٨٨٥هـ) ٠ ط١ ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ مصر ١٩٧٢ ٠

٢٧ ـ النكت في اعجاز القرآن ـ (الرماني) أبو الحسن على بن عيسى (ـ٣٨٦هـ) ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف اللّه ، وسعد زغلول سلام ، ط دار المعارف ١٩٦٨م مصر ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المـــــراجـــــــع :-

٣٨ - أساليب الاستفهام في القرآن الكريم - عبد العليم السيد فوده ط مؤسسة دار الشعب القاهرة .

٣٩ - الأسلوب - أحمد الشايب . ط ٦ مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٦ .

٤٠ - أسلوب الدعوة القرآنية - عبد الغني سعد بركة ، ط ١ دار غريب للطباعة القاهرة ١٩٨٣ .

٤١ - أسلوب المحاورة في القرآن - عبد الحليم حفني . ط ٢ مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٨٥ .

٤٢ - اعجاز القرآن والبلاغة النبوية - مصطفى صادق الرافعي . ط دار الكتاب العربي - بيروت .

٤٣ - الأمثال في القرآن الكريم - محمد جابر الفياض . ط ١ دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٨٨ .

٤٤ - أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم - عبد اللّه شحاته ط ٣ الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٦ .

٤٥ - البلاغة فنونها وأفنانها (١) - فضل حسن عباس ط ٢ دار الفرقان (عمان) ١٩٨٩ .

٤٦ - بلاغة القرآن - محمد الخضر حسين . ط ١٩٧١ جمعه وحققه على الرضا التونسي .

٤٧ - البيان العربي - بدوى طبانه . ط ٥ - دار العودة ، بيروت ١٩٧٢

٤٨ - التصوير الفني في القرآن - سيد قطب ط٧ دار الشروق ، بيروت ١٩٨٢ .

٤٩ - تفسير ابن باديس - عبد الحميد بن باديس . جمع وترتيب - محمد الصالح رمضان وتوفيق شاهين - ط ٢ دار الفكر بيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٠ ـ تفسير التحرير والتنوير ـ محمد الطاهر بن عاشور ٠ ط ١ الدار التونسية للنشر تونس ١٩٨٤

٥١ ـ التفسير القرآني للقرآن ـ عبد الكريم الخطيب ٠ ط دار الفكر العربي مصر ١٩٧٠ ٠

٥٢ ـ تفسير المنار ـ محمد رشيد رضا ٠ ط ٢ دار المعرفة ، بيروت ١٩٧٣ ٠

٥٣ ـ التفكير فريضة اسلامية ـ عباس محمود العقاد ٠ ضمن المجموعة الكاملة للعقاد ـ المجلد ٥ ـ ط دار الكتاب اللبناني ، بيروت ٠

٥٤ ـ الجدل في القرآن ـ حسن الشرقاوى ٠ ط مطبعة التقدم الاسكندرية ، مصر ٠

٥٥ ـ الحوار في القرآن الكريم ـ محمد حسين فضل الله ط ١ الدار الاسلامية بيروت ١٩٧٩ ٠

٥٦ ـ الخطابة ـ محمد أبو زهرة ٠ ط دار الفكر العربي ١٩٨٠ ٠

٥٧ ـ دراسات قرآنية ـ محمد قطب ٠ ط ٢ دار الشروق ١٩٨٠ بيروت ٠

٥٨ ـ دفاع عن البلاغة ـ أحمد حسن الزيات ٠ ط ٢ عالم الكتب القاهرة ١٩٦٧ ٠

٥٩ ـ روح الجماعات ـ جوستاف لوبون ٠ ترجمة عادل زعيتر ، ط دار المعارف ، مصر ١٩٥٥ ٠

٦٠ ـ سيكولوجية القصة في القرآن ـ التهامي نقره ط ١ الشركة التونسية للنشر ١٩٧٤ ٠

٦١ ـ الصورة الفنية في المثل القرآني ـ محمد حسين الصغير ٠ ط المكتبة الوطنية بغداد ١٩٨١ ٠

٦٢ ـ الظاهرة القرآنية ـ مالك بن بني ـ ترجمة عبد الصبور شاهين ط دار الفكر دمشق ١٩٨٥ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦٣ - في اعجاز القرآن الكريم - محمد بركات حمدى أبو علي ط ١ مؤسسة الخافقين الرياض ١٩٨٣ .

٦٤ - في الأدب والبيان - محمد بركات حمدى أبو علي . ط دار الفكر عمان ١٩٨٤ .

٦٥ - في رحاب القرآن - محمد حسن آل ياسين . ط ١ دار المعارف بغداد ١٣٨٨هـ .

٦٦ - في ظلال القرآن - سيد قطب - ط ١١ دار الشروق بيروت ١٩٨٥ .

٦٧ - القصص القرآني - عبد الكريم الخطيب - ط ١ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٤ .

٦٨ - قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية - فضل حسن عباس ، ط ٤ دار البشير (عمان) ١٩٨٨م .

٦٩ - مباحث في علوم القرآن - صبحي الصالح ط ١٣ دار العلم للملايين بيروت ١٩٨١ .

٧٠ - مباحث في علوم القرآن - مناع القطان ط ٧ مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٠

٧١ - المجتمع الاسلامي كما تنظمه سورة النساء - محمد المدني ط ٦ مطبعة مخيمر القاهرة .

٧٢ - مدخل الى القرآن الكريم - محمد عبد الله دراز . ترجمة محمد عبد العظيم علي ط ٣ دار القلم الكويت ، ١٩٨١م .

٧٣ - المذاهب النقدية - ماهر فهمي . ط مكتبة النهضة العربية ١٩٦٢ .

٧٤ - المشاهد في القرآن الكريم - حامد قنيبي ، ط ١ - مكتبة المنار (الزرقاء) الأردن ١٩٨٤ .

٧٥ - مشاهد القيامة في القرآن - سيد قطب . ط دار الشروق ، بيروت .

٧٦ - مع بلاغة القرآن (تفسير بياني لسورتي الأنفال والفرقان) - عبد الحميد العبيسي ط ١ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٧٤م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧٧ - المعجزة الكبرى القرآن - محمد أبو زهرة . ط دار غريب للطباعة القاهرة .

٧٨ - مناهج الجدل في القرآن الكريم - زاهر عواض الألمعي . ط ٣ مطابع الفرزدق الرياض ١٩٨٤ .

٧٩ - مناهل العرفان في علوم القرآن - عبد العظيم الزرقاني . ط عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .

٨٠ - من بلاغة القرآن - أحمد أحمد بدوى . ط ٣ مكتبة نهضة مصر القاهرة .

٨١ - منهج تربوى فريد في القرآن - سعيد رمضان البوطي . ط دار الشهاب - الجزائر .

٨٢ - الميزان في تفسير القرآن - محمد حسين الطباطبائي . ط ٣ مؤسسة الأعلى بيروت ١٩٧٣ .

٨٣ - النبأ العظيم - محمد عبد الله دراز - ط ٤ دار القلم الكويت ١٩٧٧ .

٨٤ - نظرات في القرآن - محمد الغزالي . ط ٦ دار الشهاب الجزائر .

٨٥ - نظرية التصوير الفني عند سيد قطب - صالح الخالدى . ط ١ مطبعة حصين (الأردن) ١٩٨٣ .

٨٦ - النظم الفني في القرآن - عبد المتعال الصعيدى . ط المطبعة النموذجية - مصر .

٨٧ - الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم - محمد حجازى . ط دار الكتب الحديثة القاهرة ١٩٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- موسوعات أجنبية :

٨٨ (1) Encyclopaedia Britanica inc
15 edition - William Benton , PUblisher (1943-1973)

٨٩ (2) Grand Larousse Encyclopedique edition Familiale
Liblaire Larousse - France. 1970

- الدوريات :

٩٠ ١ - الارشاد (المغرب)

٩١ ٢ - الأزهر (مصر)

٩٢ ٣ - التضامن الاسلامي (السعودية)

٩٣ ٤ - الدعوة (السعودية)

٩٤ ٥ - الشريعة والدراسات الاسلامية (الكويت)

٩٥ ٦ - منبر الاسلام (مصر)

٩٦ ٧ - الوعي الاسلامي (الكويت)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

UNIVERSITY OF JORDAN
FACULTY OF GRADUATE STUDES
DEPARTMENT OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

METHODS OF PERSUASION IN THE HOLY QURAN WITH AN APPLIED STUDY ON SURAT AL - FURQAN (THE CRITERION)

BY :

BENAISSA BETTAHAR

SUPERVISED BY :

Prof : MOHAMED BARAKAT ABU ALI

Pr. M. Barakat Abu Ali

SUBMITTED IN PARTAL FULFILMENT OF
THE REQUIREMENTS FOR THE DEGREE OF
MASTER OF ARTS , IN ARABIC
FACULTY OF GRADUATE STUDIES
UNIVERSITY OF JORDAN
MAY 1990

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥١٣٧٧١

ABSTRACT

Methods of Persuasion in the Holy Qur'an with an Applied Study on Surat al- Furqan "The Criterion".

This is a study on the Quranic rhetoric. It is considered as a part of the Quranic studies which investigate the eloquence of the Quran's expressions as well as the beauty of its images.

The aim of the present study is to investigate the rhetorical techniques and the methods, on which the Holy Quran depends, so that the influential power of this Glorious Book on the souls of people and its persuasive effects on their minds and hearts since its revelation, could be realized. Further, the study, also, aims at showing some aspects of inimitability in the persuasion of HOLY Quran.

Such aspects have their utmost influence in acheiving its aims and purposes. The Holy Quran (the eternal book of humanity involves the elements of inimitability and the conditions of persuasion. The supreme attributes of the rhetoric, are present in the Holy Quran. These attributes have deeply touched and pleased the hearts and influenced and persuaded the minds of the people. they made the people company they made the people comply .... right and follow its path. All such effects and influences of the Holy Quran are ascribable to the following attributes ;

1 - The Holy Quran's natural conformity with the of people's thinkingand feeling.

2 - ITS RELIANCE ON THE STRAIGHT path (right way) and having conclusive evidences which satisfy the hearts and minds.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

3 - Its response to aspirations of human being regarding issues of faith and behaviour. It also, provides appropriate interpretations to the existence of the human being .

4 - Its satisfaction to the needs of the human being .

As it involves the conditions of persuasion, the Quranic rhetoric is ascribed to the effective force of its expressions, which are (generally speaking) represented in the accuracy and correct ness of the meaning; the beauty and variety of presentation; and the unique rhythm and the artistic conformity .

Surat al Furqan (The Criterion) is complementary example of the Quranic persuasiveness. The applied study in the present dissertation has proved that this Surat constitutes a complemeentary unit with conformable and in inseparable parts.

The study has also proved that sur at al furqan has only one them but a variety of rhetorical methods and persuasive means. The rhetoric reached its height in that surat , and that was due to the presence and complement of all these methods and means in it. The study has also shown that the artistic attributes of this sura has placed it at the top level of rhetoric and inimitability.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit